



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حماه الوحي

كاتب:

محمد فاضل لنكراني

نشرت في الطباعة:

مركز فقهى ائمه اطهار (عليهم السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	حماء الوحى
١٤	اشاره
١٤	اشاره
٢٠	المقدمه قيم الامم عرى موثقه
٢٠	قيمه السلعه:
٢١	السبب الأهم:
٢١	قيمه الشخص:
٢٢	القرآن الكرىم:
٢٣	أهل البيت:
٢٤	طموحات المجتمعات:
٢٤	مهمتنا:
٢٥	الدافع من تأليف الكتاب:
٣٠	الإمامه على ضوء القرآن الكرىم
٣٠	اشاره
٣١	القرآن و الإمامه:
٣٣	الدليل الأؤل من القرآن
٣٣	اشاره
٣٤	الهدف من الامتحان:
٣٤	النبي إبراهيم و التمحيص:
٣٥	مواد التمحيص:
٣٨	الدليل الثانى من القرآن
٣٨	اشاره
٣٩	بحث فى الآيه المباركه:

٤١	لمن الطاعه؟
٤٣	خلاصه البحث:
٤٤	مزيد من الضوء على آيه أولى الأمر:
٤٧	الحديث الأول:
٤٨	ملاحظه:
٤٩	تحقيق آخر في الآيه:
٥٠	الحديث الثاني:
٥١	الحديث الثالث:
٥٣	الحديث الرابع:
٥٤	خلاصه التحقيقات:
٥٤	الإمام في رساله سيّد الشهداء عليه السلام
٥٦	الدليل الثالث من القرآن
٥٦	اشاره
٥٦	توضيح المراد:
٥٦	قضيه مهمه:
٥٦	إشاره إجماليه إلى بعض الروايات الوارده في تفسير الآيات الدآله على الإمامه
٥٩	دراسه ضروريه
٧١	بحث مختصر:
٧٣	خلاصه ما مرّ:
٧٧	خلاصه البحث:
٨٠	الدليل الرابع من القرآن
٨٠	اشاره
٨١	دعوه النبي إبراهيم عليه السلام:
٨٢	الآيات و الالتفاتات:
٨٣	دليل حى:
٨٤	مزيد من التوضيح:

- ٨٤ كشف النقاب عن أصالة الإمامه:
- ٨٥ ما نخلص إليه من هذه الآيات:
- ٨٥ نتيجة هذه الدراسات:
- ٨٦ سؤال يطرح نفسه:
- ٨٦ جواب:
- ٨٧ حديث مع صاحب تفسير المنار:
- ٩٠ سؤال آخر:
- ٩٤ إشكال مهم:
- ١٠٠ فهرس الكتاب إلى هنا:
- ١٠١ سؤال يثير الأسف:
- ١٠٢ الجواب:
- ١٠٤ قبسات من شرائط الإمامه
- ١٠٤ اشاره
- ١٠٥ خلاصه شرائط الإمامه:
- ١٠٥ بحث في تفاصيل هذه الشرائط:
- ١٠٦ سؤال:
- ١٠٧ الجواب:
- ١٠٧ القرآن و شرائط الإمامه
- ١١٢ طلب قائد للجيش
- ١١٣ ملاحظه مهمته:
- ١١٤ طالوت:
- ١١٦ خلاصه هذا البحث:
- ١١٦ التابوت:
- ١١٨ حديث أبي بصير:
- ١١٩ قولنا أم قول المفسرين؟
- ١٢٠ الجواب:

- ١٢١ زبده الكلام:
- ١٢٤ النقطة الثانيه:
- ١٢٧ العنوان الأول: قصص الأنبياء و الامم الماضيه:
- ١٢٧ اشاره
- ١٣١ النتيجة:
- ١٣٢ خلاصه الحديث:
- ١٣٢ نتيجه هاتين النقطتين:
- ١٣٣ العنوان الثاني لقصه طالوت:
- ١٣٤ الآيات الثلاث:
- ١٣٤ هذه الآيات الثلاث و هدفها:
- ١٣٧ دليلنا:
- ١٣٨ أمير المؤمنين عليه السلام و آيات قصه طالوت:
- ١٤٤ عود إلى شرائط الإمامه المستفاده من القرآن
- ١٤٤ آيه الاصطفاء
- ١٤٤ الأمر الأول:
- ١٤٥ رفع إشكال:
- ١٤٦ الجواب:
- ١٤٧ جواب آخر:
- ١٤٨ مَنْ هُمْ آل إبراهيم؟
- ١٤٩ هدف سام:
- ١٥١ هدف الآيه:
- ١٥٢ نتيجه هذه الأبحاث:
- ١٥٣ الحسين عليه السلام و الآيه الكريمه:
- ١٥٣ الآيه المباركه و أحاديث الإماميه:
- ١٥٥ خلاصه الآيات و الروايات:
- ١٥٦ ملاحظه:

- ١٥٨ علم الإمام عليه السلام
- ١٥٨ الزعامه فى الإسلام:
- ١٥٩ القرآن و علم الأنبياء عليهم السلام:
- ١٦٣ مفاد الطوائف الثلاث من الآيات:
- ١٦٤ علم الأئمه عليهم السلام:
- ١٦٥ نقطه ضروريه:
- ١٦٧ الآية الأولى:
- ١٦٧ اشاره
- ١٦٨ نظره أعمق:
- ١٦٨ الآية الثانية:
- ١٦٨ اشاره
- ١٦٩ منصب يوسف عليه السلام:
- ١٦٩ الآية الثالثه:
- ١٧٠ الآية الرابعه:
- ١٧٠ ثمره هذا البحث القرآنى:
- ١٧٢ علائم الإمام عليه السلام:
- ١٧٣ التصدى للانحراف:
- ١٧٤ هدف الآيات التنافيه لعلم الغيب:
- ١٧٦ آيات أخرى:
- ١٧٧ هدف الأئمه من نفي العلم بالغيب:
- ١٧٧ إخبار أمير المؤمنين عليه السلام:
- ١٧٩ الأخبار الغيبية لعلی عليه السلام:
- ١٨٠ الروایات و علم غيب الأئمه عليهم السلام:
- ١٨٢ بحث مختصر حول آیه قرآنيه:
- ١٨٤ علل الزعامه:
- ١٨٥ وحده الموضوع:

- ١٨٥ الذهول و الدهشه!!
- ١٨٧ خلاصه هذا الفصل:
- ١٨٨ ثمره هذه الخلاصه:
- ١٨٨ روايه عميقه:
- ١٩٠ شرح الروايه:
- ١٩٢ دوافع نفى الإمام علمه بالغيب الدافع الأول:
- ١٩٣ الدافع الثاني:
- ١٩٥ روايتان:
- ١٩٥ ملاحظه:
- ١٩٦ تكرار و تذكير:
- ١٩٦ الدليل الأول:
- ١٩٧ الدليل الثاني:
- ١٩٨ الدليل الثالث:
- ١٩٩ دراسه الآيه:
- ٢٠٠ عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟
- ٢٠٠ مَنْ هُم المصطفون من العباد؟
- ٢٠٠ الدليل الدامغ:
- ٢٠٢ وارث الكتاب الكريم:
- ٢٠٣ كيف يعلم الجميع؟!
- ٢٠٤ الشواهد الحثيه!!!
- ٢٠٤ طرق الأئمه عليهم السلام فى الحصول على العلم:
- ٢٠٦ أمير المؤمنين عليه السلام و الآيه الكريمه:
- ٢٠٨ المعلم الأول:
- ٢٠٩ المعلم الثاني:
- ٢٠٩ الإمام الصادق عليه السلام و علم الإمام:
- ٢١٠ القرآن و علم الإمام عليه السلام:

- ٢١٠ أسئلته و أجوبته:
- ٢١٢ العلم الشائئ:
- ٢١٢ إيضاح:
- ٢١٤ علم الإمام سيد الشهداء عليه السلام بحادثه كربلاء
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٥ ثلاثه أخطاء رئيسيه:
- ٢١٥ الخطأ الرئيسي الأول:
- ٢١٦ الخطأ الرئيسي الثاني:
- ٢١٧ الخطأ الرئيسي الثالث:
- ٢١٧ الكتاب و الخطأ الأول:
- ٢١٧ اشاره
- ٢٣٢ نتیجه الأدله:
- ٢٣٣ الموضوع الأول:
- ٢٣٣ الموضوع الثاني:
- ٢٣٣ جواب الموضوع الأول:
- ٢٣٤ جواب الموضوع الثاني:
- ٢٣٥ جواب السؤال الثالث:
- ٢٣٧ طريق مغلق؟!
- ٢٤٥ ٥- خطبه «خُطَّ الموت...»
- ٢٤٩ المؤلف و الإقرار بالعلم:
- ٢٥٤ الحديث الأول:
- ٢٥٥ مناقشه الحديث:
- ٢٥٧ الحديث الثاني:
- ٢٥٨ وقفه مع الحديث:
- ٢٥٩ الحديث الثالث:
- ٢٦٠ ما ينبغي الالتفات إليه في الحديثين:

- ٢٦٢ دليل آخر:
- ٢٦٣ نتیجه البحث:
- ٢٦٤ مفاد الروایتین:
- ٢٦٥ ٣- الجمع بين الرساله و عدم قتل جماعه:
- ٢٦٥ افتراض آخر:
- ٢٦٧ الحديث الرابع:
- ٢٦٧ تحقيق مختصر:
- ٢٦٩ زبده الكلام:
- ٢٧١ شهاده الإمام فى كربلاء على لسان أهل البيت عليهم السلام و أتباعهم:
- ٢٧٤ بكاء محمد بن الحنفیه:
- ٢٧٥ حديث رائع:
- ٢٧٦ السز الأكبر:
- ٢٧٧ الكتاب و الخطأ الرئيسى الثانى:
- ٢٧٧ اشاره
- ٢٧٩ حادثه كربلاء نفخت الروح فى جسد الإسلام:
- ٢٧٩ الجهاد فى الإسلام:
- ٢٨٣ المعطيات الخالده للحادثه:
- ٢٨٥ النظره السطحیه:
- ٢٨٥ یأس الاتمه:
- ٢٨٧ خطبه زينب الكبرى:
- ٢٨٧ المنطق الغاشم:
- ٢٩٠ سر عدم النجاح:
- ٢٩٣ الصوره الثانيه:
- ٢٩٤ معطيات الحادثه بعد وقوعها:
- ٢٩٥ الحسين عليه السلام و الإسلام:
- ٣٠١ الكتاب و الخطأ الرئيسى الثالث

٣٠١ اشارة

٣٠٢ ملاحظه:

٣٠٢ ما هي الاقتراحات الثلاث؟

٣٠٤ ملاحظه:

٣٠٤ تكرار:

٣٠٧ هل للإمام أكثر من هدف؟

٣٠٩ الصلح المشرف!

٣١٥ الأهم من كل هذه الأقوال:

٣١٨ ثوره الإمام عليه السلام ليست دفاعاً عن النفس

٣٢٥ مصادر التحقيق

٣٣٢ تعريف مركز

سرشناسه : فاضل موحى لنكرانى، محمد، ۱۳۱۰ -

عنوان قراردادى : ائمه اطهار (عليهم اسلام) يا پاسداران وحى در قرآن كريم. عربى.

عنوان و نام پديدآور : حماه الوحى /محمد الفاضل اللنكرانى، شهاب الدين الاشراقى ؛ المترجم عبد الرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر : قم: مركز فقه الائمه اطهار عليهم السلام، ۱۴۲۵ق.، =۱۳۸۴.

مشخصات ظاهرى : ۳۲۸ ص.

شابك : ۳۰۰۰۰ ريال ۹۶۴۷۷۰۹۲۱۹

وضعيت فهرست نویسى : فهرست نویسى توصیفى

یادداشت : کتابنامه به صورت زیر نویسى.

شناسه افزوده : اشراقى، شهاب الدين

شناسه افزوده : طهرانى، عبد الرحيم

شماره کتابشناسى ملی : ۱۱۶۵۹۵۸

ص: ۱

المقدمه قيم الامم عري موثقه

قيمه السلعه:

الحديث المتداول في الوسط الاقتصادي إنما يدور حول السلعه و السوق.

و السؤال الذي يثيره الاقتصاديون هو ما ثمن سلعه ما؟ و عاده ما يتراوح ثمن السلعه بين الهبوط و الارتفاع؛ الامر الذي يصطلح عليه بتأرجح القيمه.

و يرتبط تأرجح القيمه بحاجه الأُمَّه بصوره مباشره، فاذا كانت هناك من حاجه ارتفعت القيمه و بخلافه تنخفض، و عليه فهي خاضعه لقضيه العرض و الطلب، و القاعده بينهما عكسيه فإذا ازداد الطلب قلّ العرض بينما يزداد العرض إذا قلّ الطلب، و من هنا تزداد القيمه إذا ازداد الطلب بينما تهبط في العكس. إذن فالمشترى يشكّل أحد عناصر قيمه السلعه، و من هنا تعتمد البلدان إلى تقييم رفع مستوى قيمه سلعها و تبعث بخبرائها الذين يقيّمون التسويق من أجل مضاعفه عدد الزبائن و زياده حجم الصادرات، لديمومه عجله الاقتصاد بعينه الحدّ من الهواجس التي يستبطنها الفقر.

السبب الأهم:

العنصر الأهم في قيمة الأشياء يكمن في نفس السلعة، فالسلعة ليست بذات أهميه إذا كان تأرجح قيمتها على ضوء الحاجة فهي تحمل قيمتها معها، و غلاء مثل هذه السلع إنما يتوقف على طلب الناس؛ و يعزى ذلك إلى خلوّ السلعة في حدّ ذاتها من القيمة المطلوبه. فالذهب من السلع الثمينه، و هو رصيد لسائر السلع، و ليس للطلب من تأثير يذكر في ارتفاع سعره. فقد يقلّ الطلب إلّا أنّ سعره لا يهبط. و السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لِمَ كان الذهب غالباً في جميع البلدان و لا يفقد قيمته؟ و يبدو أن علل الإجابة على هذا السؤال تحظى بأهميه فائقه نوكلها إلى علماء الاقتصاد، إلّا أننا نخوض في بعض الأمور بهذا الشأن: فالذهب معدن قوى و مقاوم في مختلف الظروف و لا يفقد خصائصه إلى جانب جماله و جذابيه لونه، فهو لا يتأثر بالماء و سائر العناصر المؤثره في خصائص المعادن، و بريقه يخطف الأبصار و إن دفن لسنوات تحت التراب، و لا يمكن مقارنته بالنحاس الذي يفقد صفاته إلى حدّ الصداً إذا ما تعرّض لبعض الظروف المؤثره كالرطوبه. و عليه يمكن القول بأنّ غلاء هذا الفلز نابعاً من كونه نفيساً.

قيمه الشخص:

الإنسان كالذهب و لا بدّ من تعيين قيمته من خلال الالتفات إلى ثمن هذا الفلز و سبب غلائه. و للإنسان شخصيتان؛ إحداهما فرديه، و الأخرى اجتماعيه. و يمكن تحديد شخصيته الفرديه على غرار مثال الذهب فيقال: أى إنسان ذو قيمه؟ في حين لا بدّ من استطلاع رأى الآخريين في تحديد شخصيته الاجتماعيه، و العنصر المهمّ في تعيين موقعه و قيمته إنّما يتأتى من معطياته على مستوى المجتمع، كما يكتسب المجتمع

قيمته العالميه من خلال موقعه. فالفرد القِيم من ذاع نبوغه و مجده فى المجتمع، و توقفت عجله تنميته على خصائصه و امتيازاته. و أما المجتمع القِيم فهو ذلك الذى يتمتع بخصائص بارزه تميّزه فى المجتمع الدولى، و النظام الناجح للمجتمعات البشريه هو النظام الذى يتمتع بالزعامات التى يفرزها فكر و نضج ذلك المجتمع. و قد التفتت الدنيا اليوم إلى هذه الحقيقه، و هى أنّ البلدان إنّما تحتذى حذو الشعوب المقتدره الحيه فى إعداد و بلوره شعوبها، حيث يشكّل هذا الاحتذاء البنيه التحتيه لخلق المجتمع المطلوب. إلّا أنّ التحقيقات و الدراسات التى قام بها علماء الاجتماع بشأن عناصر ظهور المجتمعات الناجحه أو الفاشله تفيد أنّ الشعب الحى هو الشعب الذى يقود مسيرته الأفاض من الزعماء الحكماء و القاده النجباء يمسكون بمقدّراته و يتولّون ديمومته و حفظ حيويّته بفضل أفكارهم الساميه و تطلّعاتهم النبيله.

القرآن الكريم:

لقد قدّم القرآن الكريم - كتاب المسلمين - هذه الأطروحه العالميه العظيمه من أجل إرساء دعائم المجتمع الحى و حفظ سياده المسلمين فى الأسره الدوليه. و قد عزا الكتاب الحكيم ظهور البلدان العامره و المستقله ذات الشعوب المقتدره إلى وجود القاده الأكفاء و الثقه بالله و الانفتاح على الغيب. و قد لفت القرآن أنظار المسلمين إلى أطروحته المذكوره المتمثله بالقاده الذين يتكفلون بسعاده الأممه فى الدارين فقال: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)**. كما أرشدنا إلى تحقّق الأممه المنيعه التى ينظر إليها العالم بعين

الإجلال و الإكبار و التى تمتلك عناصر القوّه و الفكر فى ظلّ الزعامه الدينيه الرشيده فقال: فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا(١). و عليه فالمدرسه القرآنيه تولى أهميه للزعماء الربانيين فى نشوء البلدان المستقله المرفهه السعيده.

أهل البيت:

و بناءً على ما تقدّم فإنّ هناك صفوه من أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تنهض من بعده بقيادة الأئمه و إيصالها إلى سعادتها و كما لها المنشود. هذه الصفوه الجليله الحافظه للوحى و الأئمه على العقيدته و الناهضه بزمام أمور الإسلام، هى أهل البيت و ولاه الأمر الوارد ذكرهم فى القرآن و أطروحه القرآن هى أنّ زعامه أهل البيت تخلق الأئمه المقتدره و الرشيدته التى تسود العالم؛ و ذلك لأنّهم صفوه عالمه، رشيدته، زاهدته، شجاعته، كريمه، مضحيه، عالمه بأسرار القرآن، مستنده إلى الغيب، ربيبه مدرسه النبوه و المصطفاه من قبل الله، فهم القاده الذين يتكفلون بضمان سعادته الأئمه، و هم الزعماء المفعمون بحبّ الله؛ رحماء بالأئمه لا- يكتنون لها سوى الرأفه و الشفقه. لقد نعتهم القرآن و أثنى عليهم بمختلف الصفات، و من هنا منحهم صفه الزعامه المطلقه: «أولى الأمر». فهم و بلطف الله و عنايته منزّهون عن كلّ آفه روحيه، ذوو بصائر ثاقبه و صدور منشرحه و قلوب أوعيه لعلم الله. هم من نسّمهم الأئمه الأطهار عليهم السلام.

طموحات المجتمعات:

تتطلع المجتمعات الحيّة لمثل هؤلاء الزعماء فى تحقيق أهدافها و سعادته شعوبها؛ لأنها أيقنت بأنّ سعادتها مرهونه بوجود هؤلاء القاده البرره. و قد تفضّل البارئ سبحانه علينا بأن جعل الأئمه الأطهار عليهم السلام قادتنا إلى السعاده و الفلاح. و هكذا يتبلور المجتمع الشيعى اليوم و بالاستناد إلى هؤلاء البرره بما يلفت انتباه العالم إلى رشفه و ازدهاره و تربيته الصائبه الناجحه.

مهمتنا:

إنّنا إنّما نواجه حدودنا و اعتبارنا الإنسانى إذا ما قصّينا فى تخليد أئمّتنا و الاعتزاز بهم، فأنتى لهذه الطائفه الحقه أن تبلغ الكمال و الرقى و نيل الأهداف المقدسه إن غيّبت العداله و اندثر العلم و زال الورع و التقوى. و لعلّ العدو الغاشم المتربّص - الذى يهّم بشق عصا المسلمين و تجريدهم من عظمتهم و مجدهم - يرى أنّ أفضل سبيل يمكنه من تحقيق أطماعه و سلب الأئمه هويتها إنّما يكمن فيما يوجّهه من ضربه قاصمه لزعامتها الربّانيه، الأمر الذى ينبغى أن يلتفت إليه المسلمون و يتأملوا ما يستنبطه من أفكار هدامه لا- تضمّر سوى توجيه سهامها المسمومه نحو زعمائنا الربّانيين الأئمه الأطهار عليهم السلام انطلاقاً من بعض المسمّيات الخلابه من قبيل الثقافه و الانفتاح و حريه الفكر و ما إلى ذلك من المفردات القلقه. فأعداء الإسلام لا يتورّعون فى التشبّث بكلّ الوسائل من أجل الوقوف بوجه عناصر القوّه و الشخصيات التى يعتمدها القرآن الكريم، فخوار عجل السامرى ما زال يسترجع فى حناجر الأجانب الطامعين. و عليه فلا ينبغى الانسياق وراء هذه الأطروحات الزائفه و الأساليب العصريه التى لا تنوى سوى النيل من عظمه القرآن الكريم و القضاء على الإسلام العزيز.

الدافع من تأليف الكتاب:

إنّ الدافع الذى يقف وراء تأليفنا لهذا الكتاب هو ما برز اليوم فى أوساط المجتمع الإيرانى الذى يهدف إلى استغلال الشباب من خلال ما يسمّى بـ «الانفتاح الفكرى» و «الدين الميسّر» المغلّفه بشعار «حسبنا كتاب الله» الذى يعنى الإسلام من دون زعامه النبى صلى الله عليه وآله و هدايه أهل بيته الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم القاده و الزعماء الأدلاء على الطريق، فإن أصررتم على هذا الشعار كان عليكم الإقرار بزعامتهم على ضوء تأكيدات الكتاب، فزعامتهم و مكانتهم لا تخرج عن إطار القرآن البته. لقد حاولنا طرح المباحث العلميه بأسلوب ميسّر، ليتسنى لنا الردّ على الأسئلة و الاستفسارات التى تدور فى الأذهان. و قد استندنا إلى القرآن الكريم فى كلّ بحث، أمّا التمسّك بأخبار أهل البيت فى بعض الموارد فإنّما كان على سبيل تأييد ما ورد فى القرآن، فى حين غضضنا الطرف عن مثل هذه الأخبار فى إثبات إمامه الأئمّه عليهم السلام. يشتمل الكتاب على أربعة أقسام، يقتصر الهدف الأصلي للكتاب على الأقسام الثلاث الأولى منه، بينما يتكفّل القسم الرابع ببحث علم سيّد الشهداء و معطيات نهضته المباركه و ... فهو ليس بأهميه الأقسام الثلاث التى تتعرّض لقضيه الإمامه من وجهه نظر القرآن. و بالطبع فإنّ بحث الإمامه ليس من الأبحاث الجديده، فقد أُلّف كبار علماء الشيعه و محدّثيهم عدّه مؤلّفات بهذا الشأن من قبيل: ١- كتاب الشافى للسيد المرتضى علم الهدى، المتوفى عام ٤٣٦. ٢- كتاب الألفين لآيه الله جمال الدين العلامه الحلى المؤلّف تلبيه لطلب ولده الجليل فخر المحقّقين المتوفى عام ٧٢٦. ٣- إحقاق الحقّ للقاضى نور الله، المتوفى سنة ١٠١٩. ٤- غايه المرام للسيد هاشم البحرانى، المتوفى سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩. ٥- الصراط المستقيم إلى مستحقّى التقديم لعلى بن يونس النباطى البياضى،

المتوفى عام ٨٧٧. ٦- عبقات الأنوار للمير حامد حسين الهندي، المتوفى عام ١٣٠٦. ٧- الغدير للعلامة الأميني، المتوفى عام ١٣٩٠، و عشرات الكتب الحديثه بلغه بسيطه. آملين أن توفر مطالعته بعض الفوائد لكافة الإخوه من الباحثين و المحققين و المثقفين و الشغفين بمقام الإمامه. سائلين الإخوه من العلماء الأعلام و المطلعين الغض و الإغماض عما بدر منا من زلل و خطأ. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. شهاب الدين الإشراقى - محمد الفاضل اللكرانى

الإمامه على ضوء القرآن الكريم

إشاره

ترى الشيعة أنّ الإمامه منصب إلهي، فهم يقولون: ليس للدين من خلود وبقاء إذ كان هناك فراغ يعقب النبي صلى الله عليه و آله لا- وظيفه للدين فيه، كيف يجوز على الله الذي ارتضى الإسلام للناس ديناً خالداً إلى الأبد أن يترك الناس سدى بعد الرسول الأ-كرم صلى الله عليه و آله دون أن يعين لهم وظيفتهم في حفظ أساس الدين و تطبيق التعاليم الإسلاميه؟ و بناءً على هذا، لا بدّ أن تكون هناك صفوه تنهض بمسئوليه زعامه المسلمين و تتولّى بيان الأحكام و التعاليم القرآنيه للإمامه الإسلاميه و تتكفل بحفظ الشريعه السمحاء و إرشاد المسلمين و العمل على حلّ مشاكلهم و رعايه ديمومه الدين. إذن فالإسلام يتطلّب وجود الإمام بعد النبي صلى الله عليه و آله، فإذا فوّضت الإمامه إلى الناس كان معنى ذلك تزلزل أركان الدين الإسلامى القائم على أساس بسط العدل و القسط و إشاعه التوحيد و سلب روح الفضيله و أسس الوجدانيه؛ و ذلك لأنّه

أوكل الأُمَّه لنفسها و خولها انتخاب الإمام، رغم وجود البعض من عبده الأهواء و حبّ الجاه و الرئاسة الذين لا يتورعون عن اعتماد الحيله و الخداع من أجل الحكم و الأخذ بزمام الأمور؛ و هذا لن يؤدّي بالتالى إلّا إلى سياده الظلمه و الطغاه الذين يتخذون عباد الله خولاً و ماله دولاً. و عليه و بحكم العقل و المنطق فإنّ الله الذى أراد لدينه المبين أن يكون الدين الخاتم و الخالد إلى يوم القيامة، و الذى أسّس بُنيانه على أساس حكمه العدل و القسط و بثّ العلم و إشاعه الحريات و الحياه الخالده و العيش الهنىء الذى تسوده المساواه و المواساه، قد فرغ من تحديد تكليف المسلمين لمرحله ما بعد رحيل النبى، حذراً من الهرج و المرج و الفوضى التى تخلفها حكمه الطغاه، و التى تقود فى خاتمه المطاف إلى زوال الدين. و هذا ما دفع بالطائفه الحقه لأن تؤمن بأنّ الولايه و الإمامه منصب إلهى ربّانى كالنبوه، حيث أوجبها الله و حصرها فى صفوه من أجل خلود الدين و بقاء كلمه التوحيد و سياده حكمه العدل العالمى. هذه خلاصه مقتضبه من حكم العقل الذى يرى ضروره وجود الإمام بعد النبى من أجل زعامه الأُمَّه الإسلاميه و إداره شئونها، كما يدرك هذا العقل بأنّ الله سبحانه قد أودع هذا المنصب لمن لهم أهليه القيام بمسئولته.

القرآن و الإمامه:

ما يفهم من القرآن الكريم أيضاً هو أنّ الإمامه منصب إلهى، و لا- بدّ لنا من أجل توضيح هذا الأمر أن نستعرض النصوص القرآنيه. فالذى يفيد القرآن هو أنّ إمامه الامه و الولايه عليها إنّما تفوق النبوه، أى أنّ صلاحيه الإمامه متوقّره فى النبى، حيث إنّ مجابته للأحداث و الوقائع المريره

جعلت مقام النبوه أعظم ثقلاً فأمدته بالأرضيه الخصبه لممارسه منصب زعامه الامه و إمامتها. و عليه فلا ينبغي أن يسىء أحد فهم هذه القضية ليتصور بأننا نريد أن نقول:

إن الإمام فوق النبى. كلاً، بل المقصود هو أن الإمامه فوق النبوه و أن النبوه قد تشتمل أحياناً على الإمامه. و من هنا يتضح بأن كل نبى فى نفس الوقت الذى يبلغ فيه مقام النبوه و يخبر عن المغيبات فهو إمام للأمة قد محص بالبلاء ليكون جديراً بتولى منصب الإمامه. فالنتيجه التى نخلص إليها أن القرآن فى الوقت الذى يُعتبر فيه الإمامه منصباً إلهياً، يلفت الانتباه إلى مزيته التى تفوق النبوه، و الآن نتناول بالبحث، الآيات القرآنيه الواردة بهذا الخصوص:

الدليل الأول من القرآن

إشاره

قال سبحانه فى كتابه العزيز: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١). دراسه الآيه الكريمة: «الكلمه» أحياناً تطلق هذه اللفظه ويراد بها المعنى، كما تُطلق أحياناً أخرى على الكلام «و كلمه بها كلام قد يؤم»، وقد أطلقها القرآن الكريم على لسان آياته على نوع من الحقائق، كما عبّر عن عيسى عليه السلام بأنه كلمه إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (٢). فعيسى عليه السلام حقيقه قيمه و إنسانيه مدهشه عجيبه، و أن اسم هذا الإنسان العجيب هو «عيسى بن مريم». إذن فالكلمه إشاره إلى تلك الحقيقه و الحدّ الوجودى لعيسى، و اسم هذا

١- سورة البقره: الآيه ١٢٤.

٢- سورة آل عمران: الآيه ٤٥.

الموجود أو الكلمه هو عيسى، و توكل التفاصيل إلى محلها(١). «الابتلاء» الامتحان و التمحيص، و لما كان أصله هو البلاء، فكلّ تمحيص و امتحان اشتمل على البلاء و المصاعب كان ابتلاءً. «الإتمام»: الإكمال و الإتقان.

الهدف من الامتحان:

الهدف من الامتحان هو دراسه قوى الشخص الممتحن و الوقوف على استعداداته بالنسبه للمادّه التي تخضع للامتحان، فلو امتحن شخص فى مسأله رياضيه، فإنّه يكون موفّقاً فى الامتحان و يُكتب له النجاح إذا تمكّن من حلّ المسأله بصوره صائبه، أمّا إذا عجز عن حلّها و فشل عن الإتيان بالإجاباه الصحيحه، إلّا أنّه كتبها بخطّ واضح جميل فإنّ درجته فى الامتحان صفر رغم أنّه أجاد كتابتها بخطّ لطيف. لقد مَحَص إبراهيم بعده حقائق مريره و قد اجتازها بقوّه، و قد خرج مرفوع الرأس أمام الحقّ المطلق فى هذا الاختبار و التمحيص. نعم ما مَحَص به إبراهيم كان بعض الحقائق الصعبه المريره، أمّا الغرض من ذلك التمحيص فقد تمثّل بالوقوف على صموده و تجلّده تجاه تلك الحقائق، و حيث نجح فى الامتحان، فقد اتّضح بأنّه عالم ثابت الجِنان صلب بالنسبه لمواد الامتحان.

النبي إبراهيم و التمحيص:

١- لقد مَحَص إبراهيم بالإنابه إلى الله و التوكّل على الحقّ و الحقيقه و التوحيد، فخرج من هذا التمحيص مطمئن القلب ذا يقين خالص؛ و عليه فإنّ إبراهيم كان رجلاً

١- انظر تفسير «كلام الحقّ» لآيه الله الإشرافى.

موقناً و ثابت الجنان منقاداً للحق مسلماً للذات الإلهيه المقدسه. ٢- إن إبراهيم كان يعتمد على علم جمّ في إثبات مفهوم التوحيد و وجود واهب الوجود بحيث بهت خصمه و لفته الحيره من منطق إبراهيم و أدلته و براهينه المحكمه. ٣- كانت شخصيه إبراهيم لا تعرف للقوميه و الوطنيه و القبليه من معنى في قبال الذوبان و الفناء في الله و الثبات على العقيده. ٤- أبدى إبراهيم غايه الصبر و الصمود و المقاومه من أجل عقيدته و دافع عنها مستميتاً. ٥- كان خلع حبّ الدنيا عن قلب إبراهيم- و عدم اغتراره بزبرجها- هيناً عليه في جنب طاعه الله و التسليم لأوامره. ٦- كشف إبراهيم عن مدى شجاعته و عمق شخصيته الذاتيه في إطار مواجهته لطاغوت عصره نمرود. ٧- أثبت إبراهيم باستجابته لذبح ابنه مدى زهده في الدنيا و عشقه للجمال الإلهي المطلق، و أنه لا يملك لنفسه من خيره تجاه أمر الله سوى الطاعه و التسليم، و ليس هناك من علاقه أسمى من العلاقه بالله و الرغبه بامتثال أوامره، و ليس هنالك من أثر يمكنه الحدّ من هذه العلاقه حتّى رابطه الأب بابنه و إن كان وحيداً، فقد ملئ قلبه بحبّ الله و لم يدع فيه مثقال حبّه من خردل لحبّ غيره.

مواد التمحيص:

يتبيّن من النقاط آنفه الذكر أنّ المواد التي مُحص فيها إبراهيم، و قد اجتازها بنجاح هي عبارته عن: اليقين التامّ و الإدراك الكامل للحقّ و الحقيقه و خالق العالم،

و الصبر و الاستقامه لإثبات وجود الله، و امتلاكه الحجة القاطعه و العلم الذى يدعو للحيره و الدهول، و الحلم و التضحية و الزهد و التغاضى عن زخارف الدنيا و زبرجها، و الشجاعه و المروءه و احتمال الصعاب، و محاربه الأفكار الضالّه و عدم التأثر بعواطف العوايم إلى آخر ما هنالك. أجل لقد مُحصَّص إبراهيم بهذه المواد و قد وُفق فيها جميعاً، و هو نبى، فلما مُحصَّص بهذا التمحيص و كُتب له النجاح و التوفيق جعله الله إماماً مُفترض الطاعه على الناس. إذن: فالإمامه لا- تتوقف على قوميه الشخصيه أو روابطها النسبيه، و هى ليست تفويضيه، كما أنها ليست خاضعه لآراء الأمة و وجهات نظرها من أجل تحديد مصير البلاد و الإسلام، و لا يمكن لرأى أفراد الأمة أن يعين الزعامه على الأمة على ضوء النظرة الإسلاميه، بل الإمامه فى عرض النبوه و تابعه للإراداه الإلهيه و هى منصب ربانى رفيع لا يشغله إلا من كان له علم كافٍ و درايه بالأحكام و التعاليم الإلهيه و إشاعه روح التوحيد، ليتسنى له الردّ على الشبهات و الإشكالات التى تثيرها سائر الأديان ضدّ الله و الدين، و تفنيد النظريات و الفرضيات الجديده التى تهدف إلى زعزعه أساس التوحيد. و على هذا فلا بدّ أن يكون عالماً بأفكار الناس و عقائدهم و اسلوب تفكيرهم، إلى جانب وقوفه على العلوم التى من شأنها تهديد الدين الإسلامى الحنيف. بل الإمام هو الشخص الذى لا تأخذه فى الله لومه لائم و لا يخشى القتال من أجل الإسلام، و ألا يُكلّف سوى نفسه فى هذا الشأن. و الإمام هو الشخص الذى لا تزحزحه الشدائد و الويلات و المصائب المروءه عن الاستقامه و الثبات على الحقّ، فهو مثال الصبر و الحلم.

و الإمام هو الشخص الذى ليس لـخارف الدنيا و زينتها من سبيل إلى روحه الآمنه و نفسه المطمئنه. و الإمام هو الشخص المُستقيم و الصامد المضحى الذى ليس لأفكار العامه و خرافاتها و انصياعها للأراجيف و الأوهام أن تبعده عن الدفاع عن العقيدة، و يعيش الاستقامه و الصلابه تجاه العواطف الطائشه البعيده عن التعقل و المنطق. و أخيراً فالإمام هو الشخص الذى يمتلك الشجاعه و الإقدام الذى لا يدعه يصمت مقابل القوه الجباره التى تناهض الله و الحق، بل تدفعه شجاعته لإحقاق الحقّ و الإفصاح عن حقائق الدين. ما مرّ معنا كان قبسات مقتضبه من شرائط الإمامه، و سنخوض بصوره أكثر تفصيل فى هذا الموضوع من خلال دراسه الآيات الأخرى الوارده بهذا الشأن.

الدليل الثانى من القرآن

اشاره

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا(١). كلمة «أمر» لفظ عامّ يشمل جميع الأقوال و الأفعال، و يمكن اعتباره هنا بمعنى أعمال المجتمع و شئونه. و لا يُستبعد هنا أن يكون المراد بالأمر المعنى الاصطلاحي، فيكون المراد بأولى الأمر فى هذه الحاله الأفراد الذين لهم صلاحية الأمرىه أو إصدار الأوامر، و كأنّ أوامرهم على درجه من الاعتباريه و وجوب الاتباع بحيث عرفوا فى القرآن بهذه الصفة «اولى الأمر» أى الأفراد المطاعون فى كلّ ما يأمرون به، فالصفة المذكوره ملازمه لهم، و هى من قبيل الصفة التى ينعت بها بعض الناس الذين ينشطون فى مجال الصناعه و الاستثمار، حتّى صارت صفتهم التى يعرفون بها فيطلق

عليهم أصحاب الصناعات. و بناءً على ما تقدّم فإنّ هناك جماعة من الناس تميّزت في إسلاميتها بحيث وجبت طاعتهم فيما يأمرون و ينهون، و منصبهم هو منصب إلهي يتمييز بالإمره حتّى عرفوا بأنّهم «اولى الأمر». و بالطبع فإنّ هنالك مسألة لم يلتفت إليها البعض من أولئك الذين خاضوا في مصداق اولى الأمر أو استغرقوا في مفهومه، فذهبوا إلى أنّ الأمر بمعنى شأن من الأفعال و الأقوال، ففسّروا اولى الأمر على أنّهم الأفراد الذين تكون كافّة الشئون و الامور تحت تصرّفهم و ولايتهم.

بحث في آية المباركة:

الطاعة هي اتّباع الأمر، إذن فمفهومها يفيد صدور الحكم و الأمر من المطاع، طبعاً الأصل الأوّلى هو عدم وجود حكمه و إمره لفرد على فرد آخر. فالإنسان كائن خُلِقَ حرّاً، و ينبغي أن يعيش الحريه في الفكر و العمل، فالحرية جزء من فطره الإنسان و الأصل الابتدائي لخلقته الإنسانيه، و ذلك لأنّه مجهّز بالفكر و العقل و الإراده، و لا معنى لسلبه حريه التفكير و الإراده، فهو إنّما يستطيع اتّخاذ القرار في تقرير مصيره و أعماله و أفعاله على ضوء العقل، الفصل المميّز للإنسان، فهو يشخص الأمور بقوّه العقل ثمّ تأتي إرادته في تحقيق الصالح من الطالح من الأعمال. و بناءً على هذا فهو حرٌّ و مختار في تقرير مصيره و أعماله و أفعاله على ضوء إدراكه و عقله، و ليس للآخرين من سبيل لأن يجردوه من حريته في الفكر و العمل و اتّخاذ القرار و أن يفرضوا قوتهم على إرادته. أضف إلى ذلك أنّ الفرد الذي يرى نفسه خاضعاً لتشخيص الآخرين و امتثال أوامرهم و نواهيهم إنّما هو فرد ذليل؛ لأنّه ليس هنالك من امتياز لأحد على آخر في الخلقه الاولى حتّى يستسلم فرد

لآخر، و لذلك نقول بأن الأصل الأوّلى هو عدم حكمه فرد لفرد آخر أو عدّه أفراد. و على ضوء ما تقدّم فإن كان هنالك بعض الأفراد الذين يتمتّعون ببعض السمات و الامتيازات فهم يتمتّعون ببعده الآمرية قطعاً. كالأفراد الذين يضاعفون من قواهم العقلية إثر كثره الدراسات و التحقيقات العلميه و التجارب فى الحياه، فتكون لهم قدره تميّزهم عن الآخرين فى تشخيص الأمور و تحديد العناصر الأساسيه التى تلعب دوراً فى تحقيق سعادته الإنسان و فلاحه، فمثل هؤلاء الأفراد و بفضل كونهم أكثر درايه و بصيره و أعظم قوه و اقتداراً و ملكه عقلية فى إدراك الأمور بما لا يسع الآخرين دركه أن يكون لهم حق الإمره و الحكمه على الأفراد الذين يفتقرون لتلك المواصفات. و لذلك نرى الفطره تقود إلى هذا النهج و الأسلوب، فالطفل الذى يقصّر عن تشخيص الأشياء أو يفتقر لهذا التشخيص يطبع والديه و يمتثل ما تقتضيه مشيئتهما، و هذا ما عليه الحال بالنسبه للجاهل تجاه العالم، و الفرد الخام إزاء الناضج، و القلق الخاوى حيال المستقرّ المحكم، فهو يطبعه و يقتفى أثره فى طريقه حياته. إذن فالأصل الأوّلى يفيد عدم تميّز الأفراد على بعضهم البعض، و الحرّيه فى العمل، و عدم حكمه فرد لآخر، إلّا أنّ هذا الأصل قد يخرق فى بعض الحالات و لا- يمكن تطبيقه، فإذا كان هناك شخص أو أشخاص يتمتّعون بقدرات فكريّه و عقلية تفوق الآخرين، فإنّ الفطره تقتضى فى هذه الحاله بضروره تبعيّة الجاهل للعالم و الناقص للكامل و الضعيف للقوى. أمّا الأمر المهمّ الذى لا ينبغى أن يغيب عنّا هنا هو أنّ طاعه الجاهل للعالم لا تقتصر على علمه فقط، و انقياد الفرد البسيط للناضج الحكيم إنّما يختص بما له فيه الحكمه و هكذا دواليك. و لكن إذا فرضنا فرداً كان نموذجاً للآخرين فى تجاربه، و يفوق جميع الناس

علمًا وعملاً و قدره و بصيره و فكراً و إحاطه بدقائق الأمور، و كان وجوده علمًا و إدراكًا و درايه و حكمه، و لم يقصر ببصره على الدنيا، بل امتدّ نظره إلى الآخرة بما يجعله قادراً على إرشاد الناس و هدايتهم إلى الفلاح و السعادة و الفوز بالحياه الأبدية، بل إذا كان علمه خارقاً محيطاً بجميع الكمالات و السعادات الأبدية، و كان له عقل نوراني ليس معه ظلمه، بل كان كائناً ملائكياً و منبعاً للفضائل و الخصال الحميده، فهل ترى الفطره في هذه الحاله أن تكون طاعته محصوره في حدود معينه، كأن يُطاع في مورد و يعصى في آخر؟ أم أنّ الفطره تقتضى التسليم له و أتباعه حيثما حلّ و الاستسلام إلى حكومته و تفويضه كافه مقدّرات حياته، ليتسنى له أن يبلغ الكمال الإنساني، و بالتالي يكون المجتمع مجتمعاً مقتدرًا فاضلاً يسوده العدل و القسط حتّى تصبح البلاد في ظلّ طاعته بمثابة المدينه الفاضله؟ لا شكّ أنّ حكم العقل و اقتضاء الفطره يرى أنّ طاعه مثل هؤلاء الرجال العظام لا بدّ أن تكون طاعه مطلقه عمياء، و سوف لن تعدّ هذه الطاعه مذمومه، و لا تتعارض مع الوجدان و العقل و لا تتضارب و الطبيعه الأولى في عدم أحقيته حكومه فرد لآخر، بل هي طاعه سليمه كما يراها العقل و يدعو إليها. فالذى نخلص إليه ممّا سبق أنّ الأصل الأولى و إن أفاد عدم حكومه و إمره فرد على آخر، إلّا أنّ هذا الأصل لا يصدق في بعض الأحوال؛ لأنّ العقل يحكم بلزوم طاعه الأئمّه لأفرادها من ذوى الفضل و الكمال، لكن إذا كان فضله و امتيازته محدوداً كانت طاعته محدوده أيضاً، و إن كانت امتيازاته مطلقه كانت طاعته مطلقه في كلّ شىء .

لمن الطاعه؟

سؤال: إنّ ما قيل على سبيل الفرض هو عين الصواب؛ لأنّ العقل يقضى

بالطاعة المطلقة للإنسان بالصيغة المذكورة سابقاً، أى إذا كان المُطاع هو فرد أكمل من الجميع فى كافه الكمالات و أعلمهم فى جميع العلوم الإنسانيه و أعرفهم بسبيل سعاده الإنسان و فلاحه، فإنّ العقل يحكم بجواز بل بوجوب طاعته، و لكن أين مثل هذا الفرد؟ و لمن ينبغى أن يسند هذا المقام لنطيعه؟ جواب: لقد تكفّلت الآيه القرآنيه - آنفه الذكر - بحلّ إشكاليه هذا السؤال، فالطاعة المطلقة لله، و الله هو الذى عدّ طاعه الرسول كطاعته، كما أنّ الله هو الذى أوجب طاعه أولى الأمر. و عليه فمصدق ذلك الفرد ليس سوى رسول الله و أولى الأمر، لكن يبدو أنّ هناك نقطه مهمه وردت فى الآيه لا بدّ من الالتفات إليها، فقد وردت لفظه «الطاعة» مكرّره فى الآيه، حيث قالت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ نفهم من هذا التكرار أنّ طاعه رسول الله فى طول طاعه الله، فطاعه الله لا- ينبغى أن يتخللها أى تأمل و لا يشوبها أى توقّف، أمّا طاعه الرسول الواقعه فى طول طاعه الله فهى إنّما تنتهى إلى إرادته الله و تؤدّى إلى تحقّق التوحيد و العدل و الفضائل، و إلّا فإنّ طاعه الرسول ليست لازمه قطّ إذا كانت على الخلاف من ذلك، و كان السبيل الذى يسلكه لا ينتهى إلى الله و الفضيله و تحقيق السعاده للناس و لا يقود إلى الكمال، بينما قال سبحانه وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أى أنّ ما يقوله إنّما هو الشىء الذى يجب أن يؤول إليه البشر، و الحكومه التى ينهض بها إنّما تمثّل الحكومه التى يجب أن تنضوى كافه الإنسانيه تحت لوائها، لتتمكّن الأممه فى ظلّ تلك الحكومه و زعامه ذلك القائد أن تنال الحياه الآمنه و الوادعه المستقرّه المشتمله على السعاده، و أن تجعل دنيا الناس حرّه سعيده متّصله بالآخره بعيده عن كلّ خمول و تخلف، سواء فى الحياه الدنيويه أو فى كسب الفضائل و التزوّد للحياه الاخرويه الأبدية. ثمّ أردفت عبارته الآيه أَطِيعُوا اللَّهَ بقوله تعالى: وَ أُولَى الْأَمْرِ و لم تتكرر

كلمه «الطاعة» و يعود عدم تكرار الطاعة إلى تساوى و وحده هدف طاعة الرسول و طاعة أولى الأمر، فكما أنّ طاعة الرسول تؤدى إلى السعادة و الفلاح و حكومته تبسط الاستقرار و تشيع الخير و الصلاح فإنّ طاعة أولى الأمر كذلك. إذن فطاعة الرسول هى طاعة أولى الأمر، و ليس هنالك أدنى تفاوت و اختلاف فى الآثار و الفوائد التى تترتب على كلّ طاعة، سواء كانت طاعة الرسول أم طاعة أولى الأمر. و عوداً إلى الآيه الشريفه، فإنّها ذكرت طاعة النبى و أولى الأمر و أوجبتها بصوره مطلقه، و حيث أوردتها على نحو الإطلاق، فإنّ ذلك يعنى أنّ طاعتهم لازمه فى كلّ الأمور. و على ضوء هذا الإطلاق و ما ورد فى المقدمه يتحصّل أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و ولاه الأمر إنّما هم أفراد يتمتّعون بقوى و قدرات تفوق سائر البشرى، كما يتبيّن أنّهم فى قمه السموّ و ذروه الكمال الإنسانى، و هم أعظم من غيرهم فى العقل و الإدراك و البصيره و الخبره بكافه حوادث الدنيا و طرق السعادة و الفلاح، بحيث يحكم العقل و تقضى الفطره بوجوب تسليم كافه العقلاء و العلماء و المجربين فضلاً عن سائر شرائح الأمّه لهم فى كافه شئون حياتهم الدنيويه و الأخرويه.

خلاصه البحث:

١- الأصل الأوّلى يقتضى عدم أحقيّه حكومه فرد أو أفراد لفرد أو أفراد من الآخرين. ٢- المبنى الأساس لصحّه هذا الأصل هو عدم وجود التمايز بين شرائح الأمّه من حيث قوى العقل و الإدراك و سائر الصفات و الخصائص المميزه، و ليس هناك من معنى للطاعة فى هذه الحاله سوى صوره واحده، و هى «الترجيح بلا مرجّح» و هذا الترجيح مرفوض بحكم العقل.

٣- يشدُّ هذا الأصل في بعض الحالات و لا يصحَّ تطبيقه، أى في الحالات التى يكون فيها امتيازات لفرد أو بعض الأفراد على الآخرين من حيث الفضائل المعنوية و القوى العقلية و البصيره بالأُمور، فإنَّ طاعه مثل هؤلاء الأفراد طبيعياً بل ضروره لازمه بحكم العقل و الفطره، إلّا أنّ هذه الطاعه إنّما تكون بمقدار الامتياز و مورده. ٤- إذا كان هناك أفراد يتمتّعون بامتيازات مطلقه غير محدوده فى كافه الكمالات، فإنَّ طاعه الآخرين لهؤلاء الأفراد بحكم العقل مطلقه لا تعرف الحدود، أى لا بدّ من اقتفاء آثارهم فى كلّ أمر و الائتمار بأوامرهم و نواهيهم و التسليم و الانقياد التامّ لهم. ٥- طالما أقرّت الآيه الكريمة طاعه الرسول و أولى الأمر فى طول طاعه الله و أوجبت على الأُمه مطلق الطاعه، فالذى يتبين على هذا الضوء أنّ ولاه الأمر فى الإسلام كرسول الله فى أنّهم ممتازون مطلقاً فى جميع الصفات الإنسانيه و الكمالات الروحيه. و هنا نقول بعد هذه الخلاصه: إنّنا نعرف رسول الله و هو محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله، و نعلم أيضاً بأنّه محيط من خلال الوحي بكافه الأسرار التى تتضمّن سعادته البشريه، حتّى أوجب القرآن الكريم طاعته المطلقه فقال: **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** (١). و لكن من هم أولى الأمر الذين جعل الله طاعتهم فى طول طاعته، ثمّ قرّن طاعتهم بطاعه رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فإن قلنا- على ضوء ما تقدّم-: إنّ القرآن و الإسلام لا يرى أنّ كلّ فرد يمكنه أن يكون من ولاه الأمر و إن تمّ اختياره من قبل الأُمه فإننا لم نقل جزافاً؛ و ذلك

لأننا ذكرنا سابقاً بأنَّ لأولى الأمر كما للرسول طاعه مطلقه، كما قلنا بأنَّ الطاعه المطلقه مساوقه و ملازمه للاشتمال على الامتيازات المطلقه، أى لا بدّ من القول- على ضوء هذه الآيه دون تفسيرها و تعيين مصداقها- بأنَّ اولى الأمر لا بدّ أن يكونوا أفراداً ممّن يستند علمهم إلى معدن الوحي، و إلما يكون علمهم جهلماً مرّكباً، و ألاً يقتصر على مائه آيه أو أقلّ أو أكثر، كما لا يكون علمهم مستنداً إلى تجارب معينه أو دراسات و أبحاث اجتماعيه محدوده، بل لا بدّ أن يكونوا قد نهلوا العلم و رضعوه من ثدى الوحي، و أن يكونوا عالمين بالقرآن و السنّه محيطين بجميع أسرار الدين و مصير المسلمين و سبل السعاده و طرق الشقاوه، و لا بدّ أن يكونوا أفراداً ذوى بصائر مطلقه و تامّه بأوضاع المجتمع و روحيّات الأُمّه و فى اسلوبهم فى الحكم و زعامه المسلمين. و يجب أن يكونوا على درجه من الزهد و الورع و التقوى بحيث لا تحرفهم زخارف الدنيا و زبرجها و حلاوه رئاستها عن جادّه الصواب و سبيل الحقّ، و ينبغى أن يكونوا على درجه من التوسّم و قوّه التشخيص بما يحول دون خطأهم و زللهم، حتّى لا يصدروا جزافاً الأحكام الخاطئه و القوانين المخالفه للقرآن و السنّه فيخزّبوا البلاد و يُهلكوا العباد، كما لا بدّ أن يكونوا معصومين من الذنب و الخطأ و الاشتباه، و أخيراً ينبغى ألاً يبخلوا بالتضحيه بالغالى و النفيس و الجود بالنفس من أجل عظمه الإسلام و تحقيق عزّه المسلمين و رفعتهم، و ألاً تأخذهم فى الله لومه لائم فى إحقاق الحقّ و استيفاء حقوق المسلمين، و ألاً يألوا جهداً فى الدفاع عن القرآن و الإسلام و تطبيق الأحكام و التعاليم الإسلاميه. إذن و على ضوء سياق الآيه و ما يفهم منها نعرف من هم أولى الأمر؟ فالذى يمكن فهمه من قوله تعالى: وَ أُولَى الْأَمْرِ أَى و أطيعوا أولى الأمر- فإنّ طاعتهم هى طاعه رسول الله، و أنّ طاعه رسول الله إنّما هى بمثابه طاعه الله- هو أنّ أولى الأمر الذى أوجبت الآيه الكريمه طاعتهم ليسوا إلّا أولئك الذين رضعوا من ثدى

الوحي عرفوا كتاب الله، و علموا بما يجرى على المسلمين من حوادث، و أحاطوا بكافه أحكام الإسلام استناداً إلى منطق الوحي. نعم، لا- يمكن أن يكون ولاء الأمر سوى أولياء الله الذين يتصفون بالورع و التقوى و الزهد و البصيره و الدرايه و الزهد و العصمه و الشجاعه و السماحه و المروءه و التضحيه من أجل حفظ كيان الإسلام و الذود عن أحكام القرآن.

مزيد من الضوء على آيه أولى الأمر:

ذكرنا آنفاً أن الآيه الكريمه تفيد عدّه أمور: ١- كون الطاعه المطلقه و مطلق طاعه الله و الرسول و أولى الأمر واجباً و فريضه. ٢- هناك سنخيه بين طاعه الرسول و طاعه الله، أى أن الرسول لا يهدف فى أمريته سوى رضا الله و تحقق التوحيد و سعادته الأئمه، و أن كل ما يأمر به إنما يستند إلى حقيقه الوحي و البصيره التامه و العلم الشامل بمصير البشريه و الصراط المستقيم الذى ينبغى أن تسلكه الإنسانيه جمعاء. ٣- طاعه أولى الأمر مساوقه لطاعه رسول الله، و عليه فلا- بدّ من الإذعان لهذه الحقيقه، و هى أنهم يستندون فى منطقتهم على غرار رسول الله إلى الوحي، و هم يحوزون على ذات البصيره و العصمه عن الخطأ التى حاز عليها رسول الله، و إلا لما جازت طاعتهم المطلقه فى كافه شئون الحياه الدنيويه و الأخرويّه. و لكن هناك نقطه لا بدّ من عدم إغفالها؛ و هى أن ولاء الأمر لا- يتلقون الوحي - كالرسول- إلا أن علمهم إنما يأتى عن طريق مجارى الوحي و تعاليم رسول الله لهم، و لكن حيث قرنت طاعتهم بطاعته فإن ذلك يوجب علمهم و معرفتهم بكافه الحوادث الخفيه التى يعلمها الرسول و يحيط بها.

أجل، إنَّ مغزى هذا الكلام هو تعيين مصاديق أولى الأمر، و لا- نرى من حاجه إلى التعيين من خلال سائر الأدلّه، و على هذا الضوء لا- بدّ من القول بأنّ جميع الأخبار و الروايات المتواتره التي صرّحت بأنّ أولى الأمر هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام، لا تعتبر من قبيل الأدلّه التعبدية التي تفرض علينا التّعبد بها دون الحاجة إلى إقامة البراهين العقلية؛ و لا بدّ من القول أيضاً بأنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام قد أشاروا لما من شأنه أن يفيد التأمّل و التمعّن في مفاد الآيه الكريمة، و لم يستندوا في ذلك إلى علمهم بالمغيبات لعدم وجود ضروره تدعو إلى مثل ذلك. و بعبارة أخرى: فإنّ كون الأئمّه الأطهار مصداقاً لعنوان «اولى الأمر» إنّما هو تعيين قهري لا تعيينهم هم أنفسهم، و إذا تتبعنا الأخبار فهي ليست سوى إضافه و تصريح لما أفادته الآيه الكريمة، و لا يسعنا هنا إلّا أن نذكر بعض النماذج من الروايات التي صرّحت بولاه الأمر، لعلنا نتوقّف بصورة أعمق و أكثر جدية على الحقائق، و إليك ما ساقه الأئمّه الأطهار عليهم السلام بشأن هذه الآيه و سائر الآيات المماثله:

الحديث الأول:

ابن بابويه الصدوق قال: حدّثنا غير واحد من أصحابنا قالوا: حدّثنا محمّد ابن همام، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزاري، عن الحسن بن محمّد بن سماعه، عن أحمد ابن الحارث قال: حدّثني المفصّل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله على نبيه محمّد صلى الله عليه و آله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: هم خلفائي يا جابر و أئمّه المسلمين من بعدى، أولهم على بن أبي

طالب، ثم الحسن ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف فى التوراه بالباقر، و سندر كه يا جابر، فإذا لقيته فأقرأه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم الحسن بن على، ثم سمى محمد و كنى حجه الله فى أرضه و بقيته فى عباده ابن الحسن بن على»(١).

ملاحظه:

فى الروايه عدد من النقاط الجديره بالاهتمام، و هى: ١- لقد فهم جابر من الآيه الكريمه عين ما ذكرناه كراراً سابقاً، كما ذهب إلى أن طاعه أولى الأمر مماثله و مشابهه لطاعه رسول الله صلى الله عليه و آله. ٢- لقد عبّر رسول الله صلى الله عليه و آله عن ولايه الأمر بخلفائه و أئمه المسلمين بعد رحيله، و الحال ليس هنالك من معنى للخليفه سوى الخلافه فى المناصب و الوظائف الرساليه. ٣- لقد ذكر رسول الله صلى الله عليه و آله أسماء الأئمه من بعده الذين لم يلدوا ذلك الحين، كما ذكر خصال إمامين منهم، و أن تسميتهم بأسمائهم و ذكر بعض صفاتهم و الإخبار عن لقاء جابر للإمام الباقر عليه السلام إنما يدل على أن ذلك الإخبار كان مستنداً للوحى، و أن الوحى هو الذى صرح بأسمائهم و ولايتهم؛ فالذى نخلص إليه من هذه الروايه هو أن الله عين هؤلاء الأئمه لا رسول الله صلى الله عليه و آله. بعبارة أخرى: هناك فرض يصرح بأن الإمامه بعد النبى صلى الله عليه و آله كانت متروكه له، فالنبى يستخلف من يشاء، حيث فوض الله له ذلك. كما هناك الفرض الآخر الذى يذهب إلى أن الله سبحانه هو الذى عين الأئمه و بين صفاتهم للنبى صلى الله عليه و آله،

١- كمال الدين: ٢٥٣ ح ٣، و عنه تفسير كثر الدقائق ٢: ٤٩٣.

و الروايه دليل على صحّه الفرض الثانى، و بناءً على هذا فإنّ الأئمه الأطهار هم خلفاء النبى وقاده الأئمه و زعماء الدين إلى يوم القيامه، و أنّ خلافتهم تستند إلى نصب إلهى، و أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لم يذكر أسماءهم و صفاتهم إلّا عن طريق الوحى.

تحقيق آخر فى الآيه:

ما المراد بالطاعه التى يؤخذ بنظر الاعتبار فى مفهومها الأمر و الأمر؟ هل تختصّ طاعه و لاه الأمر ببيان أحكام الله و الحلال و الحرام، أى هل يجب على الأئمه أن ترجع إليهم و طيعهم فى الواجبات و المحرّمات و المستحبات؟ و بعبارة أخرى: هل أنّ الأمر بالطاعه هو أمر إرشادى يقتصر على رعايه امتثال الأحكام الإلهيه و تطبيقها على أقوال و لاه الأمر و الأئمه الأطهار عليهم السلام، و أن ليس هنالك أيّه طاعه خارج بيان الأحكام؟ فيكون معنى الآيه الكريمه، أن ارجعوا فى تشخيص الواجبات و المحرّمات إلى النبى و الإمام و أطيعوهما؟ أم أنّ و لايه الأمر تعنى و لايتهم للمسلمين فى كافّه الشئون الاجتماعيه و السياسيه الفرديه و الجماعيه التى تتعلّق بمصير و تعيين أسلوب الحكم، و أنّ و لايتهم فى هذا الحكم إنّما تركز على تعاليم الإسلام؟ أم أنّ الطاعه المُفترضه أبعد من هذين الاحتمالين، أى لا بدّ من وجوب طاعتهم فى الواجبات و المحرّمات و المستحبات و المكروهات و المباحات، كما تجب طاعتهم و الإذعان لهم فى كافّه الشئون الاجتماعيه و السياسيه و شئون الحكم و تطبيق الإسلام على أنّهم قادة المسلمين و زعماء الحكومه الإسلاميه؟. يبدو أنّ الاحتمال الثالث هو الأقوى و الأتمّ، أى أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام هم زعماء و أدلاء على الطريق مطاعون فى الأحكام التعبديّه، كما أنّهم رؤساء الحكومه الإسلاميه و الحاكمون على مقدّرات العالم الإسلامى و مطبّقو الأحكام

والتعاليم القرآنيه؛ لأنَّ ظاهر الآيه أولى الأمرِ يقول: و أطيعوا أولى الأمر، و لو اقتصررت طاعتهم على الأحكام التعبدية لما كان هناك من انسجام بين هذا الأمر و التعبير عنهم بولاه الأمر، فالأمر الذى يُعنى به الشأن أو ذلك المعنى الاصطلاحي لا يمكن الاقتصار به على أحكام الإسلام، بل يمكن القول: إنهم ليسوا أمرين فى تفسير أحكام القرآن و بيان السُّنة النبوية، إنما هم مفسِّرون و شارحون. و من هنا يتبين أنَّ ولاية الأمر تشتمل على معنى أكثر شمولية من تفسير القرآن الكريم و تبين الحلال و الحرام. و عليه: فإنَّ طاعه و لاه الأمر تعنى الانقياد لهم فى كافَّة الشئون الاجتماعية و المهام السياسية للبلاد الإسلامية، و إذا أصبحوا هم القادة و الزعماء و جب أن تكون للإسلام مؤسِّساته و جمعياته و حكومته التى تستند إلى القرآن و السنة النبوية، فالأئمة الأطهار هم رؤساء هذه الحكومه، و كما استطاع رسول الله صلى الله عليه و آله أن يشكّل الحكومه الإسلامية و يدير شئون البلاد، فقد تزعمها كذلك أمير المؤمنين على عليه السلام معتمداً نفس الاسس و الخطط التى اعتمدها النبى صلى الله عليه و آله. و لدينا بعض الروايات التى تؤكّد هذا الأمر: فقد صرّحت بعض الروايات المعتره فى كتاب الكافى و غيره بهذا المضمون:

«نزلت: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول ... فقال رسول الله صلى الله عليه و آله فى على عليه السلام: ألا- من كنت مولاه فعلى مولاه» (١). إذن فالآيه «أطيعوا الله ...» بانيه دعامة الوحده الإسلامية و الحكومه الإسلامية، و معتبره الأئمة الأطهار زعماء هذه الحكومه.

الحديث الثانى:

محمد بن يعقوب الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن

١- الكافى ١: ٢٨٦ ح ١، و عنه تفسير كنز الدقائق ٣: ٤٩٦-٤٩٧.

يونس، عن حمّاد بن عثمان، عن عيسى بن السرى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام:

حدّثنى عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملى و لم يضرّنى جهل ما جهلت بعده، فقال: «شهادته أن لا إله إلا الله، و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله، و الإقرار بما جاء به من عند الله، و حقّ فى الأموال من الزكاه، و الولاية التى أمر الله بها و لايه آل محمّد صلى الله عليه و آله- إلى أن قال:- قال الله عزّ و جل: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فكان علىّ عليه السلام، ثمّ صار من بعده حسن، ثمّ من بعده حسين، ثمّ من بعده على بن الحسين، ثمّ من بعده محمّد بن على، ثمّ هكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلاّ بإمام»(١).

الحديث الثالث:

محمّد بن يعقوب الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن أبى عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزّ و جل: فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً(٢) جعل منهم الرسل و الأنبياء و الأئمّه، فكيف يقرّون فى آل إبراهيم عليه السلام و ينكرونه فى آل محمّد صلى الله عليه و آله؟ قال: قلت: وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّه، من أطاعهم أطاع الله و من عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم(٣). و هنا لا- بدّ من الالتفات إلى أنّ «الملك» بمعنى البلاد بضمّ الميم و بكسرهما يعنى المال، كما يُقال: المَلِكُ لصاحب البلاد؛ و المالك لصاحب المال؛ و لذلك فالله سبحانه هو ملك الوجود و مالكة قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ... (٤) و حيث كانت مالكيه الحقّ

١- الكافى ٢: ٢١ ح ٩.

٢- سورة النساء: الآية ٥٤.

٣- الكافى ١: ٢٠٦ ح ٥، و عنه تفسير كنز الدقائق ٢: ٤٨٢-٤٨٣.

٤- سورة آل عمران: الآية ٢٦.

تبارك و تعالیٰ على الإطلاق مالكيه حقيقه لا اعتباريه؛ لذلك يُقال له: «مالك الملك». إذن فقولنا: صاحب المُلْك و صاحب المِلْك لا يتنافى و الآيه القرآنيه الكريمه، و هناك الآيات القرآنيه الأخرى التى تؤيد هذا المعنى فى أنَّ المَلِك بالضمّ يعنى به البلاد، فقد صرّحت الآيه قائله: وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخِطَابَ (١) إلّا أنَّ هذه الآيات التى تتحدّث عن المَلِك لا تقتصر على الإشاره إلى البلاد، بل الأهمّ من ذلك: أنّها تتحدّث عن صاحب البلاد، فمثلاً هذه الآيه التى تقول بخصوص نبى الله داود: وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ تفيّد أنّ البلد الذى يقوده داود عليه السلام قد أصبح بلداً قوياً إثر زعامته و قيادته، و كأنّ الذى يتبادر من الآيه أنّ قوّه البلاد إنّما تكمن فى قيادته و زعامته القويّه و العالمه المقتدره، إذن فالمَلِك العظيم هو البلد القوى الذى يحكم من قبل زعيم قوى و مقتدر و عالم، بحيث إذا قيل: البلد الفلانى هو بلد قوى و واسع و عامر، كان لا بدّ من الإذعان إلى أنّ هذه المنعه و القوّه إنّما تعود إلى زعامه ذلك البلد. إذن فالمَلِك العظيم من وجهه نظر القرآن إشاره إلى امتلاك الزعامه الناجحه، و هذا بدوره يزيح السّيتار عن أمر عظيم فى العثور على بلد عامر و قوى و مستقلّ من شأنه أن يلعب دوراً عالمياً من خلال اعتماده على ذاته و مقوماته، أى أنّ رمز ظهور مثل هذه البلدان ليس سوى امتلاكها لزعيم قوى مقتدر. و بناءً على هذا فإنّ قول الباقر عليه السلام هو عين الصواب، و حقاً إنّهُ لباقر علوم الأوّلين و الآخريين إذ قال عليه السلام: «المَلِك العظيم أن جعل فيهم أئمّه...» و من هذه الجبهه فإنّ هذه الآيه دليل واضح على وجوب كون الأئمّه الأطهار همّ زعماء البلاد و قاده الأئمّه، فإذا ما كانوا قاده الأئمّه كانت بلاد المسلمين قويّه مقتدره.

الحديث الرابع:

من الروايات المشهورة والمعروفة بين الفريقين التي لا يشكُّ أحد في تواتر صدورهما عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله روايه الثقلين، و التي يمكن الجزم بأن دلالتها صريحه في وجوب طاعه الأئمه الأطهار عليهم السلام. و قد صرَّح العالم النحرير شيخ المشايخ و استاذ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصارى في كتاب الرسائل - الذى يعدُّ من الكتب النفيسه فى أصول الفقه - فى فصل حجّيه ظواهر الكتاب (١) قائلاً: «ليس لخبر الثقلين من ظهور سوى فى وجوب طاعه القرآن و العتره و حرمة مخالفتهم». و هنا لا بدّ من القول: بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إنّما قال حديث الثقلين تأييداً و بياناً لقوله سبحانه: أَطِيعُوا اللَّهَ و على ضوء الخبر فإنّ العتره لا بدّ أن تكون فى عرض القرآن الكريم، فالقرآن مُطاع و العتره مُطاعه كذلك. و القرآن كتاب سماوى محيط عليم بكافه الحوادث و الوقائع التي يعيشها المسلمون، و قوانينه جاريه إلى يوم القيامة، و هى أساس تشكيل الحكومه الإسلاميه على مدى التاريخ، و العتره المُرادفه للقرآن كذلك، و لذلك حين تطالعنا الأخبار المتظافره التي تصف أمير المؤمنين على عليه السلام بأنّه القرآن الناطق (٢) و الكتاب السماوى هو القرآن الصامت فبالالتفات إلى آيه أَطِيعُوا اللَّهَ و حديث الثقلين، و لا ينبغي أن يكون هناك شكّ و ترديد فى هذا الأمر. و رغم كون هذا الأمر غتياً عن التوضيح و أنّ مفاد خبر الثقلين هو ذات مفاد آيه أَطِيعُوا اللَّهَ و لحصول المزيد من الاطمئنان، لا بأس بتسليط الضوء على هذا الأمر، فنقول: هناك نوع من تجريد الفرد المطيع من الاختيار فى حياته فى ظلّ الطاعه

١- فرائد الاصول، المعروف ب«الرسائل» ١: ١١٩.

٢- بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٧٢.

المطلقه، و ذلك لأنّ المطيع إنّما يجعل فكره و إرادته و عمله تحت تصرّف المُطاع، و قد ذكرنا بأنّ علّه طاعه المُطاع بنحو مطلق هي كون المُطاع يمتلك علماً مطلقاً، و بصيراً و ذا درايه بكافه سبل الهدايه و طرق السعاده و الفلاح، و هو عارف بنمط الحياه التي يسودها الأمن و الاستقرار و السكينه، و التي لا- تعرف القلق و الاضطراب، كما أنّه خبير بكلّ ما يؤدّي إلى السعاده و الشقاوه، و حيث تحكّم الفطره بضروره التسليم لمثل هذا الفرد، كان لا بدّ من القول بأنّ الآيه أُطِيعُوا اللَّهَ إنّما توجب على الناس الانقياد و التسليم إلى الله و الرسول و ولاه الأمر، بالشكل الذي تكون فيه إرادته الناس تابعه إلى إرادته ذلك الفرد، فلم تعد لهم من إرادته، و هذا ما يمثّل منتهى الإدراك و العقل و الدرايه بحيث يكون الإنسان على هذا النوع من التسليم تجاه معلّميه من ذوى العلم و البصائر ليظفر بسعاده و فلاحه. هذا هو المعنى الذي نفهمه من الآيه الشريفه، و هو نفس المعنى الذي يفيد حديث الثقلين، لا سيّما بالالتفات إلى كلمه «التمسّك» الوارده في الحديث «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً: كتاب الله، و عترتي...» (١) فالتمسّك يعني التسليم و الانقياد للمتمسّك به، فهي لا- تفيد سوى الطاعه المطلقه للمُطاع التي صرّحت بها الآيه الشريفه. و أخيراً فإنّنا نرى أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد خلف للمسلمين ثقلين: الأوّل هو القرآن الكريم الذي يُعتبر دستور الحكومه الإسلاميه و ركنها الركين و قائدها، فإنّ الأئمّه الأطهار هم أساس الحكومه و زعمائها و ليس للأئمّه من سبيل سوى الانصياع لقيادتهم و الانقياد لهم.

خلاصه التحقيقات:

على ضوء الروايه المنقوله عن ابن بابويه القمي فإنّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله قد عيّن

ولاه الأمر، وقد كان مفاد الروايه- التي وردت بشأن الآيه القرآنيه- أَطِيعُوا اللَّهَ- أَنَّ الأئمه عليهم السلام هم اثنا عشر و أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبهم بوحي من الله، أى أَنَّ الله هو الذى نصبهم وجعلهم أئمه، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلما أن أبلغ المسلمين الخبر. كما أتضح من «التحقيق الآخر فى الآيه الكريمه» أَنَّ وظيفه الأئمه لا تقتصر على شرح و بيان الحلال و الحرام، بل هم زعماء الأئمه وقاده البلاد و رؤساء الحكومه الإسلاميه، و أَنَّ رسالتهم هى تطبيق التعاليم الإسلاميه و الأحكام القرآنيه فى العالم الإسلامى، و الأئمه مأموره بطاعتهم ليتمكّنوا من إجراء الأحكام الإسلاميه و يأخذوا بيد الأئمه إلى شاطئ السعاده و الفلاح، كما أَنَّ زعامتهم أبدية خالده، كما ذكرنا بعض الروايات التى تؤيد بل تشكّل الدليل القطعى على هذا المدعى، و قلنا بأنّ طاعه الأئمه لا- تعنى سوى أمريتهم و زعامتهم للحكومه الإسلاميه، كما فهمنا من روايه بريد العجلى عن الإمام الباقر عليه السلام بأنّ الأئمه إذا أفترت بمثل هذه الزعامه للأئمه، كانت حصيله هذه الزعامه بلاد واسع و مستقله و حرّه قائمه على أساس العدل و القسط، و قد ذكر الإمام بأنّ شرط الحكومه الإسلاميه العالميه و الملك العظيم إنّما يكمن فى زعامه الأئمه الأطهار و حاكميتهم المطلقه. كما ذكرنا بأنّ مفاد حديث الثقلين هو نفس مفاد آيه الطاعه، أى أَنَّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قد جعل القرآن و العتره الركيزتين الأساسيتين لقيام الحكومه الإسلاميه. و بناءً على ما تقدّم فليست هناك من حاجه لأن نستعرض سائر الروايات لإثبات ما ذا تعنى ولايه الأمر؟ و من هُم ولاه الأمر؟ و ما هى وظيفه ولاه الأمر؟ إلّا أنّنا نذكر بقضيه مهمه أشرنا إليها سابقاً، و هى أَنَّ شخصيه الإمام ليست شخصيه علميه شارحه و مفسره لأحكام القرآن الكريم و السنّه فحسب، بل

الإمامه مساويه للنبوّه و من المناصب الإلهيه، أى أنّ الله سبحانه قد جعل صفوه من الناس بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أئمّه الدين و جعل لهم الحكومه التى يصرفون شئونها بالاستفاده من علومهم التى ورثوها عن النبي صلى الله عليه و آله و لم يجعل الله الزعامه و الإمامه الإسلاميه إلّا إلى الصفوه التى اتّصفت بالزهد و البصيره و العصمه و الشجاعه و المروءه و التضحيه، العالمه بأوضاع الأممه و التى ليس لعلمها حدود بالحوادث الواقعه، ليبقى الدين خالداً أبدياً و الأممه قويّه مستقله سعيده فى دينها و دنياها، كما أنّ بقاء دين الحقّ و شعور المسلمين بالحياه الحرّه الكريمه و الاستقلال من شأنه أن يفجّر طاقاتها و يجعلها تعيش الحياه الهائنه و تسعى لنيل الحياه الأخرويه.

الإمام فى رساله سيد الشهداء عليه السلام

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى مقام الإمام فى رسالته التى بعثها ردّاً على رسائل أهل الكوفه الذين كتبوا إليه مطالبين بزعامته و تشكيل الحكومه الإسلاميه تحت لوائه فقال عليه السلام: «فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله و السلام»^(١)، فالرساله تشير إلى لحاظين مهمّين بالنسبه للإمام: اللحاظ الأول: ما هو مقام الإمام فى الأممه؟ فالإمام ليس ذلك الفرد الذى يقبع فى زاويه و ينأى بنفسه بعيداً عن التدخّل فى شئون الأممه و تحقيق مصالح عامّه الناس، بل لا بدّ أن يكون الإمام هو الآخذ بزمام الامور و على رأس الحكومه، و هو حاكمها المطلق الذى يسعى لاستيفاء حقوق الضّعفاء من الأقوياء.

١- الإرشاد لأبى عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبرى البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد (م ٤١٣). تحقيق مؤسسه آل البيت لتحقيق التراث، مجلّدان. نشر و طباعه دار المفيد ج ٢ ص ٣٩.

اللحاظ الثاني: إنّ وظيفة الإمام في هذه الحكومه هي العمل بالقرآن و تطبيق أحكامه و تعاليمه، فالقرآن لم ينزل لتقتصر الأمة على تلاوته، و تحتكم في عملها و وظائفها للقوانين الوضعيه التي يتدعها بعض الأفراد بما لديهم من أفكار و آراء؛ الأفراد الذين لا- يسعهم النظر إلى أبعد من الواقع الذي يعيشون فيه و يفتقرون للإحاطه التامه بجميع المصالح و المفاسد، فالمجتمع في ظلّ حكومه هؤلاء الأفراد يعيش في دوامه من القلق و الاضطراب و الفساد و الانحراف، فهي حكومه الأهواء و الشهوات التي تحرق الأخضر و اليابس من قيم الأمة. أجل لا بدّ أن يكون القرآن هو المنهج الذي تستمدّ منه القوانين في الدوله الإسلاميه التي يتزعمها الإمام، فتكون وظيفته الانتصار للمظلوم و بسط القسط و العدل، بحيث لا يطمع القوى في حيفه و لا ييأس الضعيف من عدله، و لا ينبغي أن ينحرف الإمام قيد أنمله في إجراءاته للقوانين الإسلاميه التي تضمن العدل و تزيل الظلم و الجور، و أن يحبس نفسه لله و لا يرى سوى رضاه. و بناءً على هذا لا ينبغي لأى عنصر سوى الحقّ أن يؤثّر على الإمام في بسطه للعدل و القسط، من قبيل النسب و الحصول على الجاه، و القبليه و القوميه، و ما إلى ذلك، و إلّا فهو أسير بيد الشيطان، و ليس لمثل هذا الفرد أهليه زعامه الإسلام و المسلمین. هذه هي وظائف الإمام، و لذلك قال أمير المؤمنين على عليه السلام حين ولى أمر الخلفه: «ليس أمرى و أمرکم واحداً، إني اريدکم لله و أنتم تريدونني لأنفسکم، أيها الناس أعينوني على أنفسکم، و أيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه و لأقودن الظالم بخزائمه حتى أوردنه منهل الحق»(١). فأمر المؤمنين إنّما يحكم من أجل الله، و حكومته إجراء العدل و الانتصار

للمظلوم من الظالم، لا يرى سوى الله و ليس للهوى من سبيل إليه. و بناءً على ذلك فمن وجهه نظر أمير المؤمنين و ولده السعيد الحسين الشهيد عليهما السلام أنّ الإمام هو ذلك الشخص الذى يهتئى نفسه لقياده المسلمين و زعامتهم، و أنّ الإمام هو الشخص الذى يتربّع على كرسى الحكم و يكون حكومه اجتماعيه فعّاله تستهدف تجسيد العدالة و الوقوف إلى جنب المظلوم، و تطبق القرآن الكريم فى المجالات المختلفه للحياه. و الإمام فى تطبيقه لهذه البرامج يكون شخصيه إنسانيه متساميه، لا يفكر بغير الله تعالى، و لا- مجال للأهواء و الشهوات فى إداره تلك الحكومه، و لا يحكم إلّا من أجل رضا الله تعالى. و إذا لم يتخذ القرآن الكريم برنامجاً لعمله، لا لأجل تثبيت سلطته الشخصيه، التى تجد طريقها إلى قلوب الناس من خلال إشاعه العدل و التوحيد، و من خلال هذا الطريق يحاول أن يثبت سلطته و يحكم سيطرته، بل تطبيق العدالة لأجل العدل و إصلاح البلاد و إعمار المدن، و إيواء المظلومين و الأخذ بحقّهم، و إحياء آثار النبوه، و حفظ كتاب الله، و أخيراً لإحياء اسم الله و دعوتهم إليه سبحانه و إقبالهم على الله تعالى بقلوب ممتيمه بحبّ الذات الأقدس. و لذلك يصف عليه السلام هدفه من الحكومه و زعامه المسلمين: «اللهم إنّك تعلم أنه لم يكن الذى فىنا منافسه فى سلطان و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لندّ المعالم من دينك و نظهر الصلاح فى بلادك، فىأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطله من حدودك»(١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسِوَفَ يَأْتِيَ اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (سوره المائدہ: الآيه ٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (سوره المائدہ الآيه: ٥٥). وَ مَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (سوره المائدہ: الآيه ٥٦)

الدليل الثالث من القرآن

إشاره

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (١). الولاية لله و الرسول، ثم لعدد من المؤمنين، و كلمه «الذين آمنوا» ذات دائره واسعه، ممّا حدا بالقرآن لقصرها على طائفه خاصه من المؤمنين فقال: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ. فليس لجميع المؤمنين الولاية على الآخرين، بل الولاية لفئه منهم، فإن قيل بأنّ «الذين آمنوا» لها ظهور فى عامه الأفراد، و هى تشمل كافه المؤمنين على نحو القضية الحقيقيه، و لا تُشير على نحو القضية الخارجيه إلى طائفه معينه، نقول: ليس لهذا الكلام من معنى قابل للإدراك و التعقّل؛ لأنّه لا يمكن أن تكون الولاية لجميع المؤمنين على أنفسهم، فولايه الجميع على الجميع لا- تكون سوى الفوضى و الهرج و المرج و انهيار النظام الاجتماعى، فى حين وردت الآيه القرآنيه فى مقام جعل

بناءً على هذا فإن هناك طائفة تقرّ بهذه الولاية «و من يتولّ الله...» و هناك طائفة يجب أن تكون هي المتولّيه للأُمور، و عليه: فعباره «و من يتولّ الله» إنّما تعيّن وظيفه المسلمين فى الانقياد للجماعه ذات الولاية، و العبارة «و الذين آمنوا» تعيّن ولاء المسلمين «إنّما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا». و بناءً على ما ذكر فإنّ العبارة «و الذين آمنوا» حصرت ولاء الإسلام فى جماعه خاصه و طبقه معيّنه محدوده، إضافه إلى ما ذكرنا من أنّ الآيه الكريمة وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ ... قد حثّت المؤمنين على الانضواء تحت ولايه تلك الجماعه المعينه و تشكيل حزب هو حزب الله الذى يتمتّع المسلمون فى ظلّه بالقوّه و المنعه بحيث لن تنالهم الهزيمه أبداً. فالذى نستفيدّه من الآيات الثلاث: - ١- تحذير الأُمّه من التراجع و النكوص عن دينها و خسارتها للمقام الذى جباها الله تعالى به، و تذكيرها بعناصر القوّه من جهه أخرى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ... - ٢- أنّ الأُمّه الإسلاميه محتاجه إلى مَنْ يقودها، و وليّ الأمر و القيم على أُمورها هو الله و النبى ثمّ طائفه من المؤمنين. ٣- الاستجابه لهذه الولايه ستؤدى - قهراً- إلى ظهور حزب قوى يتكفّل بغلبه الأُمّه على أعدائها و عدم الفشل و الهزيمه.

قضية مهمه:

كان بحثنا السابق يدور حول ظاهر الآيه الشريفه. أما إذا أردنا أن نخوض فى سبب النزول فإنّ المسلم به هو أنّ الآيه المباركه قد نزلت بشأن أمير المؤمنين على عليه السلام. فقد ذكر أبو ذر الغفارى: أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله صلى الظهر بالمسلمين، فدخل فقير المسجد و سأل فلم يجبه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء و قال: اللهم اشهد

إِنِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ نَبِيِّكَ فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئاً، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِعاً، فَأَشَارَ إِلَى السَّائِلِ بِيَدِهِ فَانْتَرَعَ خَاتَمَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفَرَّغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا سَأَلَكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَخِيهِ هَارُونَ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَتِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَاءَهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ بِالآيَةِ إِنَّمَا وَوَلِيِّكُمْ اللَّهُ... (١). هذه واحده من عشرات الروايات التي أشارت صراحة إلى مصداق قوله.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا نَرَى حَاجَةً لِلْخَوْضِ فِي الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي سَبَبِ النُّزُولِ؛ لِأَنَّهَا صَرَّحَتْ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلِمًا أَنَّ مِنْهَجَ الْكِتَابِ إِنَّمَا يَسْتَنْدُ إِلَى الْقُرْآنِ لَا الرِّوَايَاتِ. أَمَّا الْحَدِيثُ، فَقَدْ أَكَّدَ أَنَّ «وَالَّذِينَ آمَنُوا» إِنَّمَا هُمْ عَدَّةٌ خَاصَّةٌ، وَلَيْسَ لِلْجَمِيعِ النَّهْوُضُ بِهَذِهِ الْوَضِيفَةِ الْخَطِيرَةِ الْمَتَمَثِّلَةِ بِالزَّعَامَةِ، وَلَا يَنْبَغِي التَّصَدُّقَ لَهَا إِلَّا مِنْ قَبْلِ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ لَهُمْ صِلَاحِيهِ وَأَهْلِيهِ التَّصَدُّقِ، وَأَفْضَلُ نَمُودَجٍ لِلتَّصَدُّقِ لَهَا هُوَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. إِذَنْ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ قَدْ عَيَّنَ أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَشَارَ إِلَى زَعَامَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَقْتَصِرُ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى عُلَمَاءِ الشِّيْعَةِ وَكِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ، بَلْ ذَهَبَ مَفْسِّرُو الْعَامَّةِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَدْ شَحَنَ تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ بَعْدَهُ رَوَايَاتٍ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، وَعَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ. وَكَذَلِكَ عَنْ مَجَاهِدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَهُ طَرِقَ، وَعَنْ السُّدِّيِّ أَنَّ الْآيَةَ قَدْ وَرَدَتْ بِحَقِّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢)، وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فَلْيُرَاجِعْ مَا سَطَّرَتْهُ الْعَامَّةُ مِنْ كُتُبِ بَهَذَا الشَّأْنِ. وَبِنَاءٍ عَلَيَّ مَا سَبَقَ فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي آمَنُوا قَدْ أَشَارَتْ إِلَى مَوْقِعِ بَعْضِ

١- مجمع البيان ٣: ٣٤٦-٣٤٧.

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٧١.

المسلمين الذين لهم كفاءه التصدي لأمور المسلمين، و هذا ما عليه علماء الشيعة و السنّه في أنّ الآيه نزلت بشأن على عليه السلام و زعامته. و حيث لا- يعقل نهوض جميع المسلمين بمنصب الزعامه و الإمامه، و كان من القطع أنّ تكون آيه الذين آمنوا محصوره في بعض الأفراد الأكفاء، و ترى الشيعة بأنّ على عليه السلام من هؤلاء الأفراد، كما ترى العامه أنّ المراد بالآيه هو مولى المتقين على عليه السلام، كان لا بدّ من القول على ضوء اعتراف الفريقين و بالاستناد إلى عدم معقوليه كون المراد بالآيه الذين آمنوا عموم المسلمين، أنّ القرآن الكريم قد صرّح في هذه الآيه بإمامه المسلمين و قلدها ربيب النبوه على بن أبي طالب عليه السلام.

إشارة إجمالية إلى بعض الروايات الواردة في تفسير الآيات الدالة على الإمامه

يسرّنا هنا أن نتناول بالبحث بعض الروايات لنستمع من خلالها إلى ما صرّح به نفس الأئمه عليهم السلام بشأن ما أوردناه سابقاً من زعامتهم و إمامتهم: (١) وردت في كتاب وسائل الشيعة روايه عن الصدوق بسند معتبر عن المعلّى ابن خنيس، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّ و جل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (١) فقال: «عدل الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، و امرت الأئمه أن يحكموا بالعدل، و امر الناس أن يتبعوهم» (٢). (٢) كما وردت روايه عن الكليني: محمّد بن يعقوب عن عدّه من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي

١- سورة النساء: الآيه ٥٨.

٢- الفقيه ٣: ٢ ح ٢، و عنه وسائل الشيعة ٢٧: ١٤، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي ب ١ ح ٣٣٠٨٤.

عبد الله عليه السلام قال: «أتقوا الحكومه؛ فإنَّ الحكومه إنَّما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبيّ أو وصيّ نبيّ» (١). (٣) و روى العياشي أنّ سعد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الآية الشريفة:

لَيْسَ الْعَجْرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٢) فقال: «آل محمّد صلى الله عليه وآله أبواب الله و سبيله و الدعاة إلى الجنّه و القاده إليها و الأدلاء عليها إلى يوم القيامة» (٣). (٤) نقل حمزه بن الطيار أنّه عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتّى إذا بلغ موضعاً منها قال له: «كفّ و اسكت، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا- تعلمون إلّا الكفّ عنه و التثبّت و الردّ إلى أئمة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد و يجلوها عنكم فيه العمى، و يعزّفوكم فيه الحقّ. قال الله تعالى:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤)» (٥). (٥) و نورد هنا بعض ما أوصى به أمير المؤمنين على عليه السلام لكميل: «يا كميل لا تأخذ إلّا عنّا تكن ممّا... يا كميل هي نبوّه و رساله و إمامه، و ليس بعد ذلك إلّا موالين متّبعين أو عامهين مبتدعين، إنّما يتقبّل الله من المتّقين» (٦). (٦) الحديث المتواتر و المتّفق عليه من العامّه و الخاصّه و المعروف بحديث الثقلين الذي لم ينكره أحد، و أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قاله على سبيل اليقين، فقد عيّن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث وظيفه المسلمين إلى يوم القيامة، معتبراً فيه القرآن

١- الكافي ٧: ٤٠٦ باب أنّ الحكومه إنّما هي للإمام ح ١.

٢- سورة البقره: الآية ١٨٩.

٣- تفسير العياشي ١: ٨٦ ح ٢١٠، و عنه بحار الأنوار ٢: ١٠٤.

٤- سورة النحل: الآية ٤٣ و سورة الأنبياء: الآية ٧.

٥- الكافي ١: ٥٠ باب النوادر ح ١٠.

٦- تحف العقول: ١٧١ و ١٧٥.

و العتره الثقليين الذين لن تضلّ الامّه إذا ما تمسّكت بهما إلى يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وآله:

«إني تارك فيكم الثقليين ما إن تمسّ بكم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (١). (٧) هناك روايه صحيحه أو حسنه فى كتاب الوسائل عن محمّد بن يعقوب، عن على بن إبراهيم، عن أبيه و عن عبد الله بن الصلت جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث فى دعائم الإسلام، قال: «أما لو أنّ رجلاً قام ليله، و صام نهاره، و تصدّق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولا يه و لى الله فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ فى ثوابه و لا كان من أهل الإيمان» (٢). فالذى يتّضح من هذا الحديث أنّ الإتيان بالتكاليف و الوظائف الإسلاميه لا بدّ أن يكون من خلال إرشادات و ولايه الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم زعماء الدين وقاده المسلمين، و لا بدّ من تفويض الأعمال إليهم بهدف حفظ النظام الاجتماعى و منع الفوضى و الهرج و المرج. (٨) ورد فى الكتاب المذكور عن محمّد بن يعقوب، عن عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبى بصير يعنى المرادى، عن أبى عبد الله عليه السلام - فى قول الله عزّ و جل: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ (٣) - «فرسول الله صلى الله عليه وآله الذكر، و أهل بيته المسئولون و هم أهل الذكر» (٤).

١- كفايه الأثر: ٨٧؛ مختصر بصائر الدرجات: ٢١٣ ح ٢٥٤؛ المراجعات: ٢٧٩.

٢- وسائل الشيعة ١: ١١٩ ح ٢٩٨ نقلًا عن الكافي ٢: ١٩ ح ٥.

٣- سورة الزخرف: الآية ٤٤.

٤- وسائل الشيعة ٢٧: ٦٢ ح ٣٣٢٠٣.

دراسه ضروريه

استفاضت لدينا الروايات - كهاتين الروايتين - التي صرّح فيها الأئمة عليهم السلام قائلين: نحن أهل الذكر و حمله القرآن، و على الأئمة أن تأخذ بهدينا في عملها بالقرآن، فهذه الروايات تفوض المسئولية للأئمة عليهم السلام، و عليه: فلا بد أن يُنَاط حلّ المشاكل و إرشاد الأئمة و الأخذ بيدها - مع الأخذ بنظر الاعتبار تفسير الأئمة عليهم السلام للآيه الكريمة - بزعماء الدين. أمّا ما ورد في الآيه الشريفه وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ فَإِنَّهُ يَدْعُونَآ إِلَى التَّأْمَلِ فِي سوره الزخرف حيث تقول: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ(١)، فقد قال الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام: نحن قوم النبي صلى الله عليه و آله. فالآيه تصرّح بأن الصراط المستقيم هو القرآن، و قد قلّدتك القرآن - و الأئمة من بعدك - مسئوليّه خطيره، كما أفاض عليكم هذا الكتاب علماً و إدراكاً ليس لكم أن تنهضوا بعثه و مسئوليته. أ فلا نفهم من هذه الآيه و بضميمه الروايه أن المسئوليّه التي كلف بها رسول الله صلى الله عليه و آله قد كلف بها الأئمة الأطهار عليهم السلام أيضاً؟ أو ليست هذه الآيه في مقام نصب الأئمة كهدهاء للإمامه الإسلاميه على غرار النبي الأكرم صلى الله عليه و آله؟ بلى، الآيه الكريمة على ضوء تفسير الإمام قد جعلت الأئمة كرسول الله صلى الله عليه و آله هدهاء أدلاء على الطريق، و أن الصراط الذي يسلكونه هو الصراط الذي أوحاه لهم القرآن الكريم، و أن هذه الهدايه وظيفه خطيره و مسئوليّه عظيمه بحيث إنهم يُسألون عنها يوم القيامة: «و سوف يُسألون».

إذن فهم الأئمة و الزعماء إلى يوم القيامة، و عليهم أن ينهضوا بهذه المهمه و لا يتوانوا في أدائها، و ذلك أنهم مسئولون عنها يوم القيامة. و بناءً على ما تقدّم فالذى نستفيد من الآيه الكريمه و روايه التفسير: - ١- أنّ الأئمة عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه و آله هم هُداة و أدلاء على الطريق. ٢- أنهم إنّما يستندون إلى الآيات القرآنيه فى هذه الهدايه. ٣- أنّ وظيفه الأئمة كوظيفه النبي بالتمسك بالقرآن من أجل الهدايه. ٤- أنّ هذه الوظيفه - أى هدايه الأئمة بالقرآن - هى وظيفه أباديه إلى يوم القيامة. ٥- أنّ مسئوليته الأئمة كالنبي فى القيام بهذه الوظيفه، فهى مسئوليته كبيره و ليس لهم أن يقصروا فى أدائها. ٦- الأئمة كرسول الله صلى الله عليه و آله سيسألون يوم القيامة عن القيام بهذه الرساله الخطيره. ٧- للأئمة كما لرسول الله صلى الله عليه و آله إحاطه تامه بالقرآن و أسراره؛ لأنّه ذكر لهم كما هو ذكر لرسول الله صلى الله عليه و آله: وَ إِنَّهُ لَعِزُّكَ لَمَكٌ وَ لِقَوْمِكَ. و عليه: فإنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم زعماء مسئولون، و أنّ القرآن قد جباهم بشرائط الإمامه و ألهمهم الإحاطه بامور المسلمين، و عليهم أن يقوموا بوظيفتهم بإمامه كافه شئون المسلمين و حلّ مشاكلهم و تلبيه متطلباتهم، و أن يأخذوا بأيديهم من خلال التمسك بالقرآن إلى شاطئ الأمان و السعاده و الفلاح. ملاحظه: لقد تواترت الروايات التى تجاوزت حد الاستفاضه فى تفسير هذه الآيه، و من أراد المزيد من أجل الوقوف على صحه هذا الادعاء فليراجع الأخبار الوارده بهذا الشأن. ٨- ورد فى الكتاب المذكور و الباب المذكور عن الصدوق فى كتاب الأمالى و عيون الأخبار، عن على بن الحسين بن شاذويه، و جعفر بن محمد بن مسرور

جميعاً، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام - في حديث - أنه قال للعلماء في مجلس المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (١)**، فقالت العلماء: أراد الله بذلك الأمه كلها، فقال الرضا عليه السلام: **«بل أراد الله - عزّ وجلّ - العتره الطاهره» (٢)**.

بحث مختصر:

الاصطفاء: على وزن الافتعال و أصله من الصفو، و الصفو يعني الخالص، و عليه: فإن الاصطفاء يعني الانتخاب الخالص، و المصطفى يعني المنتخب الخالص «صفوه الشىء: خالصه». عباد جمع عبد، و العبد هنا بمعنى العابد، لا بمعنى المملوك؛ لأنّ جمع العبد بمعنى المملوك هو عبيد. قال الراغب الأصفهاني في المفردات: «و جمع العبد الذى هو مسترقّ عبيد، و جمع العبد الذى هو عابد عباد». و يؤيد القرآن الكريم قول الراغب، فقد نعت جميع الآيات القرآنيه التى تحدّثت عن الكُفّار الذين اتّبعوا هوى أنفسهم و الأوثان بالعبيد، بينما أطلقت لفظ «العباد» على من عبد الله سبحانه، و لم تستعمل لفظه «العباد» فى مقابل «الإماء» إلّا فى آيه واحده هى **وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ (٣)**، و لا- يبعد هنا أن تكون لفظه «العباد» قد جاءت من أجل التشاكل اللفظى.

١- سورة فاطر: الآية ٣٢.

٢- وسائل الشيعة ٢٧: ٧٢، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضى ب ٧ ح ٣٣٢٣٣ عن أمالى الصدوق: ٦١٥ ح ٨٤٣ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٨ ب ٢٣ ح ١.

٣- سورة النور: الآية ٣٢.

و يؤيد ذلك ما ورد فى النصوص الفقهيّة و آثار الأئمّه عليهم السلام، حيث وردت كلمه «العبيد و الإمام» حيثما كان الكلام عن العبد المملوك. على كلّ حال فإنّ العباد فى الآيه الشريفه هى جمع عابد. فقد ردّ الإمام الرضا عليه السلام على العلماء الذين قالوا: إنّ المراد بالآيه الشريفه الأئمّه كلّها، بأنّ الله أراد بها العتره الطاهره، فاحتجّ عليه السلام بالآيه الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا حَيْثُ الْمَصْطَفَى مِنَ الْعِبَادِ غَيْرِ جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهُوَ أَضْيَقُ دَائِرِهِ، وَ لَمَّا كَانَ الْمَصْطَفَى يَعْنَى الْمُنْتَخَبَ الْخَالِصَ، فَإِنَّهُمْ مِنَ الْعِبَادِ الْمَخْلُصِينَ وَ الْمُوَحِّدِينَ، وَ لِذَلِكَ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادُ مَصْطَفِينَ تَامَى الْإِخْلَاصِ فِي عِبَادَةِ الْحَقِّ. وَ بَعَارِهِ أَوْضَحُ: أَنَّ مُرَادَ الْآيَةِ: أَخْلَصَ النَّاسُ فِي عِبَادَةِ الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُوَحِّدِينَ، وَ لَيْسَ هُنَاكَ بَيْنَ النَّاسِ أَخْلَصَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى - بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - غَيْرَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَ لِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِبَادِ - هُنَا بِقَرِينَةِ الْإِصْطِفَاءِ - سِوَى الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، فَالْقُرْآنُ يَقُولُ: لَيْسَ لِكُلِّ فَرْدٍ وَرَاثَةُ الْقُرْآنِ، وَ إِنَّ وَرَاثَتَهُ مَخْتَصَّةٌ بِمَنْ اصْطَفَيْنَا مِنَ الْعِبَادِ، وَ قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ وَرَثَةُ الْقُرْآنِ، فَالْأَئِمَّةُ هُمْ وَرَثَةُ الْكِتَابِ، وَ لَمَّا كَانَ الْإِنْتِقَالُ مُعْتَبَرٌ فِي مَفْهُومِ «الْإِرْثِ» يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَا أَفَاضَ الْقُرْآنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ إِنَّمَا يَنْتَقِلُ إِلَى الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا أَفَاضَ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْعِلْمَ وَ الْحِكْمَةَ وَ الْإِمَامَةَ وَ الْوَلَايَةَ وَ الْمَسْئُولِيَّةَ وَ أَمْثَالَ ذَلِكَ، وَ عَلَيْهِ:

فَالْأَئِمَّةُ إِنَّمَا يَرْتَوْنَ هَذِهِ الْأُمُورَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ. فَكَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَالِمٌ بِدَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَ أَسْرَارِهِ، فَالْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَالِمُونَ بِهَا بِالْوَرَاثَةِ، وَ كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ يَدْرِكُ بِالْوَحْيِ بَطُونَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ لِلْأَئِمَّةِ مِثْلَ هَذَا الْإِدْرَاكِ وَ الْإِحَاطَةِ بِالْوَرَاثَةِ. وَ أَخِيرًا فَكَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَظِيْفَةُ الزَّعَامَةِ وَ تَفْسِيرُ الْأَحْكَامِ وَ بَيَانُ التَّعَالِيمِ وَ إِمَامَةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَإِنَّ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ وَرَثُوا عَنْهُ هَذِهِ الْوِظَائِفَ، وَ لِذَلِكَ

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الدَّارِ - أوائل بعثته النبي الأكرم صلى الله عليه وآله - جعل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام خليفته و نصبه إماماً، فقال: «هذا أخي و وارثي و وزيرى و خليفتى فيكم بعدى»^(١) و قد صرّحت بعض الروايات بأنّ عليّاً عليه السلام قال: «يا رسول الله و ما أرتكك؟»، قال: «ما ورثت الأنبياء قبلى: كتاب الله و سنتى»^(٢).

خلاصه ما مز:

إنّ الإسلام ليس دين الاعتزال و الرهبه، بل دين يشتمل على برامج و تعاليم من شأنها تنظيم حياه البشريه و ضمان المعيشه الهنيئه التى يسودها العدل و الإنصاف و المساواه و الإخاء و التساوى فى الحقوق الاجتماعيه المقرره لكل طبقه بما يصونها عن السلب و النهب، و إنّ هناك حاجه ماسّه فى هذا الدين لتدوين دستوره المتين الذى يقف حائلاً أمام الظلمه، فلا يدعهم يمدّون أيديهم ليعتدوا على حقوق الأمم، كما يتكفل بحفظ الشخصيه الإنسانيه لكل فرد فى المجتمع من سطوات الجبابره و عداوتهم، و تتحقق فى ظلّه العداله الاجتماعيه و التمتع بالحقوق الفرديه و الجماعيه و ارتفاع المستوى العلمى و الثقافى للناس و نيلهم السعاده الدنيويه التى تؤهلهم لنيل الخلود و استثمار الإيمان الذى يدعو إلى كسب الفضائل الأخلاقيه و المعنويه، و ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم هو دستور الإسلام الذى تكفل بتحقيق هذه الأهداف: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ**^(٣). إلّا أنّ هذا القرآن قد تعرّض لشئون حياه الأمم من خلال آياته الشريفيه، و لا تتفق هذه الآيات بأجمعها فى كيفيه شرحها لمفردات الحياه التى تعيشها الأمم،

١- علل الشرائع ١: ١٧٠، ب ١٣٣ ح ٢، و عنه بحار الأنوار ١٨: ١٧٨ ح ٧.

٢- تفسير فرات الكوفى: ٢٢٧ ح ٣٠٤، بحار الأنوار ٣٨: ٣٤٦ ح ٢١، تفسير الميزان ٨: ١١٧.

٣- سورة الإسراء: الآيه ٩.

فهناك بعض الآيات القرآنية التي وردت بصيغته الرمز والإشارة والكنيايه، بل وردت مُبهمه متشابهه بحيث قد تكون أحياناً أقرب إلى خلاف المراد في دلالتها اللفظيه، وهذا ما أشارت إليه الآية: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (١). فالقرآن شأنه شأن سائر القوانين، حيث وردت بعض نصوصه مجمله، و واضح أنّ المجمل يحتاج إلى ما يُفسِّره و يوضِّحه. و القرآن كسائر القوانين، قد يصدر أحكامه على نحو العموم ثم يخصصها بينما يصدرها على نحو الإطلاق لكنّها تتضمّن التقييد. فأحكامه على أنواع من قبيل العام و الخاص و المطلق و المقيّد و و القرآن يتطرّق أحياناً إلى قصص الامم الماضيه من أجل تحقيق بعض الأهداف الكبرى و إثبات دعوى النبوه، فيورد حقه تاريخيه عميقه في جمله قصيره مقتضبه، بالشكل الذي يتطلب الوقوف على تلك الحقائق إلى مؤرّخ عالم بنشوء الأديان و قصص سالف الامم و متخصص بلغه القرآن، و القرآن قد يصدر حكماً معيناً لمدته استناداً للمقتضيات السياسيه و المصالح الإسلاميه العليا ثم ينسخه بحكم حقيقى آخر لا بدّ من مراعاته و تطبيقه، و القرآن قد عيّن المقنن و المنفذ من أجل بسط العدل و القسط و تحقق الوحده و التضامن و المجتمع الإسلامى، ليتسنى للآمه أن تقيم الحكومه العادله فى ظل ولايه و زعامه هؤلاء الأفراد. و أخيراً فإنّ بعض الآيات القرآنيه تحمل رساله دعوى الناس إلى الصراط المُستقيم الذى يؤدّى إلى السعاده الأبدية و الجته الخالده، إلى جانب كسب الفضائل الإنسانيه و بلوغ السموّ و الكمال.

إذن فـدستور الإسلام هو القرآن، و إنّ الحياه الحره الكريمه المقرونه بالرفاه و السعاده فى القرآن. و القرآن طائفه من الآيات التى تشكّل موادها أساس النظام الداخلى للحياه، غير أنّنا رأينا أنّ آياته قد تكون مجمله و أحياناً مُتشابهه كما قد تكون أحياناً أُخرى مُطلقه أو مقيدَه و ناسخه أو منسوخه، كما فهمنا أنّ القرآن هو دعامة حكومه العدل و القسط بالنسبه للأمه الإسلاميه، و عليه شننا أمّ أبينا؛ فإنّ القرآن يتطلّب استاذاً ماهراً و دليلاً عليماً ليوضح مجمله و يحلّ معضله و يبيّن مطلقه من مقيدَه و يفسّر متشابهه، و أن يكشف الثّقاب عن قصص الامم السابقه بما يخرجها عن حاله الإجمال التى أوردها القرآن، و بالتالى عليه أن يميّط اللثام عن أسرارِه و يميّز ناسخه من منسوخه، ليجعل الأمه تقف بما لا يقبل الشكّ على مفردات دستور الإسلام من أجل تشكيل الحكومه الإسلاميه، ليتمكن المسلمون فى ظلّ حكومه العدل القرآنى من العيش بأمن و سلام فى حياتهم الدنيويّه، بالشكل الذى يمهد السبيل أمامهم لنيل سعاده الآخره. و بناءً على ما تقدّم فإنّ إدراك جميع حقائق القرآن- بغضّ النظر عن آياته الصريحه أو الظاهره- بحاجه إلى معلّم و دليل، و كذلك الحكومه الإسلاميه المستنده للقرآن بحاجه إلى إمام و ولى أمر. فالذى نخلص إليه هو أنّ القرآن محتاج إلى مرشد، و المسلمون أيضاً محتاجون إلى الإمام، و هنا لا بدّ أن نسأل: من هو المرشد إلى القرآن و إمام الإسلام؟ لقد دلّت الآيات و الروايات التى أوردها فى هذا الفصل أنّ المرشد الأبدى و الإمام الواقعى للمسلمين بعد النبى صلى الله عليه و آله و فى ظلّ تعاليمه هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام كما صرّحت الأخبار بأنّ الزعامه قد فوّضت إليهم إلى يوم القيامه (١)، و عليه فلن يسع

المسلمون قَطَّ أن يشكّلوا الحكومه العادله و المدينه الفاضله دون هؤلاء الهداه الذين لهم ولايه الأمر. فإن قال قائل: لسنا بحاجة لهذه المدينه الفاضله الإنسانيه، كما لا- نريد الحكومه القائمه على أساس القرآن، فالبشريه قد شكّلت الحكومه على أساس قدراتها العلميه و العقلية و التي حَقَّقت لها السعاده. فإننا نقول: لا بدّ- على ضوء هذا القول- من غضّ الطرف عن القرآن و اعتبار الإسلام دين العزله و الرهبنة، فى حين لا بدّ لمن يؤمن بالقرآن و الإسلام أن يدعن بأنّ القرآن و الإسلام من شأنهما فقط إداره شؤون الحياه الإنسانيه، و أن يقرّ أيضاً أن ليس هنالك من زعامه للحكومه الإسلاميه و هدايه بالقرآن و إحاطه بحقائقه و معارفه سوى للأئمه الأطهار عليهم السلام، و لا يمكن للقرآن- بما أوردناه من خصائص- أن يكون هادياً للبشريه دون أولئك الهداه الذين يهدون بأمر الله، كما لا يمكن القول بأنّ الحكومه العادله مطلوبه، لكن دون الحاجه إلى زعماء الدين و مجسّدى أحكام و قوانين القرآن؛ لأنّ الأخبار و الآيات دلّت على أنّ أئمه الدين و هُدايه المسلمين هم تلامذه الرساله و ربيبي مدرسه النبوه الأئمه الأطهار عليهم السلام. إذن، فلا يمكن ألا يكون هؤلاء ممن توقّرت فيهم شرائط الهدايه بالقرآن و امامه الأئمه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و بناءً عليه فلا بدّ أن يكونوا محيطين بجميع رموز القرآن و أسراره، عارفين بمحكمه و مُتشابهه و مطلقه و مقتيده، عالمين بجميع الحوادث التى تواجه المسلمين؛ و إلّا فأتى لهم أن يناؤا بالمجتمع بعيداً عن آفات تلك الحوادث؟ فهل يسع ربّان السفينه أن يتكفّل بضمان سلامه ركبها و هو يشقّ عباب البحر دون علم بأواجه و جزره و مدّه و الحوادث التى يمكن أن تطرأ عليه؟!

خلاصه البحث:

يمكن خلاصه ما مرّ منّا خلال البحث في ما يلي: ١- لا يستغنى الدين الإسلامى عن إمام، كما لا يستغنى القرآن- الذى يُعتبر دستور و قانون المجتمع الإسلامى- عن شارح و مفسّر. ٢- لا يقتصر الإسلام على كونه سلسله من الصفات الأخلاقية و المعنوية المكمله للخصائص الإنسانية الساميه فحسب، بل هو دين ينطوى على تعاليم شامله تستهدف بناء المجتمع الإسلامى المقتدر فى ظلّ الحكومه الإسلاميه التى تنشئ تربيته الإنسان الصالح. ٣- تستند الحكومه الإسلاميه إلى اسس القوانين و التعاليم القرآنيه و مبادئ السنّه النبويه الشريفه. ٤- يتعدّد التعامل مع النصوص القانونيه القرآنيه دون توضيحها و شرحها من قبل ذوى الاختصاص من زعماء الدين. ٥- تفيد الآيات و الأخبار أنّ للأئمه صلاحيه و أهليه الخوض فى التعاليم و البرامج القرآنيه و توضيحها و سبر أغوارها. ٦- أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام هم زعماء الأئمه الإسلاميه بعد النبى صلى الله عليه و آله، و أنّهم مكلفون بالنهوض بمسئوليه هذه الزعامه إلى يوم القيامه. ٧- نتيجة هذه الخلاصه هي أنّ الأئمه يملكون شرائط الزعامه و الإمامه، و حيث إنّ أحد شروط زعامه المسلمين إلى يوم القيامه يتمثل بالعلم التام و الوقوف على جميع الحوادث و الأخبار الخاصه، و الإحاطه بأسرار القرآن، و المعرفه بما غاب عن فهم الأئمه و إدراكها من الامور، كان من اللازم القول بأنّ للإمام علماً و إحاطه تامه بخفايا القرآن و السنّه، و بخلافه فليس بوسعه أن يكون زعيماً للأئمه إلى الأبد و مفسراً للقرآن هادياً به.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (سوره البقره: الآيه ١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (سوره البقره: الآيه ١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (سوره البقره: الآيه ١٢٩)

الدليل الرابع من القرآن

إشاره

لم نتعرض في الآيات السابقه إلى جذور الإمامه و لا إلى الصفوه من بنى هاشم التى تتمثل بشكل واضح بالأئمه الأطهار عليهم السلام، بل أشرنا إلى أنّ «أولى الأمر» هم الأئمه الأطهار عليهم السلام، كما ذهبنا إلى أنّهم مصداق قهرى لهذا العنوان من خلال التأمل فى آيات القرآن الكريم، و قلنا فى خصوص الآيه «و الذين آمنوا»: إنّها تشير إلى شكل الزعامه و الإمامه، ثمّ خلصنا إلى أنّ أمير المؤمنين على عليه السلام هو مصداق هذه الزعامه، بالاستعانه بالروايات و أسباب النزول، أمّا الآيات التى نعرض لدراستها الآن فهى تتناول أصله الإمامه و تجذرها فى القرآن الكريم إلى جانب تأريخ تبلور و نشأه إمامه أئمه الإسلام منذ زمان إبراهيم الخليل عليه السلام. أجل، إنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يرزقه من ذريته إماماً يتزعم شؤون الأئمه الإسلاميه، و ذريته صالحه تتولى من بعده زعامه الأئمه. و بعبارة أوضح: فإنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا الله أن يبعث رسولاً من بنى هاشم، و أن تكون لهذا النبى ذريته تتولى هدايه الأئمه و إمامتها.

إذن، فالآية القرآنية المباركة قد خاضت بوضوح في أصالة الإمامه و ضخامه ثقلها في المجتمع، و أشارت بصراحة إلى صفوه من بنى هاشم من شأنها زعامه و إمامه الأمة الإسلامية. يبدو أنّ إثبات هذا الادعاء يتطلب مزيداً من الدقة و التأمل في عدّه آيات من سورة البقره وردت بهذا الشأن، راجين من القراء الأعزّاء الالتفات إلى النقاط التي بحثت سابقاً، ليصدروا بعدها أحكامهم المنصفه بهذا الخصوص.

دعوه النبي إبراهيم عليه السلام:

ما الذي أراده إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام من الحقّ تبارك و تعالى؟ يقول القرآن: إنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام هما رافعا قواعد بيت الله و الكعبه، فقد كان إبراهيم يبنى البيت و كان إسماعيل يساعده في هذا البناء، بينما كان إبراهيم منهمكاً بالبناء- يساعده في ذلك إسماعيل- سأل الله تعالى أن يتقبل منهما هذا العمل. إذن فالبناء هو إبراهيم، و العامل إسماعيل، و المقاول هو الله جلّ و علا. فالبناء كان يهدف إلى إنشاء مركز التوحيد و العباده و هذا المركز هو الكعبه، و يصرّح القرآن بأنّ لإبراهيم و إسماعيل خمس دعوات سألاها الله سبحانه، و هي: ١- ربّنا اجعلنا مسلمين لك. ٢- و من ذرّيتنا أمّه مسلمه لك. ٣- أرنا مناسكنا و تُب علينا. ٤- و ابعث فيهم رسولاً منك. ٥- يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمه و يزكّيهم.

الآيات والالتفاتات:

تطالعنا في هذه الآيات عدّه أمور، منها: (١) فتّدت الآيه مزاعم اليهود بشأن الكعبه و قبله المسلمين حين كثر اللغظ الذي يصرّح بعدم صحّ نبوّه النبي صلى الله عليه و آله فهو يصلّى الصبح صوب بيت المقدس، ثمّ يستقبل الكعبه في صلاه العصر، و إنّ مثل هذه الأعمال لا تصدر من عاقل، و إلّا لما غيّر قبله، فقد كان الهدف المهم هو بيان أصاله الكعبه؛ لأنّ إبراهيم هو الذي بناها و رفع قواعدها، و إن كان النبي صلى الله عليه و آله قد استقبل بيت المقدس لمده قصيره فإنّما كان ذلك طبقاً لمقتضيات المصالح الإسلاميه العُلّيا لا- على أساس عدم العلم و الإحاطه بالمغيبات. ٢- نبّينا محمّد صلى الله عليه و آله شخصيه أصيله متجدّره تستند رسالته و نبوّته لدعاء إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام اللذان أعادا بناء مركز التوحيد، و هما عبدا الله، الذين أخلصا له العبوديّة و الطاعه، فسألاه تبارك و تعالى أن يبعث من ذريّتهما رسولاً ينطلق من قاعده الإخلاص و العبوديه و الطاعه، و عليه فاليهود ينظرون أعمق من غيرهم إلى أصاله محمّد صلى الله عليه و آله. ٣- أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله الذي ينتمى إلى ذريّه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام هو من طائفه بنى هاشم، و قد سألا الحقّ سبحانه أن يبعث هذا النبي من تلك الطائفه لينهض بمسئوليه تعليم و تزكيه هذه الطائفه: وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ.... و بعباره اخرى: أنّهما سألا- الله أن يبعث رسولاً من بنى هاشم يتولّى تعليم و تزكيه جماعه من بنى هاشم، أمّا كيف ندعى أنّ الرسول المطلوب من بنى هاشم و أنّه يعلم و يزكّي جماعه من بنى هاشم، فمما لا شكّ فيه أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام طلبا رسولاً من عقبهما لتعليم و تزكيه ذريّتهما، حيث سألا أن يكون

ذلك الرسول المبعوث هو معلّم تلك الذريّة، فقد قالوا: وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... وحيث استجيب الدعاء المطلوب؛ و هو بعث محمّد صلى الله عليه وآله كنبى، ومحمّد من نسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام و من نسل بنى هاشم، فالطائفه التى يتوجّه إليها التعليم و التزكيه لا بدّ أن تكون تلك الطائفه الصالحه المُنقاده لله من نسل بنى هاشم. فالخلاصه، تفيد الآيه: وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... أنّ نبى الإسلام صلى الله عليه وآله يجب أن يتلو آيات القرآن على بنى هاشم و يعلمهم القرآن و أسرار الدين، لينتهى بهم إلى التزكيه و الطهر و النزاهه.

دليل حى:

قلنا: إنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام سألا- الله سبحانه أن يبعث من ذريتهما رسولاً من بنى هاشم، ثم سألاه أن يعلم هذا الرسول طائفه من بنى هاشم خفايا الدين و أسرار القرآن و معالم الإسلام. أمّا شاهدنا على ذلك فروايه وردت فى تفسير العياشى و هو من الكتب المعتمده، ففيه: عن أبى عمرو الزبيرى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرنى عن امّه محمّد صلى الله عليه وآله من هم؟ قال: أمّه محمّد بنو هاشم خاصّه، قلت: فما الحجّه فى امّه محمّد أنّهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله عزّ و جل: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ... (١) فلَمّا أجاب الله إبراهيم وإسماعيل و جعل من ذريتهما امّه مسلمه، و بعث فيها رسولاً منها- يعنى من تلك الامّه- يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمه (٢).

١- سوره البقره: الآيه ١٢٧.

٢- تفسير العياشى ١: ٦٠ ح ١٠١.

مزيد من التوضيح:

نورد مزيداً من الإيضاح رغم أنّ الحديث المذكور صريح في ما ادّعيناه، فالواو في الآية المباركة: **وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ** (١) عاطفه، أى و اجعل من ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ لسألك لبعض هذه الذريّه ما سألتك لأنفسنا أن اجعلنا مسلمين لك، فاجعلهم مسلمين لك، و بناءً على هذا فكلّمه «من» في قوله: «و من ذُرِّيَّتِنَا» تفيد التبويض، أى بعض هذه الذريّه. إذن، فسرخ تسليم هذه الطائفه من سرخ تسليم إبراهيم و إسماعيل، و من هنا يعلم أن عطف طلب إبراهيم و إسماعيل، يعود إلى ظهور طائفه مصطفاه من الأّمه الإسلاميه تكون في مصاف آبائها إبراهيم و إسماعيل في الخشوع و الطاعه و التسليم. و عليه: فدعاء إبراهيم و إسماعيل لا يشمل ذريّه إسماعيل ليكونوا على هذه الدرجه من التسليم، ليصدق ذلك على جميع قريش، و ذلك لأننا أشرنا إلى أنّ «من» تفيد التبويض لا التبيين، أضف إلى ذلك- كما ذكرنا- أنّ الرسول المبعوث من ذريّه هاشم، و ذلك الرسول هو معلّم هذه الذريّه طبق ظاهر الآية، و هذا ما ذكر به الإمام الصادق عليه السلام.

كشف النقاب عن أصله الإمامه:

قلنا: إنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا- الله سبحانه طائفه من الذريّه تكون بمستوى آبائها في الإخلاص و الطاعه و التسليم، كما قلنا: إنّ هذه الطائفه ليست إلا الصفوه من بنى هاشم، و هنا تتضح حقيقه اخرى؛ و هى أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام كما سألا الله بعث رسول لهدايه الامّه، قد سألاه أيضاً مثل هذه الهدايه لطائفه من

بنى هاشم، سألاه أن يبعث رسولاً من بنى هاشم، و أن تتربى و تتلمذ على يديه هذه الطائفة المتصفة بالعبوديّة و الإخلاص و التسليم الكامل لله، لتكون جديره مؤهله و صالحه لزعامه الإسلام و إمامه المسلمين، و إلّا لما كان هناك من هدف لسؤالهما الله ظهور تلك الطائفة التي تضاهى آباءها في الطاعة و التسليم، و سؤال الله تعليمهم و تزكيتهم من قبل الرسول المبعوث.

ما نخلص إليه من هذه الآيات:

بعد أن رفع إبراهيم و إسماعيل قواعد البيت بأمر الله و من أجل الله و إعادته بناء مركز التوحيد، سألا الله ثلاثة أمور أساسيه مهمه من أجل تحقيق السعادة و الفلاح لذريتهما على مدى التاريخ، و هي: ١- سألاه أن يبعث رسولاً من ذريتهما. ٢- أن يكون هذا الرسول من بنى هاشم، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله: أنا دعوه إبراهيم عليه السلام (١). ٣- أن تكون طائفه من بنى هاشم مطيعه و مسلمه تنهض بزعامه و إمامه الأئمة الإسلاميه، و أن تستند في إمامتها إلى تعاليم النبي صلى الله عليه و آله و تعليمه و تزكيتهم لهم و إلى القرآن و آياته الحكيمه.

نتيجة هذه الدراسات:

كما أن رساله النبي صلى الله عليه و آله أصيله متجذره ليست حادثه طارئه؛ فإن إمامه الأئمة هي الأخرى أصيله متجذره، و هي استجابته لدعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام. و على ضوء هذا المشروع الذي تضمنه الدعاء، كان لا بدّ لرسول الله صلى الله عليه و آله أن يخضع تلك الطائفة من بنى هاشم لتعليمه المباشر و يحيطهم علماً بكافه أسرار و خفايا القرآن،

بفضل ما منحهم الله من أهليه و استعداد، ليعدهم لإمامه المسلمين، و عليه: فإن هذه الطائفة حائزه على شرائط الإمامه من خلال تعليم النبي و ما أفاض الحقّ عليهم من إخلاص و تسليم. فالذي نخلص إليه من هذه الأبحاث هو أنّ الإمامه أصيله متجدّره كالرساله، و ليست الإمامه سوى للطائفة المصطفاه من بني هاشم.

سؤال يطرح نفسه:

هنالك سؤال يطرح نفسه على ضوء الشرح الذي أوردناه على الآيات، و هو هل أنّ رسول الله مبعوث لبني هاشم فقط ليجتهد في إرشادهم و هدايتهم و تركيتهم؟ و هل سأل إبراهيم الله سبحانه نبياً عائلياً لتعليم و تربيته أولاده و ذريته؟ حتّى يقال: إنّ الله استجاب دعوه إبراهيم من أجل تعليم و تربيته أولاده، إذن فهو معلّم خصوصى من أجل طائفه خاصه من ولد إسماعيل.

جواب:

لا شك أنّ النبي صلى الله عليه و آله إنّما بعث لكافه الناس إلى يوم القيامة، فقد اعتبره القرآن الكريم خاتم الأنبياء (١)، و منذر من بلغ (٢). فما الذي حدث ليدعو إبراهيم بأن يكون النبي المبعوث من ذريته إسماعيل لتزكيه و تعليم طائفه من ذريتهما؟ فإبراهيم عليه السلام يعلم بأنّ رسول الله محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله سيبعث بالرساله، و أنّه من ذريته و هو خاتم الأنبياء، و دينه ناسخ لكافه الشرائع و مكمل لكافه الأديان، و أنّه سيصبح إماماً للبشرية جمعاء، و هذه ليست من الامور التى لا يعرفها إبراهيم عليه السلام، فالقرآن

١- سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

٢- سورة الأنعام: الآية ١٩.

يصرّح بأنّ موسى و عيسى عليهما السلام يعلمان بأنّه النبي الخاتم، و هذا ما تشهد به سائر الكتب السماويه، بل أبعد من هذا هو أنّ الامم الماضيه- و بغضّ النظر عن الأغراض- تعلم بوضوح كافه خصائص آخر قائد للعالم، فلم كانت هذه الدعوه من إبراهيم و إسماعيل؟ الجواب على هذا السؤال هو ما أوردناه سابقاً من أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا الله أن يبعث نبياً من ذريّتهما، و أن يقوم هذا المبعوث بتربيته و تزكيه طائفه ليلبغ بها السموّ و الكمال الذي يؤهلها لزعامه الأُمّه الإسلاميه، و عليه فقد بلورا و أسسا مبدأ الإمامه، و سألا تحقيق و تفعيل هذا المبدأ الحيوي من أجل الزعامه الإسلاميه. و بناءً على ما تقدّم لم يكن هناك ما يستدعي لأن يكون هذا المبعوث لطائفه معيّنه، بل كان ذلك يستدعي أن يكون مبعوثاً للعالم كافه، يكون من ذريّتهما، و أن يعدّ طائفه معيّنه من تلك الذريّه لبعض الأهداف و الغايات العليا الساميه. و بعبارة اخرى: فإنّ الدعوه كانت لجعل النبوه و الإمامه في ذريّه بنى هاشم، و هي في ذات الوقت تفيّد كون النبوه و الإمامه زعامه عالميه إلى الأبد. جدير بالذكر أنّ دعوه إبراهيم عليه السلام ليست جديده، فقد سأل الله بشأن منصب الإمامه في ذريّته لما استكمل شرائط الإمامه و بشره سبحانه: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمَنْصَبَ عَمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ تِلْكَ الذَّرِيَّةِ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١).** حيث استثنى سبحانه الظلمه من النهوض بهذه المسئوليه العظيمه.

حديث مع صاحب تفسير المنار:

أعتقد أنّ صاحب «تفسير المنار» قد التفت إلى ذلك الأمر المهمّ في الآيات

الشريفه و دعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، فهو يستند فى فهمه للقرآن إلى ظواهر الألفاظ و خصائص الكلمات، إلّا أنّ روح التعصّب إذا استولت على عالم تدفعه إلى ما يباه الذوق السليم و الطبع القويم، بحيث أخذ يتخبّط تخبط عشواء ليموّه على الحقائق التى انطوت عليها الآيه الكريمه. فقد علّق صاحب تفسير المنار على عبارته «إنّك أنت العزيز الحكيم» بأنّها وردت لتزليل إشكالاً قد يتبادر إلى الأذهان بأنّ دعوه إبراهيم تتنافى و الطبع العربى؛ لأنّ العرب تقولت بالبداهه و أنست بالغلظه و الخشونه، و عليه فالأقوام العربيه لا تأنس بالعلم و الحكمه، بل هى عدوه للتهذيب و التربيه، فالبداهه العربيه لا تخضع قطّ للنظم الاجتماعيه و هى بعيده عن الحضاره و المدنيه، فطبيعتهم البداهه، و لمّا كان تعليم الكتاب و الحكمه و تهذيب الأخلاق لا يعنى سوى التسليم للنظام الاجتماعى و تقبل الحضاره و المدنيه و التطبّع بالعادات الإنسانيه، فأتى لإبراهيم أن يدعو الله بأن يبعث محمّداً صلى الله عليه و آله ليعلم أولئك العرب الكتاب؟ و يعلمهم الحكمه و يزيّهم و يهدّب أخلاقهم. فقد حصر صاحب «المنار» هذا السؤال فى زاويه حرجه، ثمّ قال للهرب منه:

نعم، إنّ هذا الوهم وارد لو لم يكن الله عزيزاً و حكيماً، و حيث إنّ إبراهيم عليه السلام يعلم بأنّ الله عزيز و حكيم، فإنّ ذلك الوهم ليس بوارد. أجل، فالله عزيز و حكيم و بيده حلّ جميع المشاكل، و ليس هنالك من شىء يمكنه أن يقف حائلاً أمام إرادته، إذن، صحيح أنّ العرب تعادى العلم و الحكمه و المدنيه، إلّا أنّ إبراهيم عليه السلام يعلم بأنّ الله عزيز و حكيم، و عليه فدعوته ليست مستحيله، فللقادر العزيز أن يبلغ بهذه الأمم منتهى العلم و التمدّن و يجعلها مستعدّه لحمل أعباء الرساله (١). كانت هذه بعض العبارات التى ذكرها صاحب المنار بشأن الآيات الكريمه،

١- تفسير القرآن الحكيم، الشهير ب« تفسير المنار»: ١/ ٤٦٥-٤٧٣.

و الحقُّ أنَّ صاحب المنار قد عمد إلى اسلوب التوريه بما فهمه من الآيات الكريمه، و أعرض عن بيان حقيقه الأمر، كما حاول أن يمّوه على المطلب الأساسى أثناء إيراده لذلك الوهم، فقد أدرك مدلول الآيه، إلّا أنّه و بذكره لذلك الوهم قد عدل عن السبيل الصحيح. و لنا أن نسأل صاحب المنار هذا السؤال: هل استنبطت من الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يبعث محمّداً صلى الله عليه و آله ليعلّم العرب الكتاب و الحكمة و الانصياع للنظم الاجتماعيه؟ و تريد أن تقول بأنّ الدين الإسلامى ليس ديناً عالمياً، و لم يبعث محمّداً صلى الله عليه و آله إلّا للعرب البدو ليجرّهم إلى المدينه و الحضاره و الالتزام بالقوانين السماويه للقرآن. و بعبارة أُخرى: فإنّك استفدت التعليم العام من الآيه، إلّا أنّك تعتبر هذا العموم مقتصرأ على فئه خاصه من الأمم الإسلاميه، و هم العرب البدائيون؟ فإن كان هذا هو الذى فهمته، كان عليك أن تقرّ بأنّ المراد الأصلى من بعثه محمّد صلى الله عليه و آله هو الاقتصار على تعليم و تزكيه العرب، و بالذات العرب البعيدين عن الحضاره و المدينه الذين لم يألفوا التعليم و التربيه و يأنسون بالغلظه و الخشونه؛ و هل يمكنك على ضوء هذا الإقرار أن تزعم بأنّ محمّداً صلى الله عليه و آله قد بعث للناس كافه على مدى التاريخ؟ و إذا زعمت بأنّ هذه الآيات تستهدف تعليم النظم الاجتماعيه الإسلاميه و تعليم و تزكيه جماعه معينه، دون أن يتنافى هذا الأمر و كون الدين الإسلامى ديناً عالمياً، إلّا أنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله ليقوم محمّد صلى الله عليه و آله بتزكيه ذريّته، و ما ذريّته سوى العرب البدو الذين لا يأنسون بالعلم و الحكمة. ففى هذه الحاله لا تكون هذه الآيات بصدد إثبات عالميه الدين المقدّس، بل هى عباره عن دعوه تضمّنت تعليم و تزكيه و إعداد طائفه خاصه، الأمر الذى أوردناه سابقاً ... إذن، فالدعوه لم تكن بعث رسول من ذريّه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام إلى طائفه

معينه، بل كانت تفيد بعث رسول عالمي من ذريتهما، و يقوم بتعليم صفوه معينه من خاصه القرآن و أسرار الخلقه، و يبلغ بروحهم الطاهره أقصى درجات السموّ و الطهاره و الكمال. و بناءً على هذا فإننا و إياكم نتفق على معنى واحد أفادته الآيات الكريمه، و هي أنّ دعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام تفيد تعليم النبي صلى الله عليه و آله و تزكيتة و إعدادة لطائفه خاصه من ذريتهما، إلّا أنّنا نختلف بخصوص هذه الطائفه الخاصه، فنحن نقول بأنّ هذه الطائفه الخاصه هي الصفوه من بني هاشم، بينما ذهبتم إلى أنّها العرب البدائيين المعادين للعلم و المعرفه. فسلكتم إثر ذلك طريقاً مسدوداً، لم يسعكم الخروج منه سوى بتفسيركم للعزیز الحكيم الذي يفيد أنّ الله قادر على أن يبلغ بالعرب البدائيين قمه التمدن، و يجعلهم يتناولون العلم و لو كان في الثريا بعد أن كانوا أعداءً حقيقيين لهذا العلم، و أخيراً يجعل أخلاقهم إنسانيه ملكوتيه تفيض بالطهر و العفاف. و الآن نسألك هذا السؤال: أيّ دلالة في الآيات جعلتك تستند إلى هذا المعنى؟

فقد أراد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أن يُبعث رسول من ذريتهما و قد بُعث محمد صلى الله عليه و آله، أو ليس محمد صلى الله عليه و آله الذي ينتمى إلى ذريّه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام من بني هاشم؟ أولم يسأل هذان النبيان أن يبعث نبي من ذريتهما؟ رَبَّنَا وَ اِئْتِنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فَإِذَا كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آله من بني هاشم، فهل هناك غير بني هاشم مرادون بالضمير «هم» في كلمه «منهم»؟ قطعاً ليس لك إلّا أن تجيبنا بالإيجاب. و عليه فالنبي محمد صلى الله عليه و آله هاشمي، مبعوث من بني هاشم، و هذه هي دعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام.

سؤال آخر:

إذا سلمنا بأنّ محمداً صلى الله عليه و آله قد بعث بدلالة الآيه من بني هاشم، فمن هم الأفراد

الذين سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يقوم هذا النبي الهاشمي بتعليمهم و تربيتهم؟

فقد صرح القرآن قائلاً: رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ (١) أو ليست الآية صريحة بأن هذا الرسول الهاشمي منتخب من بين الهاشميين، أى أنه يعلم و يزكى فريقاً منهم؟ و هل من الصواب القول أن معنى الآية هو أن يقوم هذا النبي الهاشمي المبعوث من بنى هاشم بتعليم و تزكيه عامه البدو من العرب؟ سنترك الجواب للقراء الأعزاء بعيداً عن التعصب و اللّف و الدوران. و عليه: فإننا سنخرج صاحب المنار من ذلك الطريق المسدود، فنقول: إن إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا الله أن يبعث رسولاً من طائفه من ذريتهما. و لما كانت الطائفة التى بعث منها رسول الله صلى الله عليه و آله هى بنى هاشم، فإن المبعوث من هذه الطائفة- بنص الآية- لا بد أن يقوم بتعليم و تزكيه هذه الطائفة، و أما الطائفة التى كانت تدور فى ذهنك و التى تستلزم الدعوه الخاصه لمهمه خاصه، ليست إلا طائفه من بنى هاشم، و لذلك نقول: إن آباء محمد صلى الله عليه و آله قد سألا الله أمرين أساسيين: ظهور رساله النبي العالمى للإسلام فى طائفه من ذريتهما، و الإمامه العالميه للدين فى نفس تلك الطائفة، الإمامه التى يتلقى الأئمه علومها على يد رسول الله و دروسه الخاصه لينهضوا بزعامه المسلمين إلى الأبد. و على ضوء ما تقدم لا يرد ذلك الوهم فى أنه كيف سأل إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام الله أمراً مشكلاً بل محالاً عادياً لكى يجاب عليه من خلال عزه الله و حكمته. و هنا يبرز هذا السؤال: هل نهض النبي صلى الله عليه و آله بوظيفه تزكيه و تعليم هذه الطائفة المعينه؟ و الجواب سيكون بالسلب؛ لأن النبي صلى الله عليه و آله مارس وظيفته من أجل تعليم و تزكيه الجميع بما فيهم البدو من العرب و العجم و الأوربيين و غيرهم. و القرآن لم

يصرّح بأنّه معلّم خاص، بل صرّحت الآيات بعموميّته تعليمه للجميع، من قبيل الآية: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١). فالآية الكريمة صريحه في عموميّته تعليم و تربيّه رسول الله للّامة، و كذلك الآية الكريمة من سوره الجمعة، رغم أنّها خصّصت تعليم الرسول بالأميين و عرب مكّه و أمّ القرى، إلّا أنّها أزالّت تلك الخصوصيه و منحت ذلك التعليم بعداً عمومياً، فقالت: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢). كما صرّحت الآية: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٣). و بناءً على هذا فالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله معلّم عام للناس كافّة، و لا- نريد أن نقول بأنّ التعليم إنّما يقتصر على طائفه محدوده هي طائفه من بنى هاشم، بل نقول: إنّ دعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام هي قيام النبي محمّد صلى الله عليه و آله من أجل تربيّه و إعداد هذه الصفوه من أهل بيت النبوه، و هذا ما لم يتحفّظ عليه جملة من مفسّري العامه التي أوردت في تفاسيرها لهذه الآيات كلمه «أهل البيت». و قد كان حديث أبي عمرو الزبيرى عن الإمام الصادق عليه السلام الذى أوردناه سابقاً صريحاً فى هذا المعنى. و لا بأس بدراسه سائر الآيات بهذا الخصوص من أجل توضيح المراد بما

١- سوره آل عمران: الآية ١٦٤.

٢- سوره الجمعة: الآية ٢-٣.

٣- سوره البقره: الآية ١٥١.

لا- يبقى معه مجال للشك، ففي الوقت الذي يعتبر فيه القرآن الكريم تعليم الكتاب و الحكمة لكافة الناس، نراه قد صنّف مثل هذا التعليم ليتقل به من الاختصاص إلى العموم؛ أي أنّه خصّ التزكية و التعليم بالأنبياء و من الأنبياء إلى طائفه خاصه و من هذه الطائفه إلى عامه الناس، و لا يسعنا هنا إلّا أن نستعرض هذا التصنيف كما صرّح به كتاب الله: ١- قال الله تعالى بشأن عيسى عليه السلام: وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (١)، و خاطب النبي الأكرم صلى الله عليه و آله قائلاً: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (٢). فالآيتان الكريمتان و أمثالهما مختصّتان بأنبياء الله، فالله هو معلم عيسى و محمّد صلى الله عليه و آله، و قد تولّت الذات الإلهية المقدّسه تعليم الأنبياء الكتاب و الشرائع و أسرار الحكمة، فالله هو المرّبّي و النبيّ هو التلميذ و علم الكتاب و الحكمة هي المواد الدراسية. ٢- قام الأنبياء في بعض الأحيان بوظيفه التعليم الخصوصي، فأعدّوا طائفه من المتخصّصين في علم الكتاب و الحكمة و تزكية النفس و تهذيبها، فقد علم الخضر موسى عليه السلام، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام التلميذ الممتاز الخاصّ للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث قال: «علمني ألف باب» (٣) و قد تتلمذ هارون على يد أخيه موسى عليه السلام، كما تتلمذ الحواريون على يد عيسى عليه السلام. و أوضح آيه يمكننا الاستشهاد بها بشأن تعليم النبي الخاصّ لتلامذته و خاصّيته من أهله، هي التي نخوض في بحثها وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ. ٣- أمّا الآيات التي تدلّ على عموميه رساله النبي صلى الله عليه و آله و كون التهذيب

١- سورة آل عمران: الآية ٤٨.

٢- سورة النساء: الآية ١١٣.

٣- الإرشاد للمفيد ١: ٣٤، إعلام الوري ١: ٣١٨، بحار الأنوار ٤٠: ١٤٤ ح ٥٠.

الأخلاقى و التعليم و التزكيه عامه للجميع، فهى الآيه الثانيه من سوره الجمعه و الآيه ١٥١ من سوره البقره و الآيه ١٦٤ من سوره آل عمران التى ذكرناها سابقاً. فالذى تفيده الآيات الواردة فى هذا الباب هى: ١- أنّ الأنبياء تلامذته مدرسه الوحى. ٢- الأنبياء أساتذته المجتمعات البشرىه. ٣- تلامذه الأنبياء على قسمين: تلامذه متفوقون يتعلمون و يتزكون مباشرة من قبل النبى و تعليمه الخاص، و تلامذه اعتياديون يتلقون تعليم النبى و هدايته و إرشاده العام. ٤- المهّم فى جميع هذه المدارس هو تعليم كتاب الله و الحكمه، فالله يعلم أنبياءه كتابه من خلال الوحى كما يعلمهم أسرار الخلقه و الدين، فيقوم الأنبياء بتعليم هذه الأمور بصوره خاصه إلى التلامذه المتفوقين الذين يظاهون الأنبياء بلطف الله فى إخلاصهم و طاعتهم و تسليمهم لله، كما يقومون بأنفسهم أو بواسطه هؤلاء التلامذه الأكفاء بتعليم هذه المواد العلميه إلى عامه التلامذه.

إشكال مهم:

كان البحث فى أن تستنبط قضيه الإمامه من الكتاب، و قد استشهدنا بالآيات المرتبطه بدعوه إبراهيم عليه السلام على أنّ مبدأ الإمامه قد طرح منذ زمان إبراهيم عليه السلام، و الشروط التى ينبغى أن تتوفر و تكتمل فى الإمام هى الوقوف التام على كتاب الله و أسرار الدين، و اشتماله على النفس الزكيه و الروح الساميه، التى لا يشوبها أدنى دنس أو سابقه من شرك و ظلم و رجس أخلاقى و عباده للهوى و الهوس و الخرافات. و قد تمسكنا- لإثبات هذا الأمر- بذيل الآيه التى قالت: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ ... و الحال أنّ هذه الآيه وردت بشأن تعليم و تزكيه

عامه المسلمين، و قد ورد فى القرآن قوله: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (١). و بناءً على هذا فكما يتمتع الإمام بتعليم و تزكيه النبى، فإنّ هذا التعليم و التزكيه يشملان عامه المسلمين، فأى امتياز للأئمه ورد فى هذه الآيات؟ فكما أنّ النبى معلمهم و مواده الدراسيه هى الكتاب و الحكمه و التزكيه، فهو معلم الجميع و يعلمهم ذات المواد، فليس هنالك أى مزيه للأئمه على غيرهم، فى أنّهم تلامذه مدرسه الوحى، و أنّ لهم اطلاعاً و إحاطه بجميع كتاب الله و أسرار الشريعه و يشتملون على كافه الكمالات الإنسانيه، فلو كانوا كذلك، لكان كلّ تلميذ فى هذه المدرسه كذلك أيضاً؛ لأنّ الآيات لم تثبت سوى كون النبى صلى الله عليه و آله معلماً لهم بصوره خاصه و لعامه الناس بصوره عامه و كون المواد الدراسيه نفسها. هذه خلاصه الإشكال الذى قد يقتدح فى ذهن من ليس له معرفه بالقرآن الكريم، و هنا لا بدّ من الالتفات إلى أصل القضية ليّضح الأمر. فقد سأل إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أمرين مهمين هما: ١- بعث نبى من ذريتهما من طائفه بنى هاشم. ٢- قيام النبى المبعوث من هذه الطائفه بتعليم و تزكيه طائفه من أهل بيت النبوه، بحيث ينهض رسول الله بهذه الوظيفه مباشرة دون واسطه. و بناءً على هذا فإنّ مثل هذا التعليم الخاص كان غايه و دعوه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام، و قد أُجبت دعوتهما، أى قد بعث نبى من هذه الطائفه، كما قام الرسول بوظيفته التعليميه مباشرة، و لا تعنى استجابته الدعاء أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام يريدان فيقوم النبى و يمارس وظيفته التعليميه دون أن يكون للأئمه من دور فى هذا الأمر، بل معنى استجابته الدعاء هو ظهور أفراد أشداء و أذكىاء

و علماء بكتاب الله و آيات الرحمن، و من ذوى البصائر بفلسفه الدين و أسرار الخليقه. و دليل هذا الظهور أنهم فى الوقت الذى يعيشون بالإخلاص و التسليم، و تنبض قلوبهم بالتوحيد و عشق الحق، فقد كانوا يتضرعون لأن يظهر مثل هؤلاء الأفراد فى هذه الطائفة يتصفون بالإخلاص فى العبوديه لله، و يعيشون الانقطاع و التسليم لله و الطهاره من كل رجس و دنس، و عليه: فهذه الطائفة المخلصه كانت تمتلك الاستعداد الروحى، و قد تعلمت و تزكت بفضل هذا الاستعداد فى مدرسه الرساله تحت إشراف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و تعليمه الخاص. و لعل كلمات أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغه بشأن كفيته ترعرعه فى حضان رسول الله صلى الله عليه و آله و السمو و الكمال الذى بلغه فى ظل العنايه التى أولاها إياه النبى صلى الله عليه و آله و منزلته الخاصه لديه إشاره إلى هذا المعنى، فقد قال عليه السلام: «وضعتنى فى حجره و أنا ولد يضمنى إلى صدره، و يحننى إلى فراشه، و يمسنى جسده و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشىء ثم يلقمينيه، و ما وجد لى كذبه فى قول، و لا خطله فى فعل. و لقد قرن الله به صلى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره. و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً يأمرنى بالاعتداء به، و لقد كان يجاور فى كل سنه بحر فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرساله، و أشم ريح النبوه، و لقد سمعت رته الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرته؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنك لست بنبى، و لكنتك وزير و إنك لعلى خير»(١).

فكلمات أمير المؤمنين عليه السلام تجيب عن كل دعوات إبراهيم عليه السلام و توضّح استجابته دعائه. فقد سأل إبراهيم عليه السلام الله أن يتصدّى النبي الأكرم صلى الله عليه و آله لتعليم و تزكيه طائفته من ذريّته، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمنى إلى صدره، و يكنفنى إلى فراشه و يمسنى جسده، و يضمنى عرفه، و كان ... يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً، و يأمرنى بالافتداء به، و قد جهد نفسه فى تربيتى و تزكيتى حتى أصبحت أرى ما يرى و أسمع ما يسمع، و لم يعد هناك من فارق بيننا سوى فى النبوه و حقيقه الرساله، فلما رأى ذلك منى قال صلى الله عليه و آله: إنك لست بنبى، و لكنك وزير و إنك لعلى خير. فهؤلاء - أى بنى هاشم - هم مفاد الآيه و يُعلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ. أمّا سائر الآيات فليست لها من دلالة على قيام النبى بمثل هذه الوظيفة تجاه سائر الناس، و ذلك لأنّ سائر الآيات لا تفيد أنّ كافه الناس يملكون استعداداً لتقبّل هذه التعليمات، أو أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان مجبراً على أساس وظيفته الشخصيه على إيصال كافه الناس إلى تمام مراحل الكمال و تهذيب النفس و أسرار الدين، بل كانت الوظيفة فى أن يلقي النبى صلى الله عليه و آله دروسه العلميه التربويه، و يحيط الآخرين علماً بالآيات القرآنيه و الأحكام و التعاليم الإسلاميه و الأسرار الدينيه، و لكن هل تبلغ الأئمه تمام هذه المراحل و تحيط بكافه أسرار القرآن و تسلّم لتعليمات محمّد صلى الله عليه و آله و آيات القرآن؟ لم تبحث مثل هذه الأمور فى الآيات القرآنيه، كلّ ما هنالك هو أنّ القرآن الكريم قد أكد فى أكثر من آيه أنّ وظيفه النبى صلى الله عليه و آله تجاه الناس ليست بإيصالهم إلى آفاق العلم و التهذيب و الكمال، بل وظيفته إضاءه الطريق و التعريف بمعالم الدين و الطرق التربويه العلميه، فمن أراد أن يبلغ هذه الحقائق و جب عليه أن يبذل جهده و يستفرغ وسعه فى اتباع المبادئ الإسلاميه، و من لم يرد فعلى نفسه

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١). بل القرآن يؤكد أنّ وظيفة النبي صلى الله عليه وآله هي بيان الحقائق، والأمة مكلفه بالتفكير في هذه الحقائق واتباعها: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢). وأخيراً فإنّ القرآن لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بحمل الناس بالقوّة على التعليم والتهذيب، بل وظيفته الإبلاغ والإنذار، ووظيفة الأمة التدبّر في التعاليم، فقد صرّحت الآية قائلة: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣)، بل سلب القرآن عن النبي صلى الله عليه وآله القيام بهذا الأمر: فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٤). وعليه: فالآيات لا تصرّح بأكثر من وظيفة عامّة للنبي صلى الله عليه وآله في إبلاغ القرآن والأحكام وسبل التعليم والتربية والتركية، والأمة مخيّر بين الاتّباع وعدمه. أمّا الآيات التي نحن بصدددها وبقريته أنّ طائفته بنى هاشم بدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أنّها تمثّل العبودية والتسليم المحض لله، وبقريته وظيفته النبي بتعليمهم وتزكيتهم مباشرة دون واسطه، إلى جانب تصريح أمير المؤمنين عليه السلام بقيام النبي بهذه الوظيفة المهمّة، وبقريته ما هو أهم من دعاء الأجداد وهو إرساء مقام الإمامه، فإنّ هؤلاء عرفاء بفتون القرآن، وخبراء بفلسفه الأحكام، وبُصراء بأسرار الكتاب، وعلما بحكمه الخليقه والكون، وعليه فإنّنا نستطيع أن نقول بأنّ

١- سورة البقره: الآية ٢٥٦.

٢- سورة النحل: الآية ٤٤.

٣- سورة ص: الآية ٢٩.

٤- سورة الغاشيه الآيتان ٢١-٢٢.

الآية الكريمة تفيد أنّ هؤلاء زعماء وقاده وفقهاء في الدين، وعلّماء بتعاليم الإسلام، وخبّراء ببرامج وخطط القرآن، وعُرفاء بالسياسة والنظم الاجتماعيّة وبكافّة خفايا ومغيّبات العالم. فالآية الشريفه بصدد بيان مقام وشخصية الإمام وشرائط إمامه المسلمين من وجهه نظر القرآن الكريم. و عليه: فالفارق في النتيجة هو أنّ النبيّ - المعلم الأوّل - هو مربّي طائفه من بني هاشم، و نتيجة هذا الأمر مفيده للغاية وقيمه، و نفس هذا النبيّ معلّم لعامة الناس، إلّا أنّ نتيجة هذا الأمر تعتمد على نفس المسلمين، و معلوم أنّ توقّع النبيّ من الطائفة الأولى لا يمكن أن يكون كتوقّعه من عامّة الناس أبداً. و هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين على عليه السلام إذ قال: «لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأئمة أحد، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفى الغالى، و بهم يلحق التالى، و لهم خصائص حقّ الولاية، و فيهم الوصية و الوراثة» (١). و قال عليه السلام: «آل النبيّ عليه الصلاه و السّلام موضع سرّه و لجأ أمره و عيبه علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و حبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره و أذهب ارتعاد فرائضه» (٢).

فقول أمير المؤمنين عليه السلام يفيد أن ليس هنالك سوى أهل البيت الذين لهم الإحاطة بالدين، و هم عيبه علم رسول الله صلى الله عليه وآله، و ملاذ المسلمين في النوائب و المصائب، و هذا دليل على صحّ ما أوردناه سابقاً بشأن الآيات التي صرّحت بهذا الأمر، حيث أثبتنا حينها أنّ الأئمة عليهم السلام و بفضل التعليم المباشّر لرسول الله صلى الله عليه وآله لهم معرفة و اطلاع كامل على جميع أسرار القرآن و كافّة شئون الإسلام و الحوادث الغيبية و الخفايا الكونية، كما يؤكّد على أنّ تعليمات النبيّ و إن كانت عامّة

١- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ٨٢-٨٣.

٢- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ٨٢-٨٣.

و للمسلمين أن يغترفوا من هذه العلوم و المعارف القرآنيه و الأسرار الدينيه، غير أنه لا يمكن مقارنتهم قط بآل محمّد صلى الله عليه و آله، فهم معدن العلم و الحكمه، و إليهم يفيء الغالى و بهم يلحق التالى، و لا يستند أحد إلى علمه بشأن الدين إلّا أن يخرج عن الاعتدال أو يتخلف عن قافله المسلمين، و بناءً على هذا فالإشكال السابق الذى يُطرح بشأن مزيه الأئمه عليهم السلام ليس بوارد، حيث دلّتنا الآيات الكريمه على فضلهم و سبب ترجيحهم.

فهرس الكتاب إلى هنا:

ما مرّ معنا لحد الآن بعض الأسس الممتينه فى الإمامه، نشير إلى فهرسها بصوره مختصره: ١- الدين الإسلامى دين خالد و على هذا الدين أن يعتمد السبل التى من شأنها الإبقاء على أبعديته. ٢- يقتضى حكم العقل أن يوفر كلّ ذى هدف إذا أراد لهدفه الإتيان كافه العلل و الأسباب التى تؤثر فى تحقيق الهدف و ثباته، و لما أراد الحقّ الخلود للدين الإسلامى فبحكم العقل قد أعدّ موجباته، و بخلافه سينتقض الغرض، و تصدّع عرى الدين و اسس الإسلام. ٣- لقد تكفّل الحقّ بنصب الأئمه على ضوء الآيات القرآنيه و الأخبار التى صرّحت بهذا الأمر، بغيه الحيلولة دون فناء الدين و بقاء كلمه التوحيد، و إعداد العناصر و الأفراد الذين بلغوا قمه الكمال الإنسانى و الذين يعدّون الخلق إلى العالم الأخرى الأبدى. ٤- الأئمه على ضوء تصريح و نصّ رسول الله هم اثنا عشر، و قد أشرنا سابقاً إلى هذا الأمر، و سيأتى تفصيله فى المجلد الثانى من الكتاب.

٥- لأئمة الإسلام وظيفه في زعامه الأمة و هدايتها، و هدفهم إقامة النظام الاجتماعى على ضوء القرآن و السنّه النبويّه. ٦- إمامه أئمة الإسلام خالده أبدية. ٧- واجب الأمة تجاه هؤلاء الأئمة هو الانقياد و الطاعه و التسليم، و ذلك بفضل مزاياهم فى كافه شؤون الزعامه و الإمامه. ٨- الإمام كما يصفه أمير المؤمنين و الإمام الحسين عليهما السلام من يقوم لله بهذه الوظيفه، و يعمل بالعدل و القسط و الانتصار للمظلوم و إنقاذ الضعفاء و إعمار البلاد و ضمان حقوق الأفراد، و إحياء معالم الدين و سنن القرآن، و عدم الاغترار بالدنيا و زخارفها. و نخوض الآن فى شرائط الإمامه رغم اتّضح هذا الأمر من خلال الأبحاث السابقه، و لكن قبل الدخول فى تفاصيل هذا الأمر، لا بدّ من التعرّض إلى:

سؤال يثير الأسف:

لقد ذكرتم بأنّ القرآن الكريم أشار إلى مكانه و منزله الإمام، و أنّه يستند فى تشكيله للحكومه إلى القرآن الذى يعتبر هو الدستور، و قلتّم بأنّ القرآن يرى الأئمة هم زعماء الأمة الذين يقيمون حكم الله و يعملون على إحقاق حقوق الأئمة و إعمار البلاد، و قلتّم و قلتّم ... و هنا يرد هذا السؤال الذى يثير الأسى و الأسف، فإذا كان الإمام بهذه المنزله التى رسمها القرآن و حدّد معالمها، لمّ لم يصبح الأئمة الأطهار زعماء للأمة؟ و إذا كانت وظيفه الإمام تكمن فى القيام من أجل ضمان مصالح المجتمع و بسط العدل و القسط فى ربوع البلاد، لما ذا لم ينهض أئمة الإسلام و اعتزلوا الساحه، و لم يتزعم أحد منهم الحكومه سوى أمير المؤمنين على عليه السلام؟

أ فلم ينصّبهم الله أئمة؟ و القرآن يدعو لقيام الحكومه الإسلاميه بزعامه هؤلاء

الصفوه! و هل هذا النصب الذى لم يكن له من يشغله و هذه الحكومه التى نهض بها من ليس لها بأهل! أ فلا يدعو هذا الأمر إلى أنّ ذلك النصب و التصريح بزعامه هؤلاء للحكومه كان لغواً و عبثاً؟

الجواب:

هذا السؤال مؤسف، مؤسف فى أنه لِمَ لم يترعّم أولياء الله الحكومه، فى حين وقعت بيد بنى أمية و بنى العباس! و هنا لا بدّ من القول بأنّ المراد لم يكن حتميه ترعّم الصفوه للحكومه، بل كان الحديث فى أنّ القرآن يرى أنّ هذه الصفوه هى الجديره بمقام الإمامه و زعامه الحكومه الإسلاميه. هذا هو مشروع الإسلام و تخطيط القرآن، أمّا المنفّذ لهذا المشروع فهو الأمّه، الأمّه كانت موظفه بإقصاء بنى أمية عن الحكم و الانقياد لأولياء الله من بنى هاشم، إلّا أنّها لم تفعل و لم تنفّذ الخطه القرآنيه، كما ولّت ظهرها لسائر أحكام القرآن و تعاليم الإسلام، فهل يعتبر قانون تحريم المسكرات لغواً إذا ما تفشّت هذه المسكرات فى أوساط المجتمع؟ أم أنّ التحريم صائب لكن الأمّه شقيه، مع ذلك لا بدّ من القول بأنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام قد نهضوا و قاموا و سيأتى اليوم الذى تشكّل فيه حكومه العدل الإلهى العالميه، و سترك تفاصيل هذا الأمر إلى المجلد الثانى، ليعلم حينها أنّ الأئمّه عليهم السلام قد نهضوا بالأمر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، و قد شكّلوا الحكومه الحقه أو كشفوا للآخرين عن معالمها، و أخيراً رسموا طريق الحقّ حتّى فى حكومه الآخرين ... سنتابع الإجابة عاجلاً.

قبسات من شرائط الإمامه**إشاره**

هنالك عدّه أمور من شأنها كشف النقاب عن شرائط الجهاز الحاكم و النهوض بمهمّه الزعامه و الإمامه من قبيل: خلود هذه الزعامه و اعتماد القرآن دستوراً للحكومه الإسلاميه، و إيصال الأُمّه إلى بغيتها و طموحها، و تحقيق أهدافها الإنسانيه العُليا، و بسط العدل و القسط، و إشاعه مفاهيم الإيمان، و القضاء على الفتن و المفسد و الانحرافات، و تحقيق استقلال البلاد، و القيام بكلّ هذه الامور لله و فى الله، و الابتعاد عن زخارف الدنيا و زبرجها و عدم الاغترار بها، و الشفقه و الرأفه بالرعيه، بحيث لا يسلب نمله جلباب شعيره، كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام(١) و الاغتمام و التألم من الاعتداء على حقوق المسلمين، إلى جانب ذلك نرى ضروره التعمّق فى القرآن الكريم من أجل الوقوف على هذه الشرائط، و ما أورده علماء الكلام بهذا الشأن.

١- نهج البلاغه لمحمد عبده: ٤٩٥.

خلاصه شرائط الإمامه:

١- العصمه ٢- الأفضليه و الأرجحيه ٣- عدم الاشتمال على الظلم و الشرك ٤- العلم التام و الإحاطه بالقرآن و الأحكام الإسلاميه ٥- الكرم ٦- الزهد ٧- الحلم ٨- سداد الرأى ٩- الفصاحه ١٠- الشجاعه ١١- المروءه و الشهامه ١٢- طهاره المولد ١٣- سلامه البدن و عدم النقص فى الخلقه. هذه نبذه من الصفات التى ينبغى توفرها فى الإمام، و هناك صفات أخرى يمكن إيجازها فى هذه العبارة: «أفضليته فى جميع الكمالات النفسيه على سائر الأفراد و اشتماله على كافه الشرائط، و تمتعه بالسلامه الجسميه التامه الخاليه من النقص و العيب».

بحث فى تفاصيل هذه الشرائط:

علل الزعامه: لا تعتبر الزعامه بطبعها أمراً تعاقدياً و لو تقدمت جماعه على أخرى؛ فإنّ هناك عناصر توجب مثل هذا التقدم، من قبيل التمتع ببعض المزايا التى

تجعل البعض يتقدّم على البعض الآخر الذى لا يتحلّى بمثل هذه المزايا، الأمر الذى يحتمّ على الفاقد أتباع الواجد و الخضوع له. فلو كان هناك طفل أعقل و أفضل و أرأف و أكفأ من سائر الأطفال؛ فإنّه يلفت نظرهم إليه و يُشار له بالبنان فى محلّته بما يجعله رئيساً لهم فى اللعب مثلاً. و لو كان هناك فى السوق فرد ذو كفاءه و درايه، و كان بعيداً عن الغشّ و التدليس فى معاملاته و ذا أفكار تفيده الآخرين فى التجاره، و يعتمد العفو و الشجاعه و الأخذ بيد الضعفاء و إعانه الفقراء من أهل السوق، فممّا لا شكّ فيه أنّه سيصبح قدوه للآخرين الذين يرون أنفسهم مضطّرين لاتباعه و اقتفاء أثره، و بالتالى سيحتلّ موقعاً يجعله مرشداً و هادياً لزملائه فى العمل.

و هكذا سائر الموارد. و تصدق هذه القضيّه بالنسبه للشرائط التى يرى الإسلام إيجابها لنهوض بعض الأفراد بقياده الامّه. و الذى نريد أن نخلص إليه هو عدم وجود القيود المفروضه من قبل الإسلام على إشغال هذا المنصب، بل هنالك شرائط مطلوبه يقتضى الطبع السليم و الفطره الطاهره توفّرها فى الإمام، فطبيعه فطره الإنسان تقوده إلى اختيار مثل هؤلاء الأفراد الذين يتمتّعون بهذه المزايا.

سؤال:

يمكن أن يُطرح سؤال، و هو إذا كانت هذه الشرائط متوافره فى شخص فمن الطبيعى على الأمّه أن تختاره زعيماً و لا ترى لغيره مثل هذا المقام، فكيف اعتبرت - فيما مضى - قضيّه الإمامه انتصايه، و أثبتت أنّ الإمامه من المناصب الإلهيه المرادفه للنبوّه و التى تتعيّن من خلال الوحي؟ فهل هناك من حاجه لهذا النصب الإلهي إذا كانت الشرائط المذكوره متوفّره؟ فإنّه من الطبيعى لواجد هذه الشرائط أن ينتخبه الناس.

الجواب:

أولاً: كما قيل سابقاً فإنَّ الانتخاب الصائب أمر فرضي، ولا يمكن لهذا الانتخاب أن يتحقَّق في المجتمعات التي يقودها الظلمه الذين يتلاعبون بمقدَّرات الأُمَّة، وهذا ما لمسناه في التجربه الإسلاميه التي هبَّ فيها الظلمه لحرفها عن مسارها الصحيح. ثانياً: على فرض إمكانية حدوث الانتخاب الصائب فهناك مشكله عويصه تكمن في تعذُّر تشخيص الأُمَّة للفرد الجامع لهذه الشرائط، بل مثل هذا الأمر محال على الأُمَّة، بسبب ضعف قدره تشخيصها، ولذلك كانت هذه المهمه لله المحيط بكافه خصائص الأفراد إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١). والآمن لا- بدَّ أن أنه نرى هل تعرَّض القرآن الكريم لهذه الشرائط المعتمره في الإمام؟ و على فرض استعراض القرآن لهذه الشرائط، هل اعتبر النجاح و الموفقيه كامنه في هذه الشرائط؟ و بعبارة أخرى: هل يحكم القرآن بما تحكم به الفطره بالنسبه لمقام الإمامه و يمضى هذا الحكم، أم يفرض إرادته في هذا النصب بما لا ينسجم و العقل و الفطره السليمه؟

القرآن و شرائط الإمامه

قلنا- سابقاً- بأنَّ إبراهيم عليه السلام قد أصبح إماماً بعد أن اجتاز الاختبارات السبع، و قد تمثَّلت مواد الاختبار بامتلاك القدره العميقه من أجل الزعامه و المنطق القوي الاستدلالي و الشجاعه و الزهد و المروءه، و في مقدِّمتها الشجاعه في مجابهه

الأفكار السائده القائمه على أساس الجهل و الخرافه، فقد كان إبراهيم عليه السلام شديداً في التنمر للحق موضحاً في سبيل الله. كل هذه الامور أعدت إبراهيم عليه السلام للإمامه، حتى أفاضها الله عليه، و عليه فقصة إبراهيم عليه السلام قد ركزت على شرائط الإمامه، مع ذلك سنحاول دراسه سائر الآيات الوارده بهذا الشأن.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (سوره البقره: الآيات ٢٤٦-٢٤٨).

طلب قائد للجيش

تحدّث هذه الآيات عن قصّة نبي من أنبياء بنى إسرائيل، و طلب أتباعه منه بعث ملك و قائد من أجل استعادة الأراضى السليبه، و تتعرّف فى هذه القصه على شخص باسم طالوت الزعيم المصطفى من قِبَل اللّهِ، و جالوت الدكتاتور الغاشم، فقد نرح بنو إسرائيل عن وطنهم من جرّاء قهر جالوت و جبروته، و قد تركوا أموالهم و أبناءهم فى قبضه جيش جالوت ليعيشوا بعيدين عن وطنهم، فسألوا نبيهم أن يبعث لهم قائداً لمقاتله جالوت و استعادة أراضيهم و العوده إلى ديارهم و أبنائهم فاستجاب لهم نبيهم، فاصطفى لهم اللّهُ طالوت قائداً. و لكن لم يصمد للقتال إلّا فئه قليله من تلك الجماعه العظيمه، و أخيراً تمكّنت تلك الفئه القليله بعد الاتكال على اللّهِ و الصبر و الصمود من إلحاق الهزيمة بالعدو و الانتصار عليه. و نحاول الآن تسليط الضوء على هذه الآيات للوقوف على بعض الأمور: فقد طلبت جماعه عظيمه من نبيها أن يختار لها قائداً من أجل التخلّص من الأسر و النزوح و خوض معركة مقدّسه (فى سبيل اللّهِ) فأراد ذلك النبي أن يعرف

مدى استعدادهم للقتال، فطرح عليهم هذا السؤال: هل أنتم مستعدّون لخوض القتال إذا كُتب عليكم؟ فأجابوه جميعاً: و ما لنا ألاً نُقاتل في سبيل الله، بعد أن فقدنا كلّ شىء!

ملاحظه مهمه:

لقد استعدت تلك الجماعه و تأهبت للقتال من أجل استعادة وطنهم و تحريره من المحتلين الظلمه، و قد فوضوا لنبئهم اختيار قائد يقودهم. و هنا ورد التعبير عن هذه المعركه بالقتال في سبيل الله، و عليه: فإنّ القتال من أجل استقلال البلاد و تطهيرها من دنس الأعداء يعتبر قتالاً في سبيل الله، و لما كان الهدف الأصلي في مثل هذه المعارك إحياء معالم الأنبياء و معارف الدين و تحقق كلمه التوحيد، فإنّ أبطال هذه المعركه إنّما يُقاتلون في سبيل الله، و هذا هو سبيل المجد و العظمه و تنظيم شئون المجتمع و تحريره من براثن المستعمرين، أى أنّ المقاتلين و باتكائهم على الله و القرب منه لا بدّ أن يكون هدفهم الأصلي هو تقويه الأسس الدينيه و التعاليم الإلهيه؛ و سيضعف هذا الهدف من قدرتهم القتاليه بما يجعلهم يخرجون منتصرين من تلك المعركه. و بناءً على هذا لا ينبغي أن يقتصر دافع القتال على استعادة الأراضي المحتلّه، و لا بدّ أن يكون الدافع الرئيسي هو القتال في سبيل الله، و هو الدافع الذى يتضمّن الاستقلال و التحرير أيضاً، و بالنتيجه فإنّ هؤلاء المقاتلين سينتصرون و يهزمون الأعداء. إذن، فالاستقلال و النصر و طرد الأعداء لا يقتصر على دافع حبّ الوطن فحسب، بل ينبغي أن يكون حبّ الله هو الهدف، و الذى تتمكّن البشريه من خلاله تحقيق الانتصارات الباهره و الحصول على الاستقلال.

طالوت:

لقد استجاب النبي لطلب قومه، فسأل الله ملكاً مقتدرًا عليمًا من أجل زعامه الجيش في القتال. فبعث الله طالوت ملكاً، فأخبر النبي قومه بأن أميرهم المنصب من قبل الله هو طالوت. أمّا طالوت فلم يكن من الطبقة المترفة الرفيعة في المجتمع، و لم يكن ثرياً عزيزاً حسب الطرق المتعارفه، بل كان ينتمى إلى طبقه فقيره معدمه فى المجتمع، غير أنه كان قوياً لا يُضاهى فى العلم و الشجاعه، و قد زاده الله بسطه فى العلم و الجسم، إلى جانب خبرته بفنون القتال. و له قلب سليم مملوء بحبّ الله، و بالتالى فإنّ طالوت اصطفى من قبل الله من بين تلك الجماعه العظيمه للقيام بهذه الوظيفه الخطيره، و هنا التفت النبي إلى قومه المبعدين عن وطنهم و الذين يتنون من أسر نساءهم و فلذات أكبادهم لدى جالوت، و هم يعيشون القلق و الاضطراب من أجل استعادة وطنهم و الإطاحه بجالوت، فقال لهم: لقد بعث الله لكم طالوت فهبوا للقتال تحت إمرته. عاده ما تنصاع عامه الناس لمثل هؤلاء القاده، أمّا الطبقة المرفّهة و المترّفه الثريه التى تعتقد بأنّ الثروه تضىفى عليهم جمالاً باطنياً زائداً على جمالهم الظاهرى المزيّف، و حيث كانوا يمتلكون الأموال فهم يرون أنفسهم جامعين لكلّ شروط الكمال، و عليه فهم الذين ينبغى أن يتزعموا البلاد و يأخذون بزمام الأمور، و على الجميع أن يخضعوا لإرادتهم و ينصاعوا لأوامرهم، فوقفوا بوجه نبيهم قائلين: ما ذا يعنى هذا الاختيار؟ أنى يكون له الملك علينا و لم يؤت سعه من المال؟ هو ليس بغنى ليتزعمنا و تكون له الإمره علينا! أو لست إلى جانب زعامتنا يا رسول الله؟ أو ليس رساله الأنبياء هى دعم الأغنياء؟ أ و ليس الدين من إفرازات البنيه الفكرية للأغنياء؟ و قد انبثقت دعوته لتأمين منافع و مصالح هذه الطبقة، فكيف تبرّر قضيه

انتخاب طالوت؟ نحن لا نراه لنا زعيماً، ولا نرى له من مقام، و الزعامه و القياده من حقوقنا المسلمه، فلدينا الثروه و الأموال. هذه هي اللغه التي اعتمدها الأثرياء و الأغنياء في اعتراضهم على الأمر. فأجابهم نبياً قائلاً: أنا رسول الله و لا أنطق إلا عن الوحي، و قد اختار الله القادر الحكيم طالوت لإخلاصه ملكاً عليكم، فكيف ترون أنفسكم أحق بالإمامه و الزعامه من أجل خلاص و طنكم و إنقاذه من أيدي الظلمه، و الحال ليس لكم سوى مزيه فارغه لا- تقوى أن تمنحكم ما تريدون! كيف ترون لباس الزعامه يسعكم و ليس لكم من أفضله على الآخرين سوى هذه الثروه المزيه؟! و هل للثراء من سبيل إلى الزعامه؟! فما علاقه بين المال و الثروه و زعامه المجتمع! أمّا طالوت فهو جدير بمقام الإمامه و الزعامه، لاشتماله على شرائطها و مقوماتها، فهو عالم مقتدر ذو بسطه و قدره بدنيه تؤهله للصمود أمام العدو، بل هو أشجع المقاتلين. إن إمامه الأمة و زعامه الجيش في الحرب من أجل إحقاق حقوق الضعفاء إنما تتطلب فرداً عالمياً، ملماً بفنون القتال، شجاعاً و مقدماً و متمسكاً أمام العدو، قادراً على السيطرة على الجيش و تحقيق النصر، و قد جمعت كل هذه الصفات في طالوت. طالوت الذي يمكنه أن يكون إماماً، بفضل اشتماله على مقومات الإمامه، ينبغي أن يكون له الملك حتى يحقق الاستقلال، و يستعيد الأراضي السلبه، و يعيد النساء و الأطفال إلى أحضان آبائهم، و يسترد الأموال و الثروات التي نهبا الأعداء، و هذا هو الغرض من الزعامه و الإمامه، و إذا لم تكن هذه الأمور متوفره في الإمام فأتى له حفظ استقلال البلاد و سيادتها و وحده أراضيها و دحر العدو الطامع؟! فالملك لله، يؤتى ملكه من يشاء، و ليس لكل فرد التصرف في هذا الملك، و هو العالم بمن يسعه القيام بمهمه الإمامه و من هو أولى بها من غيره، و ليس بينكم

من هو أولى بها من طالوت. نعم، إنَّ الله يؤتى ملكه من تعلقت به مشيئته، و تعلقت المشيئة ليس أمراً اعتبارياً، فلم تتعلقت مشيئته الله بطالوت عبثاً، و ما ذلك إلا لإخلاصه و علمه الذى جعل الله يختاره ملكاً و اماماً على الناس.

خلاصه هذا البحث:

يمكن خلاصه ما مرّ من الدرّاسه المفصّله فى الآيه القرآنيه الشريفه:- وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْت سَيِّعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بِسِيْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. لم يستجب قوم بنى إسرائيل و خاصّه الملاء منهم لهذا النبى كعدم استجابته الغالبية من الناس لدعوات الأنبياء عليهم السلام، فاضطرّ ذلك النبى للإتيان بشاهد حتى لتأييد صحّته قوله، و ليفهم الجميع بأنّ لطالوت صلاحية الملك و الإمامه، و لنفهم نحن أيضاً ما هو الشرط الآخر الذى ينبغى توفّره من أجل الإمامه و الشاهد الحى هو «التابوت».

التابوت:

وردت كلمه «التابوت» فى هذه القصّه القرآنيه، و الألف و اللام فى الكلمه تفيد كون ذلك التابوت معرفه، أى كان معروفاً من قبل بنى إسرائيل. و الذى نفهمه من القرآن أنّ ذلك التابوت كان يضمّ بعض الودائع- التى من شأنها إشعار بنى إسرائيل بالسكينه- و آثارا تركها موسى و هارون عليهما السلام، و يعبر القرآن عن هذه الصوره بقوله: يَا أَيُّكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَيِّكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ

. و قبل الخوض فى التفاصيل لا بد من القول بأن التابوت يعنى الوعاء و الصندوق. فقد ورد فى اللغة أنّ التابوت، كصبور: لغه فى التابوت(١). و قيل: هو صندوق التوراه من خشب(٢). و أما الأمور التى تستفاد من الآيه فهى: ١- أنّ ذلك الصندوق كان يضمّ ودائع و أمانات توجب سكينه الإنسان. ٢- كانت تلك الودائع تحمل السكينه بعنايه الله و لطفه. ٣- نفهم من مناسبه الحكم و الموضوع- أى الشىء الذى يؤدى إلى سكينه بنى إسرائيل- أنّ ذلك الصندوق كان يضمّ بلا شكّ التوراه أو بعض آياته، لأنّ التوراه التى من شأنها سكن و هدوء بنى إسرائيل. ٤- يفهم من العبارة «و بقيه...» أنّ ذلك الصندوق لم يضمّ التوراه لوحدها، بل كانت هناك الأشياء التى تناقلتها أيدى أهل موسى و هارون من قبيل عصا موسى و ما شابه ذلك. ٥- أنّ الصندوق قد نهب، و هو الأمر الذى جعل بنى إسرائيل يشعرون بالتذمّر؛ لأنه كان يرمز لعظمتهم إبان عصر موسى و هارون عليهما السلام، و واضح أنّ الصندوق قد سلب منهم بسبب عدم كفاءتهم، كما ليس لهم القدره على إعادته. ٦- كان بنو إسرائيل مطلعين على أهميه ما يحمل من أسرار. ٧- أنّ لكلّ من يسعه الإتيان به جداره زعامه الأُمّه و قيادتها. و لذلك اعتبر ذلك النبى أنّ أفضل دليل على كفاءه طالوت و أهليته للملك تكمن فى إتيانه بذلك الصندوق، كما أنّ بنى إسرائيل سيقزّون بصلاحيه طالوت و الإذعان بعجزهم و عدم صلاحيتهم إذا ما قام طالوت بتلك الوظيفه الخطيره، و خلاصه ما أوردناه قد ورد فى هذه الآيه الشريفه: وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ

١- تاج العروس ٣: ٢٥.

٢- مجمع البحرين ١: ٢٣٣.

أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَيِّكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّا وَقَدْ اسْتَفْدْنَا مِنَ آيَةِ الْكَرِيمِ مَا ذَكَرْنَا وَ قَلْنَا: إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ الشَّرِيفِ تَدَلُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ، لَكِنْ مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنِ ذَلِكَ نَشِيرُ إِلَى رِوَايِهِ وَارْدِهِ حَوْلَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ.

حديث أبي بصير:

على بن إبراهيم قال: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجه، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَىٰ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَغَيَّرُوا دِينَ اللَّهِ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ نَسَبٌ يَأْمُرُهُمْ وَيُنْهَاهُمْ فَلَمْ يَطِيعُوهُ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ، وَهُوَ مِنَ الْقَبْطِ، فَأَذَلَّهُمْ وَكَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَاسْتَعْبَدَ نِسَاءَهُمْ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ...» وَكَانَ التَّابُوتُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَوَضَعَتْهُ فِيهِ أُمُّهُ وَأَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، فَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعْظَمًا يَتَّبِعُونَ بِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْ مُوسَىٰ الْوَفَاةَ وَضَعَ فِيهِ الْأَلْوَاحَ وَدَرَعَهُ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ آيَاتِ النَّبِيِّ وَأُودِعَهُ يَوْشَعَ وَصِيَّهُ، فَلَمْ يَزَلِ التَّابُوتُ بَيْنَهُمْ حَتَّى اسْتَخَفُّوا بِهِ، وَكَانَ الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُونَ بِهِ فِي الطَّرِيقَاتِ، فَلَمْ يَزَلِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عِزٍّ وَشَرَفٍ مَا دَامَ التَّابُوتُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَاسْتَخَفُّوا بِالتَّابُوتِ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى طَالُوتَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا يُقَاتِلُ مَعَهُمْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ» (١). وَنَفَهُمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَلِي: ١ - اهْتَمَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ اهْتِمَامًا كَثِيرًا بِقَضِيَةِ الْإِمْرَةِ وَالزَّعَامَةِ، وَ لَيْسَ لِأَيِّ فَرْدٍ النَّهْوضُ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ.

١- تفسير القمّي ١: ٨١-٨٢، و عنه بحار الأنوار ١٣: ٤٣٨ ح ٤.

٢- ينبغي أن يكون الزعيم الدينى عالماً ومقتدرًا، أى يمتلك العلم والقدره. ٣- لا بد أن يكون بصيرًا ملتمًا حتى بفنون القتال.
 ٤- يجب أن يتمتع بقدره بدنيه مرموقه. ٥- لا بد أن يتحلّى بحنكه الزعامه. ٦- يجب أن يرد ميدان الحرب بنفسه إذا اقتضت ذلك مصالح الأمة. ٧- لا بد أن يكون شجاعاً بأسلاً فى الحروب. ٨- يجب أن يحفظ استقلال البلاد و يستأصل جذور الاستعمار.
 ٩- لا بد أن يعيد إلى الأذهان أمجاد الماضى التى اعتراها النسيان. و عليه: فخلاصه الشروط التى يراها القرآن الكريم فى منصب الزعامه تتمثل بالجداره، العلم، القدره، الخبره بأوضاع المجتمع، سلامه الجسم، الإحاطه بفنون القتال، الشجاعه والإقدام و التدبير، كما يفهم من الآيات أنّ الزعامه منصب إلهى، و الله هو الذى ينصب الزعيم.

قولنا أم قول المفسرين؟

نحن نقول بأنّ التابوت كان بيد جيش جالوت، و كان باستطاعه طالوت أن يستعيده، و هذه العمليه المعقّده كانت دليلًا على صلاحيته لإمره الجيش و الزعامه، إلّا أنّ القرآن الكريم يقول: يأتىكم التابوت. أ و ليست هذه العبارة تؤيد تلك الطائفه من المفسرين التى قالت بأنّ التابوت قد رفع إلى السماء و إنّ رجوعه من السماء معجزه تبيّن صحّته قول النبى بشأن إمره طالوت؟ فقد جاء التابوت و رآه بنو إسرائيل فأذعنوا لزعامه طالوت و تأهبوا للقتال، و هلمّا كانت عبارته «و تحمله الملائكه» تؤيد أقوال المفسرين؟

الجواب:

يبدو أنّ هذا القول ليس بتام- والله أعلم- لأنّ عبارته «يأتيكم التابوت» «التابوت» فاعل للفعل «يأتي» دليل على أنّ القوم كانوا منزعين جدّاً من فقدان التابوت الذي يحتوي آيات المجد والعظمة، وأنهم كانوا يتطلعون إلى الظفر به ثانية.

وجمله «يأتيكم التابوت» تشعر بأنّ نبيهم قد بشرهم بعوده التابوت، حيث قال لهم: «يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم» وهذا وعد من نبيهم ليس أكثر، أمّا القطعي فهو قول النبي الذي يستند إلى كفاءه طالوت بحيث قال: إنّ التابوت يأتيكم، وهو كاشف عن مدى جداره وأهليه طالوت، وهو الأمر الذي ينسجم والدلالة على زعامته، وإلا فإنّ مجيء التابوت من السماء ليس له من علاقه بكفاءه طالوت من قريب أو بعيد، بل هو دليل على صدق نبيّ بنى إسرائيل، بينما نعلم أنّهم طالوه بآيه بحقّ طالوت، لا آيه تثبت صحّته قوله. فالآيه وارده بشأن من يستعيد التابوت. وبناءً على هذا فإنّ عبارته «يأتيكم التابوت» وعد قطعي باسترداد التابوت من قبل طالوت الجدير بهذه المهمّة، والآيه اللائحة تكشف أنّ هذا الأمل هو الذي دفعهم لقبول إمرته والتأهب للقتال، وذلك صدر القرآن الجملة اللاحقة بالفاء «فلما فصل طالوت»، أي أنّهم استعدّوا لاسترداده على ضوء ذلك الأمل. وقد نسب شيخ الطائفة- وهو أحد جهابذة الفقهاء والمحقّقين والمفسّرين- في تفسيره المعروف «التبيان» هذا المعنى إلى ابن عباس، كما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام فقال: «وقيل: إنّ التابوت كان في أيدي أعداء بنى إسرائيل من العمالقه الذين غلبوهم عليه على قول ابن عباس ووهب، وروى ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام»^(١).

و لا- ينبغي أن يفهم من كلمه «و روى» التي أوردها الشيخ في الروايه عن الصادق عليه السلام توحى بعدم الوثوق بها؛ لأنّ كلّ من له معرفه بتفسير التبيان، يعلم أنّ عصر الشيخ رحمه الله كان يقتضى مثل هذه التعبيرات في الروايات المعتمده، فقد كان يحتاط ويفهم الآخرين بعدم انطواء تفسيره على التعصّب، و لذلك كان يتعرّض في تفسيره إلى أقوال العامه و يحاكمها بأسلوب علمى رصين بعيداً عن التعصّب. أمّا الروايه الأخرى التي تؤيد ذلك، فما ورد في تفسير نور الثقلين عن عيون الأخبار، أنّ شامياً قد سأل أمير المؤمنين على عليه السلام في مسجد الكوفه عدّه أسئله و منها: «يا أمير المؤمنين أخبرنى عن يوم الأربعاء و تطيرنا منه و ثقله و أىّ أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء في الشهر و هو المحاق، و فيه قتل قاييل هايل أخاه- إلى أن قال:- و يوم الأربعاء أخذت العمالقه التابوت(١). فالروايه واضحه بأنّ التابوت كان بيد العمالقه(٢)، إلّا أنّه كان في السماء و استعاده طالوت.

زيد الكلام:

تّضح من هذه الآيات- مع الأخذ بنظر الاعتبار المؤيّدات و الروايات- أنّ الزعامه من وجهه نظر القرآن قائمه على أساس بعض الشرائط، فالزعيم لا بدّ أن يمتلك العلم و التجارب المريره في الحياه، لا بدّ أن يكون ذا قدره بدنيه تؤهله لإداره

١- تفسير نور الثقلين ٢: ٣٧٤، نقلًا عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٧.

٢- نتيجة التحقيقات التي أوردها تفيد بما لا يقبل الشك أنّ التابوت كان بيد العمالقه و جلاوزه جالوت الطاغى، و لعلّه يقال: لم يأت طالوت بالتابوت، بل كان ذلك آيه وقعت قبل التأهب للقتال و دليل من أجل تقبل إمره طالوت، أى أنّ الله جعل الإتيان بالتابوت آيه لزعامه و إمره طالوت حتّى تنصاع الأمة لأوامره، و ربّما كانت علاقه الحكم بالموضوع تتفق و هذا الأمر، و ذلك لأنّه ما لم يكن هناك اطمئنان لزعامه طالوت، سوف لن يكون هناك تأهب للقتال، و عليه فمن الضرورى حصول هذه الآيه ابتداء، و هذا لا يتنافى و عظمه التابوت من وجهه نظر بنى إسرائيل، و لا يخذش المراد بقضيه الإمامه استناداً للآيات الشريفه.

شئون الحكومه و الحفاظ على استقلال البلاد، و ما إلى ذلك من الشرائط و المقومات التي ذكرناها كراراً و مراراً. و لكن قد يبرز هنا هذا السؤال: سؤال: أوّلاً: لقد ذكر القرآن الكريم هذه الشرائط بالنسبة للقيادة العسكريه، أى أنّ قائد الجيش ينبغي أن يكون صاحب رأى سديد و مقتدر و ذا قوّه بدنيّه و عالماً بفنون القتال. و ليس فى هذه الشرائط ما يدعو للغرابه، فجميع العقلاء و المفكرين يتفقون على هذا الأمر، إلّا أنّ البحث كان فى الإمامه. فكيف يستدلّ عليها بهذه الآيات؟ ثانياً: القصّه وارده فى بنى إسرائيل و زعامه طالوت فى ذلك الزمان، فكيف يمكن تعميمها لتشمل زعماء الإسلام فى أنّه لا بدّ أن يكونوا جامعين لهذه الشرائط؟

و إلّا للزم من ذلك أن نقول بكلّ شرط إلهى ورد فى زعامه موسى و أمثاله، بالنسبه لزعماء و أئمه الإسلام! جواب: يمكن طرح هذا السؤال بصيغتين: ١- هل أنّ شرائط الإمامه فى بنى إسرائيل ذاتها فى الإسلام، و كلّ شرط للزعامه فى بنى إسرائيل لا بدّ أن نراه شرطاً فى الإسلام أيضاً؟ ٢- تنطوى إمره الجيش على بعض الشرائط الطبيعیه و العقلانيه، و هذا ما أشارت إليه الآيات الكريمه، فهل الإمامه كذلك فى أنّها تتوقّف على الموازين العقلانيه و الطبيعیه؟ أم أنّ تلك القيود مختصّه بقائد الجيش، فمثلاً قائد الجيش لا بدّ

أن يكون ذا قدره بدينه و إحاطه بفنون الحرب و القتال، فلم يكن طالوت على ضوء الآيه أكثر من قائد للجيش. للردّ على السؤال الأوّل نقول: النقطة الأولى: أنّ أصول الأديان واحده من حيث البنيه العقائديه، و ليس هنالك من دين ناسخ لآخر من هذه الناحيه، فنسخ أصول الدين ليس بمعقول، و لمّا كان الكلام عن النسخ، لا بأس ببحث هذه المسأله لتتضح حقيقه الموضوع. النسخ: النسخ يعنى إزاله الشىء و استبداله بآخر بحيث يحلّ الثانى بدل الأوّل، فالعرب تقول: «نسخت الشمس الظلّ» و «نسخ الشيب الشباب»^(١). و عليه فهناك أمران معتبران فى مفهوم النسخ إلى جانب إزاله المنسوخ، و هما: (١) اعتبار ما يحلّ محلّ المنسوخ. (٢) اعتبار النقل و التبديل. و يؤيد ما ذهبنا إليه استعمال كلمه «المناسخه» فى باب الإرث، فكلّما مات وارث و حلّ محلّه وارث آخر، أو مات هذا الثانى و حلّ مكانه ثالث استعملت لفظه المناسخه بهذا الشأن، و نلاحظ هنا بأنّ وارثاً قد خلف وارثاً آخر، و قد حدث انتقال و تبديل فى الإرث من يد إلى أخرى. و قد عبّر القرآن بالتبديل عن نسخه بعض الأحكام و الآيات، فقد قالت الآيه الشريفه: وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٢). فالآيه الثانیه تزيل الاولى و تحلّ محلّها، و هذا هو النسخ.

١- انظر التبيان فى تفسير القرآن ١: ٣٩٣، مجمع البيان ١: ٣٠٠.

٢- سورة النحل: الآيه ١٠١.

و على كل حال، فى القرآن الكرىم آيات ناسخه لآيات أخرى، و الآيه المنسوخه باقيه على حالها مدونه فى القرآن، و النسخ لا يعنى إزاله صورتها من كونها آيه، فهى باقيه و محفوظه من حيث النزول، و لكن لم يعد لها من أثر، و فقدان الشىء لأثره يعنى فى الواقع زواله و تساوى وجوده و عدمه ... إذن، فالنسخ لا يعنى شيئاً أكثر من زوال الأثر. و بعبارة أوضح: فإن نسخ الآيه هو عبارة عن إزاله حكمها و استبداله بحكم الآيه الثانيه «الناسخه». و نخلص من هذا إلى أن نسخ الآيات إنما يقتصر على الآيات المتعلقه بالأحكام، و لا يسرى هذا النسخ أبداً إلى الآيات التى تتعرض إلى الحقائق المسلمه التى لا يعترىها التغيير. أفىمكن تصوّر النسخ بحق الآيه الشريفه الله لا- إله إلا هو الحى القيوم؟ أو يمكن زوال الحقائق الثابته و الدائمه؟ و لى كانت الأديان واحده فى العقائد، و قد نهض جميع الأنبياء بمهمه هدايه الامم لهذه العقائد، فإنه يمكننا القول بأنه ليس هنالك من دين ينسخ آخر من حيث الاصول العقائديه، فالاعتقاد بالله و الثواب و العقاب و الحساب و صفات الجمال و الكمال إنما هى من الحقائق المسلمه التى تأبى التغيير و الزوال، و لذلك فإن النسخ إنما يكون فى الشرائع. و بعبارة أخرى: لا بد من الإذعان بأن الدين الإسلامى ليس بناسخ لنبوه و رساله من كان قبله من الأنبياء، بل القرآن ناسخ لشرائع سائر الأنبياء، فهذا القرآن لا ينفك يؤكد أن الكتاب السماوى الإسلامى مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ (١) مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ (٢). مُصَدِّقٌ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ (٣). مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ (٤).

١- سورة البقره: الآيه ٨٩، ١٠١.

٢- سورة آل عمران: الآيه ٨١.

٣- سورة الأنعام: الآيه ٩٢.

٤- سورة البقره: الآيه ٤١؛ سورة النساء: الآيه ٤٧.

مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ (١)، وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ... (٢). ولكن لا ينبغي أن نغفل عن قضيه، و هي أنّ كلّ ما يقوله موسى و عيسى عليهما السلام بالنسبه لله، يقوله خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، فالجميع يصفون الله بأنه حكيم و قدير و عليم و سميع، غير أنّ أسلوب الأنبياء يختلف في معرفه حقيقه كون الله حكيماً و سميعاً و عليماً و ... لأنّ أتباع الرسل يختلفون في درجه الفهم و الإدراك، بل حتّى الأنبياء يختلفون في مدى إدراكهم لجميع المغيبات تلك الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (٣). فالأُمَّة الإسلاميه قد بلغت آخر مراحل الفهم و الإدراك، و من الطبيعي أن تكون الحقائق التي تطرح على هذه الأُمَّة متعذّره الفهم و الإدراك على الامم الماضيه، و أنّ الحقائق و الإدراكات و الأنوار التي أفاضها الله على النبي الأكرم صلى الله عليه و آله لا يسع سائر الأنبياء تحمّلها و استيعابها. فالحقائق في كافه الأديان واحده، غير أنّ طرق التعرّف عليها متشعبه، و كلّما تطوّرت العلوم و المعارف تعمّق هذا الفهم و الإدراك بالنسبه للحقائق، و لذلك يمكن القول بأنّ محمّد صلى الله عليه و آله قد سلك آخر مراحل التوحيد، و للأُمَّة الإسلاميه فقط و بفضل التطوّر العلمى الذى تشهده أن تبلغ ما تشاء من الدرجات، فقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه أمام أتباعه، و لا يسعنا هنا أن نخوض أكثر في هذا المجال. و على كلّ حال تتفق كافه الأديان في أصولها العقائديه، و ليس هناك من نسخ بهذا الخصوص. و الإمامه و الزعامه جزء من أصول الأديان، حتّى أنّنا قلنا بأنّ الأنبياء إنّما

١- سورة البقره: الآيه ٩١.

٢- سورة المائده: الآيه ٤٦.

٣- سورة البقره: الآيه ٢٥٣.

يحرزون مقام الإمامه بعد اجتيازهم لعدد من الاختبارات و التمحيصات. و عليه: فالشرائط التي ينبغي توفرها في الإمام إن كانت معتبره في زعامه بنى إسرائيل فهي بطريق أولى واجبه التطبيق في الإسلام. بعبارة اخرى: إذا كان طالوت ينبغي أن ينصب من قبل الله قائداً للجيش فقط، فإن أمير المؤمنين عليه السلام المطلق لعالم الإسلام يجب أن ينصب أيضاً من جانب الله و يقوم بوظيفه الإمامه، و إن كان شرط إمره طالوت يتمثل بالقدره العلميه، و خبره بفنون الحرب و القتال و الكفاءه و الجداره، و حفظ استقلال بعض المناطق، فلا بد أن تتوفر قّمه هذه الشرائط في أمير المؤمنين على عليه السلام، و لا يمكن القول بأن الإسلام لا يلتفت لهذه الأمور بدون اقتضاء و لا شرط، و أنّ إمام المسلمين سواء كان عالماً أم لم يكن، كفوءاً أم ليس بكفء و ما إلى ذلك ليست قضيه مهمه من وجهه نظر الإسلام الذي يمثّل آخر مراحل السير التكاملي للبشريه. و عليه: فقد اتّضحت النقطه الأولى من الإجابة على السؤال الأول، مع ذلك نواصل طرح النقطه الثانيه ليتّضح الأمر أكثر.

النقطه الثانيه:

يمكن تناول النقطه الثانيه من زاويتين: زاويه عموميه و تحقيقيه بشأن قصص الأمم المذكوره في القرآن الكريم، و الهدف من هذا البحث هو التحقيق بشأن علّه سرد قصص الأمم السالفه في القرآن الكريم، و الوقوف على الهدف العقلائي و المراد الأساسى الذي أراده الكتاب السماوى من طرح هذه القصص. و الزاويه الثانيه في دراسه القصّه التي نحن بصدددها و قصه طالوت و بنى

إسرائيل. و بالطبع فإنّ النتائج التي توصّينا إليها في الزوايه الأولى تعتبر مفيدة للحصول على النتائج من الزاويه الثانيه، و كذلك في الإجابة على السؤال الأول. أمّا إذا أردنا أن نخوض بالتفصيل في العنوان الأول فإنّ ذلك سيبعدنا عن البحث الأصلي «شروط الإمامه من وجهه نظر القرآن» و لذلك سنمرّ سريعاً على العنوان الأول.

العنوان الأول: قصص الأنبياء و الامم الماضيه:

اشاره

لقد وردت قصص الأنبياء كثيراً في القرآن الكريم، و قد تكرر بعضها، و لكن أصل القصّه لم يتكرّر في الحقيقه، بل كان الاستنتاج متنوّع في نقل الحوادث في مختلف الموارد. و لا- بدّ من القول بأنّ تعليم الأُمّه الإسلاميه كان من الأهداف الأصليه البارزه في التعرّض لتأريخ الماضين، تعليمهم السبل التي تؤدّي إلى السعاده و الشقاء، و إلفات النظر إلى ردود الفعل التي أبدتها الأُمم السالفه إزاء دعوه الأنبياء و النتائج التي ترتبت على كلّ ردّ فعل، إلى جانب تنبيه الأُمّه الإسلاميه إلى الاصول الروحيه و أسلوب تفكير سائر الامم، و لا سيّما أهل الكتاب و أوضاعهم الأخلاقيه. فمثلاً تعرّضت عدّه آيات من سوره البقره إلى أوضاع أهل الكتاب و لا سيّما اليهود، ليقف المسلمون على طبيعه أخلاقهم و اسلوب تفكيرهم و مدى العداة الذي يكتّونه للإسلام و القرآن، فلا يتخذونهم أولياء و يظهرون لهم المودّه أبداً، بل يكونوا على حذر من هذه الأُمّه العنيدّه و الخطره. و على هذا فإنّ هناك تعليمات تجاه نوع من الأصول المسلّمه التي تأبى التبدّل و التغيير، و إلّا لو كانت مرنه يمكن أن تعثرها حاله التغيير، لما كانت من قبيل الأصول الكلّيه التي ينبغى تعليمها الأُمّه الإسلاميه؛ فهناك حقائق ذات دروس و عبر في هذه القصص التي من شأنها خلق الإنسان الفاضل، فمثلاً إذا واجهتنا

بعض المباني المصيرية للإنسان في قصه موسى فإنه لا يمكننا أن نقول بأنها مختصه ببنى إسرائيل و الأمة الإسلامية مستثاه من هذا الأمر، و لا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى بعض هذه المباني بصورة مختصره و نترك الخوض في تفاصيلها إلى أهل التفسير. ١- يزعم أحبار اليهود أن لهم الجنة خالصه دون أن ينازعهم أحد فيها، و إن كان و لا بد من عذاب النار فهي لن تطالهم سوى أيام معدوده و قالوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً (١). أما القرآن فقد رد بمنطق رصين على هذا الزعم- الذى كان يديه المضلون من أحبار اليهود بهدف التملص من الإقرار بنبوّه محمّد صلى الله عليه و آله و الإسلام- فرفضه رفضاً قاطعاً و أثبت أنهم من أصحاب النار و الشقاء الخالد يوم القيامة، و قد أوجز دليله و برهانه الرصين فى هذه الآيه من سوره البقره: بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢). فهم يغرون الناس و يعلقون عليهم كل المنافذ ليفعلوا ما شاءوا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون. و بناءً على ما تقدّم فإن هؤلاء الناس سيمثلون حياتهم بالأعمال الشائنه و الأفعال التى تسود القلب و تنتهى بالإنسان إلى أدنى المراتب الحيوانيه، فهل لمثل هؤلاء الأفراد أن يبلغوا بعد ذلك السمّ الإنساني؟ و هل لهم أن يتخلّصوا من طبائعهم العدوانيه؟ و هل لمثل هؤلاء الأفراد من حظّ يجعلهم يعيشون الحياه الأخرويه الهائنه؟ أم أنهم سيذوقون و وبال أمرهم ليكتبوا على وجوههم فى النار من جرّاء أعمالهم القبيحه، و هل لهم إلّا الخلود فى النار؟ حقاً لا- يرى العقل و الإنصاف لهؤلاء سوى عذاب النار خالدين فيها و بئس المصير.

١- سوره البقره: الآيه ٨٠.

٢- سوره البقره: الآيه ٨١.

و بناءً على هذا البرهان و الاستدلال الواضح فلا ترعموا أيها اليهود و لا سيما الأخبار بأن ماواكم الجنّه و لن تمسّكم النار إلّا أيّاماً معدوده، و اعلموا أنّ سيرتكم و نهجكم سيجعلكم خالدين في النار، و هذا ما قدّمته أيديكم فلم يكن فعلكم سوى حرف الناس عن الصراط المُستقيم، و تحريف الآيات و إنكار الحقائق التي أوردتها التوراه، و المتاجرّه بالدين من أجل ضمان منافعكم و مصالحكم، و تظنون أنّكم إنّما تنفرون الناس من محمّد صلى الله عليه و آله لتستمرّوا في رئاستكم و زعامتكم، و لم تفكروا بعواقب أفعالكم حتّى رانت السيئات و أحاطت بقلوبكم، فذوقوا النار التي أوقدتموها بأيديكم خالدين فيها و بئس المصير. إثر تعرّض القرآن لأخبار اليهود، اندفع اليهود ليقيموا أدلّتهم في عدم التسليم للقرآن، و أنّ الجنّه خالصة لهم من دون الناس، و أنّهم لن يردوا النار، فما الذي يدعوهم للانصياع لمحمد صلى الله عليه و آله، فجاءهم الردّ القرآني الحاسم في أنّ هذا الزعم باطل، و أنّكم تستحقون الخلود في النار. أمّا أسلوب الاستدلال الذي ساقه القرآن فقد كان: أنّ الإنسان إذا درج على ارتكاب السيئات و المعاصي فإنّها تغمسه في هوى نفسه، بحيث لا تدع له مجالاً للعودة و الكفّ عن الذنوب، فتسيطر الظلمات على قلبه حتّى تغلق كافه منافذ العلم و العقل فيغرق في مستنقع من البؤس و الشقاء، هذا هو الاستدلال الذي أقامه القرآن ضدّ أخبار اليهود ليخلص بالتالي إلى أنّ ماواهم النار خالدين فيها. و هنا نقول: هل أنّ هذا الأمر يقتصر على اليهود؟ أم أنّه مبدأ كلّى للبشرية جمعاء؟ لا شكّ أنّ هذا الاستدلال يعدّ مبدأً كلياً و لا سيما بالنسبه للأُمّه الإسلاميه، فالمصير الذي لاقاه اليهود سيلقاه كلّ فرد مهما كان موقعه و دينه، إذا أوغل في الذنوب و قضى عمره في المعاصي و السيئات، ما لم يتب و يقلع عن تلك السيئات.

نعم، إنَّ هذه المحاجَّة القرآنية لأجبار اليهود إنَّما تهدف إلى تنبيه المسلمين، بل كلِّ إنسان، إلى أصل مسلَّم من الأصول التي تأبى التغيير، و تنبيه الأُمَّة من أجل سلوك السبيل القويم للفوز بالآخرة و الابتعاد عن سبل الهلكة. و خلاصه هذا الأصل: أنَّ الإنسان إذا اعتاد الذنوب و لم يلتفت إلى نفسه، و قضى عمره فى الأفعال القبيحة، فلن يكون مصيره سوى النار و الخلود فيها. ٢- كان اليهود يسعون لإثبات أصالة دينهم و نفى الشرعية عن دين النصارى من خلال تشبثها بإبراهيم عليه السلام، و هذا ما كانت تدعيه النصارى أيضاً وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ... (١)، فردَّت عليهم الآية القرآنية من سورة آل عمران قائلة: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٢). و قد أشارت آية اخرى صراحه إلى مفهوم هذه الآية فقالت ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣). فما الذى يمكن استنباطه من هذه الآية؟ نفهم من هذه الآية أنَّ اليهودية و النصرانية قد تجاوزت أهداف موسى و عيسى، فأتباع موسى ليسوا بيهود، كما لا- يمكن لأتباع عيسى أن يكونوا نصارى؛ لأنَّ إبراهيم مسلم، لا- يهودى و لا- نصرانى. إذن، فاليهودية و النصرانية أسماء ابتدعتها أهل الكتاب لأنفسهم، و هى تتنافى و التسليم لله و سلوك الصراط المستقيم، و ما سبيل موسى و عيسى سوى الإخلاص و التسليم و العبودية لله، فقد قال عيسى عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤). و لا نبالغ إذا قلنا بأنَّ الآية تلمح إلى شرك اليهود و النصارى،

١- سورة البقرة: الآية ١١٣.

٢- سورة آل عمران: الآية ٦٥.

٣- سورة آل عمران: الآية ٦٧.

٤- سورة آل عمران: الآية ٥١.

فقد صرّحت قائله وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، و تترك الخوض فى التفاصيل إلى موضع آخر.

النتيجه:

الآيتان المذكورتان تعرّضتا للمحاجّه بين أهل الكتاب: اليهود و النصارى، كما اشترك القرآن فى هذه المحاجّه ليقول: لستم- اليهود و النصارى- تابعين لإبراهيم، و ليس لإبراهيم من ارتباط بكم، فطريق إبراهيم هو الصراط المُستقيم الذى يقود إلى الحقّ، و سبيل إبراهيم هو الإخلاص لله، و سبيل إبراهيم لا عوج فيه و لا انحراف، و أخيراً سبيل إبراهيم هو التسليم لله و العبوديه له. و عليه: فهاتان الآيتان اللتان تتحدّثان عن محاجّه أهل الكتاب و أوردهما القرآن، إنّما الغرض منهما هو الالتفات إلى أصل مسلم أيضاً من قبل المسلمين، بل من قبل كلّ إنسان. لا شكّ أنّ دعوه إبراهيم عليه السلام أصيله، و الإسلام إنّما واصل دعوته فى عبوديه الله. إذن محور النجاه و الصراط القويم يتمثّل فى سلوك النبىّ العظيم إبراهيم عليه السلام، و المسلمون ينبغى أن يلتفتوا إلى ما أورده القرآن بشأن إبراهيم، و يعلموا بأنّ المسلم هو إبراهيم عليه السلام، فإذا أراد أى فرد مسلم أن يكون خليل الرحمن يجب أن يسلم لله و لا يرى سواه، و لا يسلك سوى صراطه، و يصرف نفسه عن الدنيا و لا يكثرث لزبرجها و زخرفها و أطماعها. كان هذان نموذجين من مئات النماذج التى ذكرها القرآن الكريم ضمن سرده لقصص الماضين على أنّهما من الحقائق المسلّمه التى لا تختصّ بجماعه معينه، بل هى اصول ذات علاقه بمصير البشريه جمعاء، و ذكرها فى القرآن دليل على عدم اقتصارها على شخوص القصّه و أبطالها، بل من أجل لفت انتباه البشريه إليها،

و هي من قبيل المباني الساميه التي تبلغ بالإنسان السموّ و الكمال. بعبارة أوضح: أنّ القرآن عبارة عن اصول مسلّمه، حيث أفرد هذا الكتاب السماوى قسماً منه لدراسه بعض الأصول العلميه الواقعيه التي ينبغى أن تبتنى عليها الحياه الإنسانيه العقلائيّه، غير أنّ هذه الأصول قد وردت أحياناً ضمن سياق الآيات القرآنيه بصوره مباشره، و أحياناً اخرى وردت ضمن سرد قصص الامم السالفه.

خلاصه الحديث:

كان السؤال الأوّل هو هل أنّ شرائط الزعامه فى بنى إسرائيل هي ذاتها فى الإسلام، بحيث يجب أن نلتزم فى الزعامه الإسلاميه بكلّ شرط كان معتبراً فى زعامه بنى إسرائيل؟ و قد أجبنا على هذا السؤال ضمن ذكر نقطتين: ١- أنّ اصول الأديان واحده من حيث جذورها العقائديه و لا- يعترىها التغيير أبداً، و ليس للنسخ من سبيل إليها، و بدوره أقرها القرآن و لم يبطلها. ٢- وردت أغلب الحقائق القرآنيه مباشره من خلال الآيات القرآنيه التي تلفت نظر المسلمين إلى الاهتمام و الالتزام بها، كما وردت بصوره غير مباشره من خلال سرد قصص الامم الماضيه.

نتيجه هاتين النقطتين:

تعدّ زعامه الأئمّه فى كافّه الأديان من الوظائف التي نصّ عليها الحكيم العليم، و عليه: فهي من اصول الأديان و شرائطها مؤثّره فى تحقيق و تثبيت أصل الإمامه، و من هنا فإنّ الشروط المذكوره فى زعامه بنى إسرائيل معتبره هي الاخرى فى

الإسلام أيضاً، إضافة إلى أنّ هذه الشروط من الحقائق المسلّمه التي لن تفقد أصالتها قط طيله التاريخ البشرى، كما أنّها تأبى الزوال ولا يعترىها التغيير والتبدّل. و نخلص من هذا إلى أنّ الشروط التي تضمّنتها قصه طالوت بشأن الإمامه و الزعامه، يعتبرها القرآن من الصفات التي ينبغي أن يتّصف بها الزعيم، و بخلافه لا يعدّ زعيماً إسلامياً.

العنوان الثانى لقصه طالوت:

لقد سبقت قصه طالوت بآيتين، حيث إنّ مفاد الآيات الثلاث لفت انتباه المسلمين و حثّهم على القتال فى سبيل الله و التعرّض للعناصر التي تجسد النصر و الغلبه فى هذا القتال، و لما كان البحث بالتفصيل لهذه الآيات الثلاث ينطوى على نوع من الإطاله و الملل، فقد آلينا على أنفسنا التعرض بصوره مقتضيه لما تضمّنته هذه الآيات من محاور رئيسيه، ثم نخرج بعدها على ذكر الآيات. فقد أكّدت هذه الآيات ثلاثه شروط أساسيه تقود إلى النصر فى خوض غمار الجهاد: الشرط الأوّل: هو الإذعان و الإيمان بأنّ الموت و الحياه بيد القدير سبحانه، فالموت يدركنا و الله يقبض أرواحنا، سواء كنّا على الفراش أو فى ساحات الوغى إن كانت هنالك من مصلحه. و إذا شاء لنا البقاء فليس هنالك من موت، فقد تكون ساحه الحرب وادعه أمينه بينما يكون الفراش مميتاً؛ و بناءً على ما تقدّم فإنّ الفرار من الجهاد حرصاً على الحياه يعنى إيكال الفرار إلى أمر خارج عن الإراده و الاختيار، و على هذا الضوء فإنّ المؤمن سوف لن يفر البته من ميدان الحرب و يخوض القتال بعزم راسخ و إرادته فولاذيه بعد التوكّل على الله و القتال فى سبيله. الشرط الثانى: أنّ الجهاد قائم على أساس الإنفاق و بذل الأموال و الأنفس،

و لا- تيسّر مجابهة العدو دون توفير العده و الاستعداد للمنازله، و يتمثل هذا الاستعداد و التجهيز من خلال إعداد الجنود المضحّين و المسلّحين و تفعيل هذا الاستعداد حيال العدو. الشرط الثالث: و يعدّ أساس الشروط، بل لا- معنى للشرطين المذكورين دونها، و يتمثل بالقائد المقتدر و الأمر الكفوء الذى يقود القتال بكلّ بساله مستنداً إلى العلم و البصيره و المعرفه التامه بأساليب القتال، بغيه تحقيق النصر الخاطف على العدو بأقلّ التضحيات.

الآيات الثلاث:

أما الآيات الثلاث فقد وردت فى سورة البقره، و هى:- ١- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَحَدُودٌ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(١). فالآيه تضمّنت ثلاثه أمور مهمه، و هى: الأول: إنّ الفرار خشيه من الموت لا يمنع من حلول الأجل. الثانى: إنّ الحياه و الموت بيد الله لا بيد أى أحد سواه. الثالث: إنّ لا- ينبغى أن يضعف الإنسان مخافه الموت؛ لأنّ الحياه و الموت بيد الله، و ليس للفكر من دور إزاء التقدير، و فضل الله و إحسانه هو الفاعل فى حياه الإنسان و موته، فان كان الموت إحساناً فلا مناص منه و العكس صحيح. و عليه: ففى الآيه الكريمه براعه استهلاليه تهدف إلى إعداد المسلمين للجهاد و القتال فى سبيل الله، و من هنا أردفت هذه الآيه بقوله سبحانه: وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢).

١- سورة البقره: الآيه ٢٤٣.

٢- سورة البقره: الآيه ٢٤٤.

٢- مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١).

فالآية تتابع الحث على القتال «في سبيل الله» وقد تصدّرت ب «مَنْ» الاستفهامية، وكأنّها تتحرّى الرجل الذى ينهض بهذه المسئوليه الخطيره ليمارسها بنجاح بعد أن يعدّ متطلّباتها. و عليه: فالآيه ليست فى مقام الحثّ على الإقراض فحسب، فهى تهدف أمراً آخر إلى جانب ذلك، و هو أنّ المقرض هو الإنسان و المقرض هو الله سبحانه، و كأنّ الله مدّ يده إلى الإنسان سائله شيئاً. و من هنا فالذى يخلص من ذكر هذا الأمر فى آيه القتال أنّ الغرض الأصلي من هذا القرض هو أنّ بذل المال و النفس ينشد تحقيق هدف التوحيد، و لذلك كان المقرض الله، لأنّ بذل المال و النفس كان فى سبيل الله، و نتيجة ذلك كلمه التوحيد، فلو جعل الإنسان كلّ ما يملك وقفاً فى سبيل الله فإنّ ثواب ذلك سيكون عوضاً مطلقاً لا متناهياً. و بناءً على ما تقدّم فإنّ الآيه الشريفه بسياق الطلب تمثّل أعظم حثّ لإثره المال و النفس فى سبيل الله، و هو الحثّ و الترغيب الذى يغلق على الإنسان كافّه طرق التعذير من قبيل المرض و التمارض و الخوف و ما شابه ذلك. و الذى يؤيّد هذا الاستنباط بل دليله هو أنّ أغلب الآيات التى تحدّثت عن القرضه الحسنه فى السور القرآنيه كالمائده و التغابن و الحديد و المزمل و غيرها من السور إنّما وردت كامتداد لآيات القتال فى سبيل الله. ٣- آيات قصه طالوت التى شرعت بالآيه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... (٢) و مرّ علينا تفصيلها، و لاحظنا الشرائط التى تضمّنتها الآيات بشأن

١- سورة البقره: الآيتان ٢٤٥-٢٤٦.

٢- سورة البقره: الآيتان ٢٤٥-٢٤٦.

هذه الآيات الثلاث وهدفها:

قلنا: إنَّ هذه الآيات تلفت انتباه المسلمين للقتال «في سبيل الله»، وقلنا: إنَّ هذه الآيات التي تختزن النصر في هذا القتال، و ترشد المسلمين إلى أنَّ النصر يتقوّم بثلاثة عناصر: ١- ضروره عدم خشيه الموت و وجوب الإيمان بأنَّ الحياه و الموت بيد الله، و عليه: فينبغي القتال و عدم الخوف. ٢- يتطلّب القتال في سبيل الله إعداد القوى و التجهّز و التعاون على مستوى المال و النفس. ٣- أنَّ الشرط الأساسي للنصر هو وجود القائد الكفوء، الذي يستطيع توظيف القوى الإنسانيه و تعبئتها على الوجه الحسن، و عليه: فقصّه طالوت تكشف النقاب للمسلمين عن حقيقه و واقع، و ترى ضروره وجود القائد الجدير الذي يحقّق النصر للمسلمين، الأمر الذي أفادته قصه طالوت في إنشاد الإسلام لهذا الزعيم الرشيد، القادر، العالم و الماهر ليستبسل المسلمين تحت رايته و يحقّقوا العزّه و الافتخار، و لا تفيد الآيه كون الزعيم الإسرائيلي لا بدّ أن يكون زعيماً كفوءاً قط، بل رسمت هذه القصة صورته هذا القائد الكفوء لتلفت نظر المسلمين إلى الشرائط التي تكهّن بها القرآن في القياده، و لا نرى أنفسنا بعد هذا الإيضاح بحاجة للقول: إنَّ الدين الإسلامي لا- ينسخ الأصول المسلّمه لسائر الأديان، و حيث لم يكن ناسخاً فإنّ شرائط القياده و الإمامه و إمره الجيش في سائر الأديان قد روعيت في الإسلام. و أمّا الإجابة على السؤال الثاني: أنّ إمره الجيش سنخ من الشرائط ... فلا بدّ أن نرى هل المراد بالملك في الآيه الشريفه إماره الجيش فقط، أم أريد بها معنى أوسع و لا بدّ من التعبير عنه بالزعيم؟ فتبيّرنا ذلك في المباحث السابقه

بأمر الجيش أحياناً و الزعيم أحياناً أخرى، و ذلك أنّهم سألوا ملكاً، و كان هدفهم في ذلك السؤال زعامه الجيش و القتال في سبيل الله، و من هنا عبّرنا أحياناً بأمر الجيش، و بناءً على ما تقدّم فإنّ هذا الملك هو الزعيم. و لذلك سوف لن يعود هنالك من مجال للسؤال في أنّ أمر الجيش طبق الموازين الطبيعيه يجب أن يكون مقتدرًا عالمًا بفنون الحرب و القتال، فهل هذه الشرائط معتبره في الإمام؟ لأنّ الفرض كان يقوم على أساس أنّ الملك هو الزعيم و الإمام، فالآيه الكريمة قد بينت شرط الزعامه و الإمامه بصوره شامله مطلقه و بمعنى أوسع من إماره الجيش.

دليلنا:

دليلنا على أنّ المراد بكلمه «الملك» ذلك المعنى الواسع - أى الإمام - هو اعتقاد الطبقة الاقطاعيه من بنى إسرائيل و النبلاء، بأنّهم أحقّ بالملك من غيرهم، و ذلك لأنّهم كانوا يرون أنّ الزعامه قضيه وراثيه، و لا ينبغى أن ينهض طالبوت بهذه الزعامه؛ لأنّه ينتمى إلى طبقه فقيره معدمه في المجتمع لم تكن ذات سابقه في الزعامه. و لذلك أوردنا برهانين أقامهما هؤلاء المعترضون على نبيّهم: ١- الملك حقّ من حقوقنا و منحصر في سلالتنا. ٢- طالبوت لا ينتمى إلى طبقه ثريه ليصبح زعيماً. القرآن بدوره فنّد هذه النظرية ليعلن أنّ الزعامه ليست قضيه وراثيه و لا ترتبط من قريب أو بعيد بالغنى و الثراء، بل هي منصب إلهي، ينهض به من تتوفّر فيه شرائطه من قبيل القدره و العلم و البسطه في الجسم و البصيره بأوضاع المجتمع. أضف إلى ما تقدّم أنّ الإسلام لا يرى الزعامه منصباً شكلياً، بل هو مقام رسمى مهمّ تكون بموجبه كافّه مقدّرات المسلمين بيد الزعيم، أى لا بدّ أن يكون

قائداً عالماً متفكراً، محيطاً بالحلال والحرام وأحكام القرآن وتعاليم الإسلام، و سائقاً الأمة إلى عبادة الله و التمسك بكتابه و سنه رسوله، كما ينبغي أن يُعالج مشاكل الأمة، و إذا اقتضت المصلحه أن يخوض الحرب، كان هو القائد العام للقوات المسلحة، الذى يمارس حضوره الشخصى فى جبهه القتال. و خلاصه القول: إنَّ الإمام فى الوقت الذى يعتبر فيه الزعيم الدينى و العلمى للأمة، فهو قائد للبلاذ و أمر للجيش فى الحرب و قاضى فى المحكمه. و الآيه صريحه فى أنَّ الملك و الزعيم قد يكون أمرا للجيش و قائداً عاماً للقوات المسلحة أحياناً. و عليه: فليس هنالك ما يدعو لطرح السؤال الثانى لنجيب عليه. و لنفترض أنَّ الآيه اقتصرت على شرائط أمر الجيش و كان هذا هو المراد من الملك، و قد ذكرنا بأنَّ الموازين الطبيعیه تقتضى أن يكون الأمر فرداً عالماً بفنون الحرب و القتال و مؤهلاً لقيادة الجيش و قوياً و مقتدرأ، و مع ذلك فينبغى لنا أن نلتزم بهذه الشرائط بالنسبه للإمام أيضاً؛ لأننا قلنا سابقاً: إنَّ ولاء الأمر هم أئمه لا بدّ من أتباعهم و طاعتهم فى جميع الأمور السياسيه و الاجتماعيه و العسكريه. و بعبارة أخرى: فالأولى أن نقول بأنَّ الإمام لا بدّ أن يشتمل على هذه الشرائط؛ لأنّه لا يمكن أن يكون مطاعاً مطلقاً، و ليست فيه مثل هذه الشرائط، بينما إذا اشترك فى القتال كان هو القائد العام للقوات، و على الأمراء أتباعه و طاعه أوامره.

أمير المؤمنين عليه السلام و آيات قصه طالوت:

ما أوردناه سابقاً تفصيلاً لما قاله أمير المؤمنين على عليه السلام فى روايه نقلها صاحب تفسير نور الثقلين عن كتاب «الاحتجاج» للطبرسى. فقد قال عليه السلام: «اسمعوا ما أتلو

عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا؛ فإنه والله أبلغ عظه لكم، فانتفعوا بمواظب الله وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم بغيركم، فقال لنبيه صلى الله عليه وآله: أَلَمْ تَرِ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عِبْرَةً؛ لتعلموا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالْإِمْرَةَ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَعْقَابِهِمْ، وَ أَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهُ وَ زِيَادَةَ بَسْطِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، فَهَلْ تَجِدُونَ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي أُمِّيَّةٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ. وَ زَادَ مَعَاوِيَةَ عَلَيَّ بِسْطِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ»(١). لَقَدْ وَرَدَتِ الْآيَةُ بِشَأْنِ قَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا لِرَسُولِهِمْ: ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُجَابَهُمْ نَبِيُّهُمْ: هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟

فقالوا بصوت واحد: و ما لنا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا! وَ لَكِنْ مَا إِنْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ حَتَّى تَرَا جَعَتِ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي أُعْرِبَتْ عَنْ اسْتِعْدَادِهَا لِلْقِتَالِ، وَ لَمْ تُصَمِّدْ مِنْهُمْ إِلَّا فِتْنَةً قَلِيلَةً فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٢). أَمَّا مَا نَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَنَّ الْخِلَافَةَ وَ إِدَارَةَ شُؤْنِ الْبِلَادِ قَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي أَعْقَابِهِمْ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ الْإِمَامَةَ الطَّبِيعِيَّةَ لِخَطِّ الرِّسَالَةِ، وَ أَنَّ قَضِيَّةَ طَالُوتَ عِبْرَةٌ لِلْعَامَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ، وَ أَنَّهَا قَدْ وَضَّحَتْ وَظِيْفَةَ الْمُسْلِمِينَ تَجَاهَ الْإِمَامِ، وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ طَالُوتَ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ لِعِبُودِيَّتِهِ الْخَالِصَةِ وَ حِيَازَتِهِ لَشُرَاطِ الْإِمَامَةِ. وَ أَنَّهَا قَدْ أَمَاطَتِ اللَّثَامَ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّهُوضِ بِالْإِمَامَةِ وَ زَعَامَةِ الْأُمَّةِ، وَ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ أَوْلَى بِهَذِهِ الزَّعَامَةِ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ، وَ أَنَّ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِالْإِمَامَةِ مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ لَيْسَ

١- تفسير نور الثقلين: ٢٤٤ ح ٩٧٠ عن الاحتجاج ١: ٤٠٧-٤٠٨.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

لمعاويه الذى يفتقر لشرائط الإمامه أن ينهض بهذه المسئوليه، و أخيراً نفهم من قول على عليه السلام أنّ قضيه طالوت ليست قصه روائيه، بل هى حادثه تهدف إلى تعريف المسلمين بشرائط الإمامه، و أنّ قصه طالوت موعظه للمسلمين فى أنّ الإمام هو الفرد الصالح، الكفوء، العليم، القدير الذى لا يُضاهيه أحد فى هذه الصفات، كما أنّ القرآن لا يرى من جدير بإمامه المسلمين سوى على عليه السلام و أولاده؛ لأنهم يمتثلون مصداقها التام، و قد جمعت فيهم شرائط و مقومات الإمامه.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (سوره آل عمران،
الآيتان ٣٣ - ٣٤)

عود إلى شرائط الإمامه المستفاده من القرآن

آيه الاصطفاء

نتابع دراسته الآيات القرآنيه فى إطار التعرف على شرائط الإمامه: فقد ورد فى سورة آل عمران قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يقوم الاستدلال بهاتين الآيتين على امور هى:

الأمر الأول:

لقد استعملت كلمه «الاصطفاء» على أربعة أنحاء، حيث يختلف معناها فى كل قسم من هذه الأقسام، فأحياناً تستعمل دون حرف، و اخرى مع «من، على و اللام» و الاصطفاء كما ذكرنا سابقاً على وزن الافتعال، و أصلها من «صفو» بمعنى الخالص، فالاصطفاء هو الانتخاب و الاختيار الخالص. فإن استعملت بدون حرف كان معناها الخالص، و هكذا وردت فى سورة

آل عمران: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ (١) و الدليل هو وحده السياق فى الآيه الشريفه، و إذا جاء معها الحرف «من» فهى تعنى الانتخاب من بين جماعه، و هذا ما نلمسه فى سوره فاطر: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٢). أمّا إذا استعملت مع «على» فإنها تفيد ترجيح المنتخب. فهى و إن اشتركت مع المعنى المُراد فى القسم الثانى؛ أى الانتخاب الخالص، إلّا أنّها تفرق عنه بأنّها تتضمن ترجيح المنتخب، و هذا ما ورد فى قصه طالوت التى أشرنا إليها آنفاً إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ (٣). و لذلك وردت استفهاميه فى سوره الصافاتِ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (٤) أى ليس هنالك من ترجيح و انتخاب فى هذا الأمر.

رفع إشكال:

لقد تضمّن معنى «الاصطفاء» رفع إشكال من شأنه تشويش أذهان العوام، فقد صرّح القرآن بشأن مريم قائلاً: وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٥). يعتقد البعض أنّ مريم مصطفاه على كافه نساء العالم، و الحال أنّ الآيه لا تفيد أى اصطفاء بالنسبه لعامه نساء العالم و لا امتياز عليهنّ «أنت مصطفاه و ممتازه من بين نساء العالم». فهى ليست منتخبه على جميع النساء و ليس لها من امتياز على الجميع، بل هى مصطفاه من بين نخبه النساء، و نعلم أنّ مريم من المصاديق العُليا للنساء الجليلات: مريم عابده و مطهره، و هذا لا يتنافى و وجود سائر النساء الجليلات الاخرى فى هذا الجنس البشرى، و الكلام يختصّ بكونها

١- سوره آل عمران: الآيه ٤٢.

٢- سوره فاطر: الآيه ٣٢.

٣- سوره البقره: الآيه ٢٤٧.

٤- سوره الصافات: الآيه ١٥٣.

٥- سوره آل عمران: الآيه ٤٢.

منتخبه، ولا- سيّما أنّ هذا الانتخاب و الترجيح يتعلّق بأمر غير طبيعي، و هو الحمل دون وجود الزوج، فقد خلق الله مريم على درجه من الطهر و العفاف بحيث إنّ الأذهان لا- تتصوّر أيّ طعن في طهرها و عفافها من جرّاء هذا النوع من الحمل، و هناك روايه تؤيد ما ذهبنا إليه (١). الأمر الثاني: هل أنّ اصطفاء آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين إلى الأبد على ضوء الآيه إنّ الله اصطفى آدمَ و نُوحاً و آلَ إبراهيمَ و آلَ عمرانَ على العالمين؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً أنّ كلمه «الاصطفاء» إذا استعملت مع حرف الجرّ «على» أفادت معنى الترجيح في انتخاب فرد أو أكثر على الآخرين، فمعنى الآيه أنّ الله انتخب آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران- الذين يمثلون الصفوه- من بين سائر أفراد العالم. إذن، فالانتخاب من بين العالمين، و أنّ المنتخبين من أصفياء العالم، لا- أنّ الانتخاب على جميع العالم و أنّ للمنتخبين امتياز على العالم، و الله أعلم. و يؤيد ذلك المعنى الآيات من سورة الأنعام: وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٢).

١- راجع مجمع البيان ٢: ٢٨٩ ذيل الآيه الشريفه «وَ اصْطَفَيْكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

٢- سورة الأنعام الآيات ٨٤-٨٦.

و نعلم أنّ هؤلاء الأنبياء ليسوا مصطفين على العالم، وقد انتخبوا بالتفضيل الإلهي من بين العموم، و من أراد المزيد فليراجع تفسير أحد الكاتبتين (١).

جواب آخر:

قد يُقال بأنّ آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران قد اصطفوا على العالمين، إلّا أنّ هذا لا يعنى أنّ نوحاً مثلاً قد اصطفى على جميع العالمين. نعم، آدم و نوح و ...

مصطفون على العالمين بمعنى عدم خروج آل رساله المصطفين من هؤلاء. المصطفى الأوّل هو آدم عليه السلام الذى اصطفاه الله على عالمه آنذاك، ثمّ نوح و هكذا آل إبراهيم و آل عمران، حيث إنّ كلّ واحد فى هذه الآل مصطفى على عالم زمانه. و محمّد صلى الله عليه و آله النبى العربى و هو من آل إبراهيم مصطفى منذ زمان بعثته المباركه حتّى الأبد. و بعبارة أوضح: فإنّ المصطفين على عالم البشريه منذ بدء الخليقه يتدثون بآدم عليه السلام و يختتمون بآل إبراهيم عليه السلام بحيث إنّ كلّ واحد منهم مصطفى الله على أهل زمانه، حتّى ظهور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يُعتبر مصطفى من قبل الله منذ انطلاقه البعثه إلى الأبد ما دام عالم البشريه قائماً، فليس هنالك من نبوّه لكافّه العالمين و فى كافّه أديوار التاريخ من غير هؤلاء و إن اختصّ كلّ واحد منهم بزمانه، أمّا من حيث المجموع فهم المصطفون على العالمين على مدى التاريخ، و الله اعلم. أمّا مريم فهى تشتمل على مزيه تميّزها على سائر النساء، و هى مزيه الحمل من دون الزوج، و هو الحمل الذى لا ينطوى على أىّ مساس بعفّه مريم و طهرها. الأمر الثالث: من هم آل إبراهيم و آل عمران؟ جاء فى المنجد: «أنّ آل الرجل أهله، و لا يستعمل إلّا فى ما فيه شرف» (٢) لا

١- تفسير كلام الحقّ للشيخ شهاب الدين الإشراقى.

٢- المنجد فى اللغة: ٢١، مادّه «آل».

كُلُّ أَهْلٍ وَ أَيْنَمَا كَانَتْ كَلِمَةُ «أَهْلٍ» لِتَقْيِيدِ صِفَةِ الْمُضَافِ إِلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ، فَيُقَالُ مِثْلًا:

«أهل العلم» أى الأفراد الذين يتصفون بصفه العلم، و أهل قم، و حيث إنَّ الآل هى صفوه الأهل فإنَّ آل إبراهيم تعنى الخواصَّ و الصفوه من أهل إبراهيم عليه السلام. لإبراهيم عليه السلام ولدان هما إسماعيل و إسحاق، و المراد بآل إبراهيم خلفه و ولده المصطفون من قبل الله، فهل هم الأنبياء و المصطفون من ذريه إسماعيل و الأنبياء من ذريه إسحاق أيضاً؟ و لعمران ولدان هما عمران و والد موسى عليه السلام و عمران و والد مريم عليهما السلام، و ربّما كان المراد بعمران التى أضيفت إلى الآل فى الآيه الكريمة و والد مريم، فآل عمران فى هذه الحاله هم المصطفون من هذه الطائفه، و يؤيّد ذلك الآيات اللاحقه من هذه السوره المباركه التى ذكرت مريم مشيره إلى أصالتها. كما يمكن أن تكون آل عمران شامله للطائفتين؛ لأنَّ كلمه عمران رغم أنَّها اسم علم لكنّها تنطبق على مسمّين أيضاً، إلّا أنّ هذا الاحتمال ليس معتبراً علمياً.

مَنْ هُمْ آلُ إِبْرَاهِيمَ؟

آل عمران كلّ واحد من الطائفتين أو الطائفه الخاصه من والد مريم، أمّا آل إبراهيم فتقتصر على ذريه إسماعيل، لأنَّ العطف دليل على المغايره، و يؤيّد كون آل إبراهيم هم ذريه إسماعيل قوله عزّ و جل فى الآيه ٥٨ من سوره مريم: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ فَقَدْ فَضَّلَ ذُرِّيَهُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ ذُرِّيهِ إِسْرَائِيلَ، فى حين أنّ إسرائيل هو يعقوب و هو من أولاد إسحاق بن إبراهيم. و من هنا يعلم بأنَّ القرآن لم يرد بذريه إبراهيم سوى أولاد إسماعيل، و الدليل الأوضح على ذلك ما نحن بصدده من الآيه ذُرِّيَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لِأَنَّ الذَّرِيَةَ

وردت بدل من آل إبراهيم و آل عمران، أى أنّ آل إبراهيم و آل عمران ذريّه واحده؛ لأنّ والد الآلين هو إبراهيم. أمّا بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فمعناه انفصال و تفرّع البعض من ذريّه و البعض الآخر من ذريّه أُخرى. و بعبارة أيسر: أنّ معنى العبارة رغم أنّ آل إبراهيم و آل عمران ذريّه واحده، غير أنّ آل عمران من ولد و آل إبراهيم من ولد آخر، و عليه فال عمران من يعقوب بن إسحاق و هو إسرائيل، و آل إبراهيم من إسماعيل بن إبراهيم.

هدف سام:

لِمَ عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ عَنْ ذَرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَ عَنْ أَوْلَادِ إِسْحَاقَ بِآلِ عِمْرَانَ؟ لَعَلَّ الْمَغْزَى فِي هَذَا التَّعْبِيرِ رِغْمَ أَنَّ الْإِثْنَيْنِ هُمَا آلُ إِبْرَاهِيمَ، هُوَ هَدَفٌ سَامٌ وَ بِقَصْدِ إِفَادَةِ مَطْلَبٍ أَسَاسِيٍّ. فَآلُ إِسْحَاقَ قَدْ انْقَطَعُوا عَنْ مَقَامِ النَّبُوَّةِ السَّامِيِّ وَ سَيَحِلُّ الْيَوْمَ الَّذِي يَزُولُ فِيهِ دِينُ إِسْحَاقَ، وَ بِالتَّالِيِ فَإِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ الْعَالَمِيَّ سَيَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الْقَوَانِينِ السَّمَاوِيَّةِ. إِذَنْ، فَالذَّرِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ الْحَافِظَةُ لِهَدَفِهِ السَّامِيِّ الْقَائِمِ عَلَى أُسَاسِ التَّوْحِيدِ وَ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ إِنَّمَا تَنْحَصِرُ فِي وَدِئِ إِسْمَاعِيلَ، وَ بِالنِّهَايَةِ فَإِنَّ النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ هُوَ الْحَافِظُ لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ قَدْ لَفَتِ الْقُرْآنَ الْأَنْظَارَ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (١). وَ بِنَاءً عَلَى هَذَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ مَنْحَصَرُونَ فِي الصَّفْوَةِ مِنْ وَدِئِ إِسْمَاعِيلَ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ أَتْبَاعَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ كَالنَّصْرَانِيَّةِ وَ الْيَهُودِيَّةِ قَدْ أَحْدَثُوا مِنْ

الخرافات و الخزعبلات و التحريفات فى الدين الأصيل لموسى و عيسى، بحيث زالت معالم الدين بالمزّه و لم يبق منه سوى الأوهام و الخرافات، و ذهبت الجهود المضنيه لإبراهيم عليه السلام و التوحيد الخالص لله أدراج الرياح. و لذلك فصل الحق سبحانه عنوانى النصرانيه و اليهوديه عن أتباع عيسى و موسى عليهما السلام، و سلخ إبراهيم عليه السلام عنهما، فقال عزّ و جل: ما كَانَ إِبراهيمَ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرَانِيًّا وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَ ما كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١). و نوكل الخوض فى التفاصيل إلى محلّ آخر. الأمر الرابع: الأمر المهمّ الذى يمثّل الهدف الأساسى فى الآيه هو كيفيّة تعبير القرآن الكريم، فقد نسب الاصطفاء لشخصين و طائفتين إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبراهيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. فقد ذكر الله اسم هؤلاء المنتخبين من بين عباده، فالفرد المخلص الأوّل هو آدم، و الفرد المخلص الثانى هو نوح، و الطائفة الخالصة الأولى هى آل إبراهيم، و الثانى آل عمران. فنرى اسم نوح قد ذكر بعد آدم رغم قدوم عدّه أنبياء، كما اقتصر الحديث على آل عمران من بين آل إسحاق، فأدم أوّل أنبياء الله، و قد ركز القرآن عليه حتّى أسهب فى الحديث عنه فى سورة البقره، كما أنّ لنوح عدّه مزايا، ربّما منها كونه يمثّل آدم الثانى بالنسبه للبشرية إثر انقراض البشرية فى زمانه و تجديد الحياه ثانيه. أمّا السؤال المهمّ هنا هو لِمَ هذا الاهتمام بآل عمران؟ و لعلّ سبب ذلك يعود إلى ظهور أنبياء عظام فى هذه الآل، بحيث ما زال أغلب الناس ينسب نفسه إليهم، فمنهم موسى و عيسى عليهما السلام، و قد راعى القرآن جانب الاختصار فى تعبيره بآل عمران عن نبوّات ولد إسحاق، الأمر الذى يطول شرحه. و السؤال الأهمّ: ما السبب فى التعبير بآل إبراهيم؟

و كأنّ التعبير بآل إبراهيم الذى يسلط الضوء على نبوّه إبراهيم- وبالالتفات لما ذكرنا من أنّ آل إبراهيم مختصّه بذريّه إسماعيل- يشير إلى زعماء الإسلام و على رأسهم زعامه محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله و خلفه الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم من آل إبراهيم، و أنّهم حقاً جديرون بهذا الانتساب، أى الانتساب بصفتهم آل إبراهيم إلى هذه الطائفة من زعماء الدين للعالم. و بناءً على ما تقدّم فإنّ القرآن قد طرح أساس الزعامه العالميه للبشرية منذ بدء الخليقه على الأرض حتّى انتهائها، فقد تزعم آدم عليه السلام العالم فى بدايته، ثمّ تجدد هذا الأساس من قبل نوح بعد انقراض البشرية فى الطوفان، كما أنّ الزعماء الأصليين لعالم الأمس و اليوم و الغد هم آل عمران و آل إبراهيم. و أنّ زعيم طائفه آل إبراهيم فى العالم منذ ألف و ثلاثمائه و بضع سنوات قبل إلى القيامه هو محمّد صلى الله عليه و آله و من بعده زعماء الإسلام من آل محمّد و آل إبراهيم؛ و ذلك لأنّه كما ذكرنا سابقاً أنّ آل إبراهيم الذين ينتمون إلى ذريّه إسماعيل، و آل محمّد الذين ينتمون إلى آل إبراهيم ليسوا إلّا الصفوه من بنى هاشم.

هدف الآيه:

تهدف هذه الآيه إلى تثبيت أصاله الإسلام و أئمّه المسلمين، فقد أوضح القرآن بإعجازه فى آيه قصيره زعامه العالم منذ نشوء الخليقه إلى القيامه. فكما انتخب الله آدم و نوحاً، فإنّه انتخب و اصطفى آل عمران و آل إبراهيم، و قد جمع الزعامه العالميه فى ذانك النبيين العظيمين و هاتين الطائفتين. و عليه: فإنّ عالم المسيحيه و اليهوديه و إن نظر إلى آدم و نوح و آل عمران على أنّهم مصطفون من قبل الله، لا- بدّ أن ينظر أيضاً إلى أنّ آل إبراهيم و أئمّه الإسلام- الذين ينسبون إلى محمّد- على رأس هذه السلسله من الزعماء، و مع هذا

الفارق و هو أنّ إبراهيم يمثّل منشأ التوحيد الخالص، و أنّ استمرار هذا الهدف السامى سينتهى إلى ولد إسماعيل. و بناءً على هذا فإنّ ذريّه إسماعيل هي الحافظه لمركز التوحيد الذى بناه إبراهيم و إسماعيل، و أنّ صفوه هذه الذريّه هم محمّد و آل محمّد.

نتيجه هذه الأبحاث:

كنا نروم من هذه الأبحاث الدلاله التامه للآيه على الزعامه المطلقه لأئمه بنى هاشم، فالآيه تدلّ على أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام هم الزعماء بلا منازع، كما دلّت ضمناً على أنّ زعماء الإسلام و أئمه الهدى مصطفون من قبل الله، و أنّ البشريه تحتاج إلى أولياء الله من زعماء آل إبراهيم و الأئمه الأطهار فى عرض النبوه و كونهم يمثّلون الامتداد الحقيقى لهذه النبوات. و فى الآيه دلاله ضمنيه فى أنّ هؤلاء الأئمه إنّما يواصلون تحقيق هدف إبراهيم فى إشاعه التوحيد و العبوديه الخالصه لله، و أنّهم صفوه مصطفاه على غرار مصطفى الوحي من الأنبياء، و أنّ الله قد رجّحهم على ما سواهم؛ لاشتمالهم على الكمالات التى تميّزهم عن غيرهم. إذن، هؤلاء ممّن جمعت فيهم شرائط الإمامه من قبيل الطهاره و البصيره بالأوضاع الاجتماعيه و العلم بأسرار القرآن و الوحي و خفايا عالم الخلقه، و بعدهم عن الظلم و الشرك و الخرافات و الجهل، بل هم على درجه من الاقتدار و العلم و الإحاطه بعالم الآخره، بحيث اتّصفوا بجدارتهم و صلاحيتهم لزعامه و حفظ دعوه إبراهيم، و بالتالى فقد جمعوا ما يؤهلهم لاصطفائهم من قبل الله على الناس، فقد كانوا الصفوه الطاهره التى اصطفاه الله لزعامه الأئمه.

الحسين عليه السلام والآيه الكريمة:

لقد تلا الإمام الحسين عليه السلام هذه الآيه المباركه: إِنَّ اللَّهَ اضْيَطْفَى آدَمَ وَ نُوحًا... (١) لَمَا بَرَزَ وَلَدَهُ عَلَى الْأَكْبَرِ لِلْقِتَالِ. لقد سمعنا مقاله الإمام أو قرأناها فى المقاتل (٢)، إلَّا أَنَّا لَمْ نَلْتَفِتْ لِسَبَبِ اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا، فَقَدْ طَرَحَ الْإِمَامُ حَقَانِيَّتَهُ فِى زَعَامَةِ الْأُمَّةِ وَ الْهَدَفِ مِنْ نَهْضَتِهِ تَجَاهَ حُكُومِهِ وَ زَعَامَةِ يَزِيدِ الْفَاجِرِ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ بِأَنَّ حَرَكَةَ الْإِمَامِ وَ دَعْوَتَهُ فِى إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا تَسْتَدُ لِمَنْطِقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

و ليدرك العرب بأن القرآن الكريم هو الذى صرّح و نصّ على زعامته، فإذا تعرّض إلى ما تعرّض له من جور يزيد و ظلمه فليس له من ذنب سوى ذلك! و ليعلم سلطه اليزيديه الحاكمه و جلاوزتها بأنّ الحقّ مع الإمام، و أنّ الفرد المصطفى من آل إبراهيم لزعامه الأمّة هو الإمام المظلوم سيّد الشهداء عليه السلام، و ليعلم الباحثون و المحقّقون الضالعون فى القرآن الكريم أنّ إمامه المسلمين إنّما تعيّن من قبل الله لا الشورى و الانتخابات. و ليعلم العالم بأنّ الحسين عليه السلام صفوه المخلصين لله الحائز على شرائط إمامه المسلمين و الجدير بهذا المنصب. هذه هى الحقائق التى رام الإمام إيصالها إلى الآخرين بتلاوته للآيه الشريفه.

الآيه المباركه و أحاديث الإماميه:

لقد جمع الفيض الكاشانى - العالم و المحقق الجليل - عدّه روايات معتبره و أطلق عليها اسم «نوادير الأخبار فى ما يتعلّق باصول الدين». و من بينها روايه مفضّله هى عبارته عن حديث دار بين ابن عباس و أمير المؤمنين عليه السلام بشأن وصيه النبي صلى الله عليه و آله بعلى عليه السلام، جاء فيها: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «تَمَّ أَنْتَ يَا عَلِيُّ مِنْ أُمَّةٍ

١- سورة آل عمران: الآيه ٣٣.

٢- لواعج الأشجان، للعلامة العاملى ص ١٣٦.

الهدى، و أولادك منك، فأنتم قاده الهدى والتقى، و الشجره التى أنا أصلها و أنتم فرعها، فمن تمسك بها فقد نجا، و من تخلف عنها فقد هلك و هوى، و أنتم الذين أوجب الله- تعالى- مودتكم و ولايتكم، و الذين ذكرهم الله فى كتابه و وصفهم لعباده، فقال عزّ و جلّ من قائل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا... فأنتم صفوه الله من آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران، و أنتم الاسره من إسماعيل و العتره الهاديه من محمّد صلى الله عليه و آله^(١). فالحديث الشريف أشار استناداً إلى الآيه الشريفه إلى عدّه أمور، منها: أنّ عليّاً عليه السلام و ولده هم أئمه الدين و زعماء الأئمه و كهف الورى، و هم الفروع لشجره الإسلام المباركه، و أنّ الله هو الذى جباهم بهذه المقامات من بين آل إبراهيم، و قد استدللّ النبى صلى الله عليه و آله لاثبات هذه المقامات بالآيه الشريفه: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى. و بناءً على ما تقدّم فإنّ آل إبراهيم لا يقتصرون على محمّد صلى الله عليه و آله و ولد إبراهيم، بل الأئمه الأطهار عليهم السلام هم آل إبراهيم، و أنّ آل إبراهيم المصطفون إنّما ينتهون إلى هذه السلسله الجليله و العتره الهاديه. فقد استدللّ النبى صلى الله عليه و آله بهذه الآيه و قال: أنتم صفوه الله من آدم و نوح و آل إبراهيم. فعلىّ و أولاده صفوه الله، و لما كانوا كذلك فهم أهل الإمامه و الزعامه المتوفّره فيهم شرائطها. و نفهم من ذلك أنّهم مبرّءون من كلّ عيب و نقص و جهل، بل ليس فى هذه الشجره إلّا الإخلاص و الاصطفاء الإلهى، و هنا لا بدّ من القول بأنّ آل محمّد صلى الله عليه و آله يمثلون قمّه السموّ و الكمال و الرفعه العلميه و التقوى و الورع و الطهاره و كافّه الفضائل الإنسانيه، من قبيل الشجاعه و الإقدام و العلم و الزهد و الكرم و سائر الصفات؛ لأنّهم صفوه الله.

١- تأويل الآيات الظاهره ١: ١٠٦ ح ١٣، نوادر الأخبار: ١٢٦.

خلاصه الآيات و الروايات:

لقد تعرّضت هاتان الآيتان إنّ الله اصطفى ذريّةً بعضها من بعض.

إلى تاريخ الإنسان منذ ظهوره حتّى انقراضه، كما خاضتا بصوره مقتضبه فى زعامه البشرى و أبطالها من الصفوه الذين حازوا شرائطها حتّى تزعم كلّ واحد منهم عالمه المعاصر، حيث ابتدأت هذه الزعامه بآدم عليه السلام و اختتمت بآل إبراهيم عليه السلام. و قد كانت خلاصه آل إبراهيم قد تمثّلت بالإمامه الإسلاميه التاريخيه لرسول الله صلى الله عليه و آله الذى اختتمت به النبوه، و قد كان الهدف الأصيل لإبراهيم عليه السلام و استمرار دعوته قد تمثّل بظهور الصفوه من آل محمّد صلى الله عليه و آله، حيث لم تختتم الزعامه بالنبي صلى الله عليه و آله من آل إبراهيم، بل استمرت فى عقبه من بعده من أهل بيت النبوه الذين عيّنوا من قبل الله لمواصله خطّ النبي صلى الله عليه و آله، و لم يكن هؤلاء سوى الأئمه الهداه عليهم السلام، و لا يمثّل هذا الكلام استظهاراً للآيتين الكريمتين، بل هذا ما عهدده الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لعلّى عليه السلام، إذ قال له: أنتم صفوه الله من آدم و نوح و آل إبراهيم ... الذين خصّهم الله بالآيه إنّ الله اصطفى. و عليه فزعماء المسلمين بعد النبي صلى الله عليه و آله هم الأئمه الأطهار عليهم السلام، و حيث كانوا الصفوه المختاره على مدى التاريخ، كان لا بدّ من القول أنّهم مطهرون مبرّءون من كلّ عيب و دنس، و هم فى مستوى الأنبياء فى الإخلاص و الإحاطه بالغيب، بل لما كانوا استمراراً لهدف إبراهيم و زعماء الأئمه إلى الأبد. ينبغى الإذعان بأنّهم الأعلّم و الأقدر من سائر الزعامات على مرّ العصور، و هم الجديرون بتطبيق المبادئ الحقه لرساله النبي الأكرم صلى الله عليه و آله. و على ضوء ما تقدّم فقد اتّضحت شرائط الإمامه و صفاتها العالیه، و أنّ الأئمه عليهم السلام هم خلّص عباد الله العالمون بأسرار الدنيا و الآخره، البعيدون عن كلّ عيب و نقص، و المتّصفون بالزهد و الورع و التقوى و العلم و الشجاعه و السماحه،

فهم الصفوه المختاره من آل إبراهيم، إبراهيم رائد التوحيد و العبوديه المحضه لله، بل هم صفوه الله إلى الأبد و حمله علمه الذى لا يعرف الانقطاع.

ملاحظه:

الأسلوب الذى درجنا عليه فى الكتاب يتمثل بالدراسه و التحقيق فى القرآن الكريم من أجل إثبات أصاله الإمامه و شرائطها، فالنهج هو التعمق فى الآيه من أجل التعرف على هذه الامور، الأمر الذى يجعل الكلام يطول أحياناً شئنا أم أئينا، و قد تجنبنا التعرض لسائر الآيات التى أوردها علماء الإسلام فى مصنفاتهم بشأن الإمامه خشيه التطويل و الملل، و إلا فهناك عدّه شواهد معتبره بشأن الإمامه و شرائطها فى القرآن، و لعلّ من المفيد التعرض إليها، غير أنّ طريقتنا فى البحث تركّزت على لفت انتباه العلماء إلى المضامين القرآنيه. و هناك ملاحظه أخرى يجدر الالتفات إليها، و هى أننا قد طرحنا سابقاً سؤالاً فى أنّ قيود الإمامه هل هى قيود مفروضه تنسجم و الفطره السليمه فى الإقرار بها أم لا؟ و قد اتّضحت الإجابة خلال الأبحاث، حيث كان البحث يختصّ بشرائط الإمامه من وجهه نظر القرآن، و هى الشرائط التى تستسيغها الفطره السليمه و العقل السليم، بل أنّ العالم ليتعطش إلى زعامه مثل هؤلاء الأئمّه، و لذلك لا نرى حاجه لبحث هذا الأمر بصوره مستقلّه. و أمّا دراسه عدد الشرائط فلا نرى له من ضروره، و يبدو أنّ ما أشار إليه القرآن كافٍ بهذا الشأن، و لذلك لم نتطرّق إلى هذه الشرائط بصوره مستقلّه، و هل أنّ القرآن صدّق أو لم يصدّق ما أورده علماء الكلام بهذا الخصوص. و نتناول الآن بالبحث فى علم الإمام.

علم الإمام عليه السلام

الزعامة في الإسلام:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ الزعامة في الإسلام ليست وليده الاستفتاء و الصراعات السياسيّه و القفز على المواقع من أجل السيطرة على مقدّرات المسلمين، بل أنّ الرئاسة الإسلاميّه منصب إلهي قد فوّضه الله سبحانه في إطار النظام الإسلامي المتكامل إلى الأئمّه الأطهار عليهم السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، و أنّ اشتغالهم على الشرائط جعلت الله يفيض عليهم هذا المقام العظيم الذي لا يسع الآخرين النهوض به. كما أشرنا إلى طائفه من شرائط الإمامه، أمّا البحث المهمّ الذي يشغل الأذهان و يحظى باهتمام الجميع فيكمن في علم الإمام و الزعيم الإسلامي، الذي سنسلط الضوء عليه في هذا البحث، و هنا تواجهنا بعض الأسئلة بهذا الشأن، منها: ١- هل الإمام عالم بالغيب، أم أنّ هذا العلم مختصّ بالذات الإلهيه المقدّسه؟

و إن كان عالماً بالغيب، فما كيفيه هذا العلم، و هل يتوصّل إلى هذا العلم بمجرد بلوغه مقام الإمامه بحيث يدرك الغيب و الخفاء، أم أنّه يعتمد بعض الوسائط لبلوغ مثل هذا العلم؟

و بعبارة أُخرى: فهل مجرّد بلوغ ذلك المقام يستلزم الوصول إلى مقام معنوى رفيع بحيث لا يمكن أن يخفى عليه شىء، أم هنالك من المعيّيات ما ليس له إليها من سبيل رغم بلوغه ذلك المقام بغضّ النظر عن الوحي أو الإلهام أو سائر الوسائط؟ ٢- هل تنحصر علوم زعماء الإسلام و أئمّه الأطهار عليهم السلام فى إطار العلم بالقرآن و الأحكام القرآنيه و التعاليم الإسلاميه فى حين ليس لهم مثل هذا العلم بالحوادث المستجده و مستقبل المسلمين و مصير الإسلام، أم أنّ علمهم واسع شامل بخصوص القرآن و الأحكام و التعاليم الإسلاميه و مستقبل الامّه و ...؟ ٣- هل للأئمّه علم بما كان و بما يكون إلى يوم القيامة أم لا؟ و على فرض وجود مثل هذا العلم، فهل علمهم بالأشياء حضورى أم حصولى؟ و بعبارة أُخرى: هل «إذا شاءوا علموا» كما يقول المتكلمون بحيث ليس لهم مثل هذا العلم دون هذه المشيئه، أم أنّ علمهم فعلىّ بجميع هذه الأشياء؟ و نتناول الآن دراسه القسم الأوّل، أى علم غيب الأئمّه و الأنبياء عليهم السلام من وجهه نظر القرآن الكريم.

القرآن و علم الأنبياء عليهم السلام:

ليس لأئى من الأنبياء من إحاطه بأسرار الخلق و تعاليم الدين بصوره تلقائيه، و أنّهم إنّما يتعلّمون كلّ شىء من خلال الوحي و النفحات الربّانيه، و قد صرّح القرآن بتعليمه آدم الأشياء - ضمن سرد قصّته - و أنّ الملائكه أعربوا عن عجزهم العلم بالأشياء دون رفدهم بها من الله و علّم آدم الأشيء كلّها ثمّ عرّضهم على الملائكه فقال أنبؤنى بأشيء هؤلاء إنّ كنتم صادقين * قالوا سُبْحَانَكَ لا علم لنا إلّا ما علّمتنا(١). و قال بشأن عيسى عليه السلام:

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (١). و قد ذكرنا سابقاً أنّ علم الأنبياء عليهم السلام يستند إلى الوحي، بينما يستند الأوصياء في علمهم إلى الأنبياء. و عليه: فهم ليسوا فقط لا يطلعون على الغيب تلقائياً، بل حتّى علمهم بأسرار النبوه إنّما هو من تعليم الله، حتّى علمهم بقصص الامم الماضيه و الأنبياء لا يتأتى من بذل الجهود و التعرف عليها من خلال الطرق المتداوله.

و الوحي هو سبيلهم فى الإحاطه بهذه الامور، و قد أفصح القرآن الكريم كراراً عن هذه الحقيقه بشأن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فعلى سبيل المثال يستعرض القرآن قصه يوسف من أجل استنباط بعض الدروس و العبر التى لم يكن النبى صلى الله عليه و آله على علم بتلك الأحداث نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٢). و بناءً على ما تقدّم فسييل الأنبياء إلى العلم هو الوحي، و بغضّ النظر عن الوحي فهم كسائر الناس فى التعرف على الحقائق و تشخيص الامور و التعامل مع الحوادث، كما يبدو أحياناً دون الوحي أفراداً عاديين من حيث العلم ببعض الامور و كأنهم لا يحسنون معرفه الأشياء المحيطه بهم. فنوح عليه السلام- و هو من أنبياء أولى العزم، و طبق النظره الابتدائيه دون الاستناد إلى الوحي- يرى صلاح ولده، فيستغيث بالله من أجل إنقاذه من بلاء الطوفان رَبِّ إِنِّي مِنَ الْغَافِلِينَ (٣)، فأتاه الخطاب الإلهي الحاسم الذى يتضمّن المنع عن مثل هذا الطلب قال يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤).

١- سورة آل عمران: الآيه ٤٨.

٢- سورة يوسف: الآيه ٣.

٣- سورة هود: الآيه ٤٥.

٤- سورة هود: الآيه ٤٦.

فلم يجد نوح بدءاً من الانصراف عن طلبه و الاستعاذه بالله من تكرار مثل هذه الطلبات، قال رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ (١). إذن، فليس هنالك من غبار يشوب هذه الحقيقه فى أنّ سبيل الأنبياء إلى العلم هو الوحي، و ليس لهم من سبيل إلى الإحاطه بجميع الحقائق دون ذلك الوحي، و لا- يلزم على النبي كونه نبياً أن يلتم تلقائياً بكافه الامور الغيبه و يحيط خبراً بجميع الحوادث. و هذا هو الأمر الذى كشف القرآن عنه النقاب حين خاطب النبي الأكرم صلى الله عليه و آله قائلاً: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَوْ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا (٢). إذن، فليس صحيحاً القول بأن النبي لكونه يشغل هذا المنصب الإلهي الرفيع يكون عالماً بالغيب بالذات، و أنّ مقام النبوه سيزيل عنه كلّ حجب المجهول، و بعبارة اخرى: النبوه ليست وسيله لعلم الغيب، بل النبي لا- يستغنى فى كلّ آن عن الإفاضه الإلهيه فى إدراك المجاهيل، و هذا من الامور التى لا نقاش فيها، إلّا أننا حين نتبع القرآن و الآيات الوارده بشأن النبوه نفهم أنّ البارئ سبحانه قد أفاض عناياته الخاصه على صاحب هذا المقام، بما يجعله يقف على جميع الامور المجهوله و ماضى و مستقبل البشريه و الحوادث التى تواجهها فى مسيرتها، حيث اختصّ سبحانه بعض عباده بهذه الإحاطه، الأمر الذى يجعل صاحب مقام الزعامه الدينيه عالماً بالغيب. و إليك طائفه من الآيات الوارده فى علم الغيب، و هنا يمكننا أن نقسم الآيات الكريمه إلى ثلاث طوائف: ١- الآيات التى حصرت علم الغيب بالله.

١- سورة هود: الآيه ٤٧.

٢- سورة هود: الآيه ٤٩.

٢- الآيات التي تنفي عن الأنبياء و النبي الأكرم صلى الله عليه و آله العلم بالغيب. ٣- الآيات الدالة على إفاضه الله لعلم الغيب على أنبيائه. نكتفي بذكر نموذجين من الآيات الواردة في القسم الأول: ١- قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ (١). ٢- وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (٢). و من نماذج القسم الثاني من الآيات: ١- قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ (٣). ٢- قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٤). و أمّا نماذج القسم الثالث، فهي: ١- عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدِ ابْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ (٥). ٢- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ (٦).

١- سورة النمل: الآية ٦٥.

٢- سورة الأنعام: الآية ٥٩.

٣- سورة الأنعام: الآية ٥٠.

٤- سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

٥- سورة الجن: الآية ٢٦-٢٨.

٦- سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

مفاد الطوائف الثلاث من الآيات:

١- علم الغيب بصوره تلقائيه مختصّ باللّه، واللّه وحده العالم بالغيب بالذات و أنّ جميع الامور حاضره لديه. ٢- أنّ الأنبياء لا تتكشّف لهم حجب الغيب بمجرد بلوغهم النبوه. ٣- توضّح الطائفه الثالثه من الآيات حصر هذه القدره فى اللّه و نفى علم الغيب عن الأنبياء، كما تشير إلى ماهيه هذا الانحصار و ماهيه عدم اطلاع النبى على الغيب، فهى تشير إلى أنّ اللّه إنّما يفيض هذه القدره على رسله فقط، و أنّه قد حباهم بهذه الكرامه من بين الخلق فأطلعهم على المعيّبات، و عليه: فليس للنبي تلقائياً من علم بالغيب، و أنّ اللّه يفيض هذه الكرامه على أنبيائه بما يكشف لهم الحوادث الخفيّه و الحقائق المكنونه، و يُنير لهم الظلمات من خلال الوحي، بل يمكن الجزم- على ضوء الآيه ١٧٩ من سوره آل عمران- أنّ مقام الرساله معناه العلم التام بالغيب، و أنّ عمل الرسول هو الاستخبار بعلم المعيّبات، حيث يتمكّن بواسطه هذا العلم من قياده الأُمّه و الأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان و السعاده فى الدارين. و نخلص ممّا سبق إلى أنّ الفصل المميّز للرساله هو بلوغ الرسول منزله تجعله عالماً بالغيب، فهل ينطق الرسول عمّا سوى الغيب؟ و هل كشف الحقائق المجهوله و إبانه أسرار الوجود، و إماطه اللثام عن مستقبل البشريه و مصيرها، و إزاله الحيره و الاضطراب عن الأُمّه، و تعريفها بالحوادث إلى يوم القيامه، و ما ينتظرها فى ذلك اليوم، هى أشياء اخرى خارج ذلك العلم؟ و هل له ممارسه مثل هذه الأمور بعيداً عن العلم بالغيب؟ نعم، إنّ بعض الرسل قد لا يبلغون كافّه مراحل كمال العلم الغيبى، فهم يتفاوتون فى تلقى الإفاضات الإلهيه تلك الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١)،

لكن ليس منهم من شدَّ عن تلك الإفاضات و حرم منها، و لم تتح هذه الإفاضات بأكملها إلَّا لرسول الله صلى الله عليه و آله و إن كان صلى الله عليه و آله - على ضوء بعض النصوص القرآنيه- ليس مطلعاً على بعض الحوادث يَسْتَلْكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ (١). فالنتيجة التى نخلص إليها من مجموع الطوائف الثلاث هى أنَّ الغيب الذاتى مختصَّ بالحقِّ تبارك و تعالى، و أنَّ الوحي هو وسيله الأنبياء للتوصل إلى هذا العلم، و لكى يتضح الموضوع أكثر لا بدَّ من تسليط الضوء على هاتين الآيتين: ١- الآيه: وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (٢)، أولاً- يفهم من هذه الآيه انحصار العلم بالغيب بذات الله تعالى؟ و نقول: لو كان المراد أنه ليس هنالك أحد سوى الله له علم بكيفيه أسرار الخلق و علم الغيب لكان من المناسب أن يحصر هذا العلم به سبحانه لا مفاتحه. ٢- لقد وصف سبحانه فى بعض الآيات ذاته المقدَّسه بعلم الغيوب، أى عبَّر بصيغه المبالغه، كما ورد ذلك فى الآيه أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٣). و هكذا عبَّر بهذه الصيغه فى سائر الآيات، أ فلا يشعر هذا بأنَّ العلم المقتصر على الحقِّ تعالى هو العلم بمعنى المبالغه؟

علم الأنتم عليهم السلام:

لقد اتضح لدينا لحدِّ الآن أنَّ النبىِّ صلى الله عليه و آله من يستمدَّ علمه بالأشياء من

١- سورة الأحزاب: الآيه ٦٣.

٢- سورة الأنعام: الآيه ٥٩.

٣- سورة التوبه: الآيه ٧٨.

الإفاضات الغيبية فهو عالم بالغيب، و لكن ما ذا بشأن الأئمة؟ هل الأئمة الأطهار عليهم السلام عالمون بالغيب أيضاً؟ و هل ورد في القرآن ما يفيد استنادهم إلى المدد الغيبي في إمامتهم و اطلاعهم على المغيبات و لو عن طريق النبي صلى الله عليه و آله؟ لا شك أنّ علم الأئمة عليهم السلام هو حصيلة إرشادات و توجيهات النبي الخاتم صلى الله عليه و آله، كما لا شك أيضاً أنّهم لا يستندون في علمهم إلى الوحي، لكن ليس هنالك من شك أيضاً- و كما اتضح من المباحث السابقه- في أنّهم عتِنوا من قبل الله إلى جانب كون إمامتهم ممّا تقتضيه وظيفه مواصلة أهداف الرساله، و تطبيق الأحكام الإسلاميه و تفصيل أسرار القرآن علاوه على استخلافهم من جانب النبي صلى الله عليه و آله. و بعبارة أوضح: أنّ الإمامه من الأصول الرئيسيّه للإسلام و كافّه الشرائع الإلهيه، و أنّ الإمام منصّب من قبل الله للنهوض بأهداف الإسلام و زعامه الامّه و توجيهها في مسيرتها الحياتيه، و خلاصها من مصاعب الحياه، و الأخذ بيدها إلى الصلاح و الفلاح، و هنا لا بدّ من معرفه: هل أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام عالمون بالغيب و الحوادث الخفيّه و تفاصيل الأمور، أم أنّ علمهم يقتصر على القرآن و الأحكام؟ قد ذكرنا آنفاً أنّ لهؤلاء الهداه إمامه الامّه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، و قد نصّت آيه الطاعه أطيعوا الله بولايتهم للأمر و تشكيل الحكومه الإسلاميه، فهل ينبغي أن يكون الحاكم الإسلامى عالماً بالغيب، و ما رأى القرآن الكريم بهذا الشأن؟

نقطه ضروريه:

لا ندعى في هذه الأبحاث أنّ مفاد الآيات الكريمه- التي سنعرض لها لاحقاً- صريحه في أنّ الإمام بالاستناد إلى الفيض الإلهي عالم بالغيب، بل ما تفيدته الآيات الوارده بهذا الشأن، هو أنّ الأفراد الذين بيدهم مقدّرات المسلمين على أنّهم

حكّام المسلمين و أئمتهم لا بدّ أن تكون دعائم حكومتهم مستنده إلى الاستمداد الغيبي، و أنّهم يعتمدون على العلم الغيبي الذي يفاض عليهم، و أنّ الإمام إنّما يُمارس زعامته بما يفيض الله عليه، و حيث ثبت في محلّه أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم و لاه الأمر و الحكّام، فمن المفروغ منه أن تستند أسس حكومتهم إلى العلم الغيبي. و بعبارة اخرى: أنّ الحكومه الإسلاميه و تدبير الأمور على أساس الإطار الإسلامى و تصريف شئون القضاء و إداره شئون البلاد و تعريف الأئمة بوظائفها و كيفيه التعامل معها و توجيهها و إرشادها، كلّ ذلك لا بدّ أن يستند إلى العلم الغيبي، و عليهم أن يبلغوا الأئمة ما ألهمهم الله من مكنون غيبه. و بناءً على هذا فإنّ الحاكم الإسلامى إنّما يستند إلى العلم الغيبي في حكومته و توجيهه و زعامته للأئمة، و لَمّا كانت الحكومه الإسلاميه للأئمة الأطهار عليهم السلام بعد النبى صلى الله عليه و آله كان لا بدّ من علمهم التامّ بالمغيبات و الحوادث الخفيّه و ما يواجه الإسلام و المسلمين خلال المسيره. و استناداً لهاتين المقدمتين - اللتين هما بمثابة الصغرى و الكبرى - يثبت أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام زعماء الدين مطلعون على الغيب، عالمون بالحوادث الواقعه و ما يمت بصله لسعاده الامّه. أمّا كبرى هذا الدليل فهى الآيات التى سنتطرّق إليها، و التى تفيد استناد الحاكم الإسلامى لعلم الغيب، و أمّا صغراه فهى الآيات السابقه التى صرّحت بأصل الإمامه على غرار أصل النبوه، و أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام من بنى هاشم هم أولو الأمر بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. و نخوض الآن فى الآيات التى تمثّل كبرى الدليل، أى الآيات التى تفيد ضروره استناد الحاكم الإسلامى فى شئون الحكومه إلى علم الغيب و كونه عالماً بالغيب.

الآيه الأولى:

إشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١). واضح أنّ ما أرى الله نبيه و أرادَه هو أن تكون حكومته و دعائمها قائمه على أساس ذلك العلم بالمغيبات، و قد ذكر كبار المفسرين من قبيل الشيخ الطوسي - المحقق المعروف - في سبب نزول الآيه أنّ الإخوه الثلاثة من بنى زريق و هم بشر و بشير و مبشر سرقوا سيفاً و درعاً و طعاماً من عمّ قتاده بن النعمان، فأتى قتاده رسول الله صلى الله عليه و آله يطلب من عمّه لاسترداد تلك المسروقات، و قد كان قتاده وجيهاً محترماً لدى رسول الله صلى الله عليه و آله؛ لأنه شهد بدرًا. فبعث السراق بأسير بن عروه - و كان منطيقاً يشفع لهم عند النبي صلى الله عليه و آله، فسمع ابن عروه مقاله قتاده، فقال مُدافعاً:

يا رسول الله صلى الله عليه و آله إنّ هؤلاء الإخوه من أشرفنا، فلا أرى أن تأذن بأن يساء إلى المسلمين عندك، فحمل رسول الله صلى الله عليه و آله على قتاده و عَنفه على اتهاماته. و كان لا بدّ للنبي صلى الله عليه و آله من العمل بالظاهر من تعنيفه، لرميه بعض المسلمين بالسرقه دون الإتيان بدليل أو حجّه ... فترك قتاده المجلس حزيناً و رجع إلى عمّه مغموماً فقال:

ليتني متّ و لم أقل للنبي صلى الله عليه و آله ما قلت (٢). فنزلت الآيه لتطلع النبي صلى الله عليه و آله على الحقيقه و تحكم بخيانه الإخوه الثلاث و تطلب من النبي صلى الله عليه و آله أن يستند في حكمه إلى العلم الواقعي، أى العلم بالمغيبات، رغم كون ظاهر الأمر يقتضى بما قام به النبي صلى الله عليه و آله و يعنّف قتاده، إلّا أنّ الله أشار عليه بالحكم استناداً إلى الغيب و ما أراه سبحانه و ألّا يدافع عن الخائن، فالذى يفيد سبب النزول أنّ النبي صلى الله عليه و آله و بغضّ النظر عن الوحي لا يحيط ببعض الأمور الجزئيه،

١- سورة النساء: الآيه ١٠٥.

٢- تفسير القمى ١: ١٥٠-١٥١، التبيان في تفسير القرآن ٣: ٣١٦-٣١٧، مجمع البيان ٣: ١٧٤-١٧٥.

إلّا أنّه يطّلع عليها و على تفاصيل سائر الحوادث من خلال الاستمداد من الغيب، فالغيب من شأنه أن يحدّد الخائن و السارق و البرىء. فلا- يخفى شىء على الحاكم الإسلامى، و هو عليم بالأسرار الخفيّة، و أنّ الله قد أراه ما تقوم به حكومته. و إذا تأملنا العبارة «ما أراك الله» التى وردت بصيغه الماضى و طبّقناها على هذه الواقعة، لإفادتنا عدم وجود أى شىء مخفى و مستور على النبى صلى الله عليه و آله، و هو عليم بالأشياء بنبوته المستنده إلى المدد الغيبى، فليس هنالك من ترديد بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ أولئك الإخوه الثلاث سارقون خائنون.

نظرة أعمق:

رغم أنّ الآيه الكريمة- بالالتفات إلى سبب النزول- مختصّه بحادثه مع النبى صلى الله عليه و آله، إلّا أنّ التعمّق فى الآيه يفيد ضروره استناد حكمه و زعامه الحاكم الإسلامى- الذى نصّ به الله على الخلق- إلى علم الغيب و ما يريه الله و يكشف له من مكنونات الأمور؛ لأنّ مفاد الآيه لتحكّم بين الناس بما أراك الله- مع إلغاء خصوصيه هذا المورد- أنّ الحاكم الإسلامى لا يحكم إلّا بما يريه الله و يرشده إليه، و هذا ما يستلزم الاستنتاج بعلم الحاكم و الإمام بالمغيبات و الحوادث الخفيّة، و لو كانت تلك الحادته جزئيه و فى زمان خاصّ، و حيث نصّت الآيات السابقه على أنّ الإمام خليفه النبى صلى الله عليه و آله فى الحوادث الواقعة و زعامه الأممه و ولايه شئونها الإسلاميه فهو يتمّع بما يتمّع به النبى صلى الله عليه و آله من علم، و الله أعلم.

الآيه الثانيه:

اشاره

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (١).

الأحاديث بمعنى «الإخبار عن حوادث الزمان»، فالآية تفيد تعليمه حوادث الزمان بتفاصيلها، أى العلم الغيبي.

منصب يوسف عليه السلام:

إنَّ يوسف الصّدِّيق الذي واجه تلك المصائب والويلات التي ملأت حياته بالألم والمعاناة والحرمان والفراق، وبعد أن أثبت خلوصه في عبوديه الله وكفايته حظى بشىء من زعامه مصر وأصبح أميناً لخزانتها، وحيث كان من أنبياء الله وقد جعله الله في ذلك المقام وفوض إليه إدارة الشؤون الماليه للبلاد، وجب أن يكون عالماً بخزائن الغيب ومكوناته وحوادث الزمان والمرجع في تلك الوقائع والأحداث. وبناءً على هذا فإنَّ الحاكم وإن كان دون الزعيم العام وأوطأ درجه منه، فإن كان يشغل هذا المنصب من جانب الله فهو عالم بالمغيبات والحوادث الخفية. وقد تبه القرآن الكريم إلى قبس منه في تأويل الأحلام وارتداد يعقوب بصيراً^(١)، وعليه: فإنَّ الزعامه الإلهيه تتطلب العلم بالمغيبات والإحاطه بالحوادث سواء كانت هذه الزعامه متمثله بيوسف عليه السلام، أم غيره من الزعماء الربانيين، وذلك لأنَّ الآيه الكريمه صريحه في أنَّ من تصدَّى للملك من قبل الله لا بدَّ أن يكون ملتماً بأسلوب إداره شؤون البلاد والاستمداد الغيبي.

الآيه الثالثه:

وَقَتِيلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^(٢). يتضح من التأمل في قصه طالوت و جالوت- التي ذكرنا تفاصيلها سابقاً أنَّ

١- سوره يوسف: الآيات ٤٣- ٤٩ و ٩٦.

٢- سوره البقره: الآيه ٢٥١.

زعامة الامة إنما تفوض إلى الصالحين من الأفراد ممن تتوفر فيهم شرائطها، من قبيل العلم و القدره و ... و أنّ الله هو الذى زوّد الملك بتلك القدره العلميه، حيث صرّحت الآية قائله: وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ. و لعلّ فاعل «يشاء» ضمير يعود إلى داود، أى أنّ الله آتى داود كلّ ما شاء من العلم. و ربّما عاد الضمير إلى «الله» أى أنّ علم داود من الله، و قد أفاض الله ما شاء من العلم على داود. على كلّ حال فالمعنى المستفاد هو أنّ زعيم البلاد- الملك- ينبغى أن يكون عالماً بالمغيبات محيطاً بالمكنونات، و أنّ زعامته لا تستند إلى الطرق و الجهود المتعارفه فى الحصول على العلم، بل وسيلته فيها إفاضات الحقّ سبحانه فى الوقوف على الأسرار، سواء كان هذا الزعيم داود، أو أى فرد آخر ينصّب به الله.

الآيه الرابعه:

وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ آتَيْنَاهُمُ الرِّزْقَ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (١). ترى الآيه أنّ الإمامه منصب إلهى، كما تدلّ على أنّ الإمام يتولّى الأمر بالاستمداد الغيبى، و الذى تفيده هذه الدلاله استناد الإمام فى زعامته إلى العلم الغيبى. و بناءً على هذا فلائمه الأطهار عليهم السلام مثل هذا الامتياز؛ لأنّهم مصطفون من قبل الله، غايه ما فى الأمر أن لا سبيل إلى الوحي، و أمّا سائر السبل فمفتوحه.

نمره هذا البحث القرآنى:

لقد أصبح الأمر جلياً بأنّ أئمة الإسلام إنّما يستندون إلى الغيب فى زعامتهم

وأنهم مَطَّلَعُونَ عَلَى خَفَايَا الْأُمُور، و لكن ما مدى هذا الاطلاع و العلم، و كيف يتأتى لهم هذا العلم؟ لا يمكن الاستدلال بهذه الآيات فى هذا الخصوص، و لكن ما يمكن الجزم بقوله هو أنّ علمهم بكيفيته تؤدى إلى هدايتهم إلى الصراط المُستقيم و إلى سبل السلام، و أن تكون هدايتهم صائبه صحيحه تماماً، فهم الهُداة إلى الحقّ و الحقائق المسلّمه، و ذلك بفعل استنادهم إلى الغيب، و ليس هنالك من سبيل إلى خطأ هذه الهدايه، و بالتالى فشل و هلاك الامه أ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى (١). كما نعلم من جانب آخر أنّ هؤلاء زعماء إلى الأبد، و قد تقدّم هذا البحث و ثبت فى حينه أنّ العالم الإسلامى لا- بدّ أن يخضع- و إلى قيام الساعه- فى قيادته لمثل هؤلاء الرُعماء. و بناءً على هذه النتيجة و المقدمتين فإنّ علمهم بالحوادث الخفيه و ما ستواجهه الأُمّه الإسلاميه فى المستقبل، و لا سيّما الحوادث ذات الصله بكيان الإسلام و المسلمين إنّما تثبت و توضّح أمرين، هما: (١) أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام هم الزعماء و القاده إلى الأبد. (٢) أنّ زعامتهم و بالاستناد إلى المدد الغيبى و العناية الإلهيه هى عين الصواب و التى تتضمّن الهدايه المطلقه إلى الحقّ. و أمّا ثمره هاتين المقدمتين؛ فهى أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام عالمون بالحوادث الخفيه و ما ستواجهه الامه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و ذلك لأنّه لا يمكنهم أن يكونوا زعماء إلى الأبد ما لم يكونوا عالمين. و إن قلنا بأنّهم زعماء إلى الأبد، و لكن ليس من الضرورى أن يكونوا عالمين بجميع الحوادث، فإنّ هذا ينقض الفرض

القائل بأن زعامتهم هي عين الصواب. إذن، فالعلم و الأطلاع من مستلزمات خلود زعامتهم. كما أنّ ملزوم هدايتهم المطابقه للواقع و البعيده عن الفساد هو علمهم بجميع الحوادث. و هنا يبرز هذا السؤال: أ يمكن أن تكون توجيهات و هدايه الزعيم صائبه و دون شائبه في حين ليس له من علم بالحوادث، و أنّه يقود الأُمّه إلى سبل السلام و يهديها إلى الصراط المستقيم حين تعترضها بعض الأحداث التي لم يتكهن بها؟ كيف يمكن الاعتقاد بأن الأئمّه عليهم السلام هم الزعماء إلى الأبد، و أنّ الامّه تحذو حذوهم بينما يجهلون عواقب الامور و الأحداث! و كيف لنا أن نتصور أنّ هدايتهم عين الواقع إلى الأبد و هم جاهلون بالوقائع؟! و عليه: فإنّ افتراض عدم علم الأئمّه عليهم السلام إنّما يستلزم إنكار أصلين قرآنيين مسلمين، و هما: ١- الزعامه الأبدية للإمام. ٢- الهدايه الواقعيه التي تآبى الفساد أ فمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أ من لا يهدى إلّا أن يهدى (١). فكأن مفهوم الآيه هو أنّ من يهدى إلى الحقّ و ليس للباطل من سبيل إليه هو الإمام الأبدى، و الإمام الأبدى لن يخطئ؛ لأنّ الاتّباع ورد مطلقاً في الآيه، و عليه: فالإمامه دائمه أيضاً، أمّا نفي العلم بالحوادث المستقبليه عن الإمام الأبدى ذى الهدايه الواقعيه الصائبه إنّما هو مكابره و جدل فارغ.

علامه الإمام عليه السلام:

بغضّ النظر عن الشرائط التي بحثت في الآيات الماضيه التي تكشف النقاب عن علامه الإمام و شرائط الإمام من وجهه نظر القرآن الكريم، فقد اتّضحت

الأبعاد العلميه للإمام فى ما يلى: ١- أنّ الإمام يمارس زعامته من خلال الاعتماد على الغيب. ٢- الزعامه الروحيه- الأشمل من الإمامه و النبؤه- ليست سوى المعرفه بالغيب، و لم تجر المشيئه الإلهيه أن يطلع الناس على الغيب دون الوسيط العالم بسبل السعاده و الفلاح، بل لا يتحقق هذا الهدف إلّا فى ظلّ صفوه ربّانيه، و هذه هى إرادته الله فى أنّه «لا يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» إلّا من ارتضى من رُسولٍ (١). ٣- أنّ أئمه الدين عالمون بالغيب خيرون بما حُجِبَ عن الأبصار. ٤- هدايتهم بالنظر لاعتمادهم على الغيب مطابقه للواقع تأبى الخطأ و الانحراف. ٥- حدّ الهدايه و الإرشاد هو المسيره التاريخيه للبشريه، و عليه: فهم عالمون بحوادث البشريه و عاقبتها. ٦- كلّ هذه الامور من الفيوضات الغيبيه و العنايات الإلهيه، و إلّا فهم لا يتجاوزون الإمكان العلمى فى الحدود الإنسانيه.

التصدى للانحراف:

لقد أشار القرآن فى أكثر من آيه إلى روح اللجاجه و العناد و عدم التسليم التى تحكم روح الإنسان طيله عصور الأنبياء عليهم السلام، لكن أحياناً يخرج عن حاله التسليم الطبيعى ليقع فى مستنقع الضلال. فالقرآن يُشير إلى هذا الأمر، و أنّ هناك طائفه لم تؤمن بنبؤه عيسى عليه السلام حتّى همت بقتله، بينما ذهبت طائفه اخرى و سلّمت لألوهيته نبي الله عيسى عليه السلام، و لذلك جهد القرآن فى محاربه هذه الأفكار الضالّه المنحرفه، و الواقع هو أنّ هذا الضلال الذى شمل ملايين النصارى الروم إنّما كان معلولاً

لولادته من الامّ دون وجود الأب، أى الولاده من غير المسير الطبيعى الإنسانى، وقد ركز القرآن الكريم على أنّ الولاده الطبيعىه خاضعه لإيراده الله تابعه لقدرته، وإن كان هناك من وليد دون أب؛ فإنّه لا يعنى أنّه خارج عن الولاده الإنسانىه الطبيعىه و أنّه فوق الإنسان الطبيعى، و ذلك لأنّ القدره و الإراده الإلهيه أعظم من هذه الأمور، فالله هو الذى يخلق من العدم، كما يخلق آدم من تراب، و عليه:

فيعسى عليه السلام ليس خارجاً عن دائره الإمكان، فهو كسائر المخلوقات التى اكتسبتها المشيئه الإلهيه حقيقه الوجود.

هدف الآيات النافيه لعلم الغيب:

لا يبدو مستبعداً على ضوء الآيات التى وردت بشأن علم النبىّ و أئمّه المسلمين أن يكون الهدف من نفى علم الغيب عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله هو الأمر المهمّ الذى ذكرناه سابقاً، فقد ترعرع النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى بيئه تتّصف بالجهل و الخرافه و آالف العيوب و عدم التعرّف على العالم الإنسانى، و قد سطع نوره فى ظلمات القلوب، فلعلّ هناك بعض الأفراد الذين يفقدون باصرتهم إثر تركيزهم على رؤيه الشمس، فقد كانت لشخصيه النبىّ صلى الله عليه و آله و قدرته العلميه و سموّه و رفعته أثرها فى نفوس البعض الذى يخشى عليه من الاضطراب، كما يمكن أن يصل بعض المؤمنين إلى المغالاه فى الحقّ بالنسبه للنبىّ صلى الله عليه و آله؛ و بالتالى يُصابون بما اصيب به النصارى فيقولون بالوهيه محمّد صلى الله عليه و آله، و لهذا جهد القرآن على إضفاء حاله الاعتدال لدى المسلمين و عدم الانحراف عن الصراط. و لذلك نرى القرآن الكريم لا ينفك يؤكّد ما معناه أنّ محمّداً ليس إلّا بشراً مثل سائر الأفراد، كما أنّ شعار الإسلام الذى يكمن فى الشهاده قد تضمّن التأكيد على عبوديه محمّد لله «و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله»، فالقرآن سعى من خلال نفيه

علم النبي صلى الله عليه وآله بالغيب لإبعاد التصوّر الذى قد يسود الأذهان بأنه فوق البشر، و لا يغفلوا عن كونه عبداً من عبيد الله ليبلغ الوحي و الرسالة. و من هنا لا بدّ من القول بأنّ الآيات النافيه لعلم الغيب إنّما تجرّده من العلم الذاتى للغيب، فهو ليس بذاته محيط بالأسرار و الخفايا، ليتصوّر بأنه إله فى الأرض، و أنّ الله سبحانه بعنايته و لطفه و فيضه إنّما يرفع عنه حجب الغيب و يطلعه على المكنونات، فالنبيّ صلى الله عليه وآله كالمراة التى تعكس نور الله سبحانه. و لذلك تطالعنا أيضاً- و فى إطار الهدف المذكور- بعض الآيات التى تسلبه القدره الذاتيه على هدايه الامه، بل أبعد من ذلك أنّ بعض الآيات سلّبت بعض الأفعال الاختياريه و ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١)، كما سلّبت الهدايه إلى الصراط المُستقيم تحقيقاً لذلك الهدف إنّك لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢). نعم، لقد تنوّعت الأساليب و الخطابات القرآنيه التى تروم تفادى الانحراف الفكرى و الغلوّ فى شخص النبي صلى الله عليه وآله بفعل الكمالات العالیه التى اشتملت عليها شخصيته، و أحياناً ترد بعض الآيات القرآنيه على لسانه قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (٣)، و كلّ ذلك بالطبع يهدف إلى عدم ضلاله القوم و تورّطهم كتورّط النصرانيه فى نسبتها المسيح للربوبيه، و إلّا فمحمد صلى الله عليه وآله لم يسلك وادياً و لم يهد إلى سبيل إلّا من خلال الغيب، أو هناك تفسير سوى الغيب لهذه الفصاحه القرآنيه و المعارف العلميه و الحقائق الاجتماعيه و السياسيه و المدنيه و البلاغيه التى أتى بها بشر امّى؟

١- سورة الأنفال: الآيه ١٧.

٢- سورة القصص: الآيه ٥٦.

٣- سورة الكهف: الآيه ١١٠.

إذن، فحديثه عن الغيب و كشفه الحجب إنما يستند فيها إلى الحق سبحانه نور السموات و الأرض، و أمّا الآيات التي نفت علم الغيب عنه و لو كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ (١) إنما تنفي الغيب الذاتى للنبي صلى الله عليه و آله، و كأنه يريد أن يقول بأننى لا أعلم شيئاً إلّا ما أفاض على الحكيم المطلق.

آيات أخرى:

نذكر هنا طائفة من الآيات التي تؤيد ما ذهبنا إليه سابقاً: ١- قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢). ٢- إِلَّا بِلَاغَا مِنَ اللَّهِ وَ رِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رِسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٣). ٣- قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٤). ٤- عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٥). فالآيات تكشف عن عدم قدره النبي صلى الله عليه و آله على النهوض بالإنسان و إيصاله إلى مراحل الكمال بالاستناد إلى نفسه دون الاستمداد من الغيب الإلهي. إذن، لا شك في أنه ليس له من وسيله إلى تربيته الأمة و إرشادها و إبلاغها رسالات السماء و قيمها سوى الاستناد إلى الغيب، و كل ما يأتي به إنما هو الغيب،

١- سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

٢- سورة الجن: الآية ٢١.

٣- سورة الجن: الآية ٢٣.

٤- سورة الجن: الآية ٢٥.

٥- سورة الجن: الآيتان ٢٦- ٢٧.

و ليس هنالك إلما بعض النوادر التي لم يطلع عليها النبي صلى الله عليه و آله من قبيل الساعة، و لعلّ مثل هذا الأمر خارج عن طاقه العقل البشرى مهما كانت قوّته، و ليس ذلك إلّا إلى علّام الغيوب. نعم، إنّ هذه الآيات هي الأخرى واضحه في نفى علم الغيب عن النبي صلى الله عليه و آله، في الوقت الذي تصرّح فيه بأنّه إنّما يستند إلى الغيب الإلهي في مسيرته الدينيه التربويه.

هدف الأئمه من نفى العلم بالغيب:

هذا هو الأمر الذي واجه الأئمه الأطهار عليهم السلام أيضاً، فقد كانوا يحدّثون بالأخبار الغيبية؛ ممّا حدا بالبعض إلى المغالاه، و لذلك نراهم أحياناً ينفون وقوفهم على مثل هذا العلم. و نرى من الأفضل أن نورد بعض النماذج التي ذكرها النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أو الأئمه عليهم السلام و التي تكشف عن مدى كمالهم و علمهم، ثمّ نتطرّق بعدها إلى تلك الأخبار التي تضمّنت نفيهم الانطواء على ذلك العلم، و لا- نرى من حاجه للخوض في المزيد من الأخبار التي وردت عنهم، فنوكل هذا الأمر إلى الكتب الروائيه و التأريخيه التي شحنت بهذه الأخبار، و نكتفي بذكر بعض الأخبار التي وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام في شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ثمّ نورد عباراته بهذا الشأن بصفته متتبّعاً لا غرض له، إذ ليس هو من على عليه السلام.

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها الناس فيأني فقات عين الفتته... فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة، و لا عن فته تهدي مائه و تضلّ مائه إلّا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ ركابها، و محطّ رحالها،

وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا»^(١). يقول ابن أبي الحديد: «روى أبو عمر محمد بن عبد البر في كتابه الاستيعاب عن جماعه من الرواه المحدثين قالوا: لم يقل أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: سلونى قبل أن تفقدونى إلّا على بن أبى طالب. و قال: «روى شيخنا أبو جعفر الإسكافى فى كتابه نقض العثمانىة، عن على بن الجعد، عن ابن شبرمه قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلونى إلّا على بن أبى طالب عليه السلام». ثم خاض ابن أبى الحديد فى الامور الغيبية التى أوردها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «لقد أقسم على بالله الذى نفسه بيده أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم و بين القيامة إلّا أخبرهم به، و أنه ما صحّ من طائفه من الناس يهتدى بها مائه، و تضلّ بها مائه إلّا و هو مخبر لهم - إن سألوه - برعاتها و قائدها و سائقها، و مواضع نزول ركابها و خيولها، و من يقتل منها قتلًا، و من يموت منها موتًا، و هذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية، و لا ادعاء النبوة، و لكنّه كان يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك». ثم أراد أن يؤكّد أنّ ما قاله على فى ادعائه علم الغيب إنّما هو عين الصواب فقال: «و لقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقًا، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره»^(٢). ثم قال: لقد حدث كلّ ما أخبر عنه، فقد قال قبل موته بسنوات: كأتى بالشقى و قد خضب هذه بهذه، أى ضربه ابن ملجم، ثم أخبر عن قتل ابنه الحسين فى

١- نهج البلاغه لمحمد عبده: ٢٣٣-٢٣٤.

٢- طبعًا لا نحتاج إلى اختبار ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام و يشاركنا فى ذلك السنّه و نفس ابن أبى الحديد، و لكن ليس هنالك من سبيل لمن لا يعتقد بمقام على سوى وقوع الحوادث طبقًا لما أخبر عنها.

كربلاء و استشهاد تلك العصابة معه (١)، و ما أحرانا أن نورد بعض الأخبار الغيبية كما ذكرها ابن أبي الحديد، و الأفضل في ذكر وصف المحبوب أن يأتي على لسان الآخرين لا على لسان المحبّ.

الأخبار الغيبية لعلّي عليه السلام:

١- الإخبار عن حكومه معاويه. ٢- حكومه الحجاج بن يوسف الثقفي. ٣- قصّيه الخوارج و معركة النهروان. ٤- إخبار بعض أصحابه بالقتل و الصلب. ٥- قتاله للناكثين و القاسطين و المارقين. ٦- عدد أصحابه الذين يهتّون لنصرته من الكوفه في قتال أهل البصره. ٧- إخباره عن صلب عبد الله بن الزبير و وصفه بأنّه رجل مخادع لا يظفر بما يريد و يتشبّث بالدين من أجل الدنيا. ٨- الإخبار عن خروج الرايات السود من خراسان، و التصريح بأسماء بنى زريق من خراسان الذين يوالون حكومه بنى العباس. ٩- إخباره عن بعض الزعماء من ذرّيته في طبرستان، مثل الناصر و الداعي و غيرهما. ١٠- إخباره عن قتل النفس الزكيه في المدينه قرب موضع أحجار الزيت و الإخبار عن قتل أخيه عند باب حمزه بعد أن يظهر ثمّ يفشل. ١١- قصّيه إسماعيل بن جعفر بن محمّد عليهم السلام و وصفه بذى البداء و المسجّى بالرداء. و توضيح ذلك: أنّ بعض الروايات صرّحت بالبداء في إمامه إسماعيل حيث

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ٧: ٤٦-٤٨.

شاء الله أن يتغير مسار الإمامة التي كانت إليه - طبعاً ذكرنا مسأله البدء فى محلها و لما حضرت إسماعيل الوفاء طرح أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام عليه رداءً، ثم وضعه فى لحدّه مع عدد من كبار الشيعة ليوقن الجميع بموت إسماعيل. ١٢- إشارته إلى حكومه بنى بويه بقوله: يخرج من الديلم من «بنى صياد»، يذكر أنّ والده كان يصيد السمك و يبيعه، كما أخبر بأنّ بنى بويه يسيطرون على الزوراء و يعزل الوزراء، و هنا قام له رجل فسأله: ما مدّه حكومتهم؟ فقال عليه السلام:

مائة عام أو أقلّ بقليل. ١٣- إخباره عبد الله بن العباس بأنّ الحكومه ستؤول إلى ولده، فقد ولد لابن عباس ولد يُدعى «على» فأتى به إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجعل شيئاً من لعبه فى فمه و مضغ تمره فجعلها فى فمه و قال: خذه فإنّه أبو الملوك (١).

الروايات و علم غيب الأئمة عليهم السلام:

تتضح بجلاء الشخصية العلمية للإمام من خلال البحث فى الأخبار و الآيات القرآنية فى أنّه لا ينطق سوى عن الغيب، و أنّ ذلك ممياً علمه إياه رسول الله صلى الله عليه و آله أو أفاضه عليه الحقّ تبارك و تعالى. فأدنى نظره إلى القرآن تفيد أنّ أهل البيت صفوه حظيت بعنايه الله، الأمر الذى جعل بصيرتهم تخترق حجب الحوادث الكونية، بل تقف على كنه العالم و تحيط بأسرار القرآن و خفايا الحوادث و القصص المُستقبلية، و أنّ القرآن قد رسم صورتهم العلمية الحقيقية. ورد فى الخبر أنّ زواره سأل الإمام الباقر عليه السلام عن الآية: وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٢) الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك» ثمّ استدلّ عليه السلام بقوله

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٧: ٤٨-٥٠.

٢- سورة مريم: الآيتان ٥١ و ٥٤.

تبارك و تعالی: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ وَ لَا مُحَدَّثٍ» (١)، (٢). و روى الحسن بن محبوب، عن الأحول، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى الفرق بين الرسول و النبى و المحدث قال: «أما المحدث فهو الذى يحدث فيسمع، و لا يعاين و لا يرى فى منامه» (٣). و أجاب الإمام الرضا عليه السلام الحسن بن العباس قائلاً: «و الإمام هو الذى يسمع الكلام و لا يرى الشخص» (٤). فمضمون هذه الروايات المتواتره يفيد أن للإمام عليه السلام أذنًا تجعله يطلع على الأسرار و الإحاطه العلميه، و هذه غير ظواهر الكتاب و تعليم رسول الله صلى الله عليه و آله. أجل، فالقرآن يعتبر الأئمه عليهم السلام شهداء على الناس يوم القيامه، و أتى لهم الشهاده على الآخرين ما لم يطلعوا على أعمالهم؟ فقد روى بريده العجلي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه تلا: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: فرسول الله صلى الله عليه و آله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك و تعالی، و نحن الشهداء على الناس، فمن صدق يوم القيامه صدقناه و من كذب كذبناه» (٥). فما الذى يفيد هذا الخبر؟ فالإمام شاهد على الأعمال، و النبى شاهد على الأئمه عليهم السلام، النبى يشهد أنه علم الأئمه الغيب و أوامر الله، فالنبى شاهد و الأئمه شهداء على الناس فى محكمه العدل الإلهى، و أن أعمال الأئمه ليست بخافيه عليهم، و على هذا أ فلا ينبغى التصديق بعلمهم بالغيب و كافه الحوادث و أعمال الأئمه؟

١- اقتباس من سوره الحج: الآيه ٥٢.

٢- الكافى ١: ١٧٦ باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث ح ١. لم ترد فى القرآن كلمه «و لا محدث». الأمر الذى يلزم أن يقال: إن هذا من باب تأويل الآيه.

٣- الكافى ١: ١٧٦ باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث ح ٣.

٤- الكافى ١: ١٧٦ باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث ح ٢.

٥- الكافى ١: ١٩١ الروايه الرابعه: باب أن الأئمه شهداء الله على خلقه ذ ح ٤.

بحث مختصر حول آية قرآنية:

صرّحت آخر آية من سورة الحج قائلة: وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١). فظاهر الآية يفيد أنّها خطاب لصفوه من زعماء الدين، و يؤيد ذلك: (١) عبارته هُوَ اجْتَبَاكُمْ التي تدلّ على الاختيار و الامتياز. (٢) كلمته أَيْبِكُمْ لأنّ إبراهيم هو أب الأئمة الأطهار عليهم السلام لا جميع المسلمين. (٣) عبارته هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ و ذلك لأنّ إبراهيم سأل الله صفوه من ذريته مسلمه منقاداً لله، و قد تناولنا ذلك مسبقاً خلال شرح الآية الكريمة رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ (٢). و بناءً على هذا فإنّ العبارة: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ خطاب لزعماء الدين و لا سيّما الأئمة الأطهار عليهم السلام، مضافاً إلى أنّ «الشاهد» غير المدعى و المنكر، فالمنكر أو المدعى هم «الناس». و حقاً لا بدّ أن يكون الشاهد أناساً آخرين عالمين بأعمال كافه الناس، و إذا تعاملنا مع كلمته «الناس» على ظهورها فإنّها تعنى جميع العالمين، فنستطيع القول بأنّه ليس هنالك عمل لأى فرد يخفى على زعماء الدين و أئمة المسلمين. و هكذا يتّضح - على ضوء هذا الاستدلال - قول الإمام الباقر عليه السلام: «و نحن الشهداء على الناس». نعم، فالأئمة الأطهار عليهم السلام هم الصفوه من وجهه نظر القرآن التي اختيرت من أجل زعامه الأئمة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣). قال سورة

١- سورة الحج: الآية ٧٨.

٢- سورة البقرة: الآية ١٢٨.

٣- سورة فاطر: الآية ٣٢.

بن كليب: قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «و الله إنا لخزان الله في سمائه و أرضه، لا على ذهب و لا على فضة إلاً على علمه» (١). تسند هذه الرواية المعتبرة- التي تؤيدها عشرات الروايات- إلى أبي جعفر الذي أسماه رسول الله صلى الله عليه و آله بالباقر؛ لأنه يقر علم الأولين و الآخرين، و نرى كيف أنه يقسم ثم يؤكد قسمه بحرف (إن) و حرف اللام: إنا لخزان العلم! فهل علم الله محدود؟

و عليه: فعلم الأئمة عليهم السلام هو الآخر ليس بمحدود، فلو قلنا: إن جميع الحوادث و ما خلف الحجب معلومه عند أئمة المسلمين، لما كان ذلك جزافاً، و لكن ينبغي التعامل مع هذا الأمر ببصيره القلب للتعرف على خاصه عباد الله. لقد جعل الله الأئمة عليهم السلام أنواراً و طهر قلوبهم و أرواحهم، فهل من اجتماع بين الظلمة و النور؟ و هل لمن كان نوراً محضاً أن يكون جاهلاً؟ نعم، إنما هم نور من ذلك النور، و لذلك أوجب القرآن الاقتداء بشعاع هذا النور: فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا (٢). لقد قال الإمام الباقر عليه السلام- طبقاً لرواية أبي خالد الكابلي:- «النور و الله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه و آله إلى يوم القيامة، و هم و الله نور الله الذي أنزل، و هم و الله نور الله في السموات و في الأرض، و الله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، و هم و الله ينورون قلوب المؤمنين، و يحجب الله- عزّ و جلّ- نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و الله يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتّى يطهر الله قلبه، و لا يطهر الله قلب عبد حتّى يسلم لنا و يكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب و آمنه من فرع يوم القيامة الأكبر» (٣).

١- الكافي ١: ١٩٢ باب أنّ الأئمة عليهم السلام و لاه أمر الله ح ٢.

٢- سورة التغابن: الآية ٨.

٣- الكافي ١: ١٩٤ باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ و جلّ ح ١.

علل الزعامه:

لقد تعرّضت الروايه السابقه إلى الفصول المميّزه للإمامه فى الإسلام، كما أشارت إلى علل أتباع زعامتهم و إمرتهم و أنّ زعامتهم نور إلى يوم القيامه، فهم زعماء إلى الأبد، و الامه تستضىء بنور علمهم على الدوام، و الزعيم من يستطيع التغلب على المشاكل و الصعوبات و يبعث الأمل فى قلوب أفراد الامه. فمثل الذين ينكرون علم الإمام التام كمثل خفافيش الليل التى لا تطيق رؤيه الشمس، فليس للقلوب المدنّسه و النفوس المريضة أن تدرك شأن الإمام، فمعرفة الإمام تتطلّب قلباً طاهراً، و لا يطهر القلب إلّا بتسليمه و استسلامه لهذه الزعامه، و التسليم لهم لا يتمّ إلّا من خلال الإقبال عليهم و الاستفادة من أفكارهم العظيمه و نهجهم القويم، الأمر الذى يبعث على سعه الصدر و انشراح القلب، و هذا بدوره يميّط عن الإنسان رذائل الأخلاق و يحلّ عقد الحياه و يبعث الأمل فى النفوس. و لا- يرتجى من الزعيم سوى إيصال الأئمه إلى كمالها المنشود و إزالة المشاكل عن طريقها، و طالما كانت هذه الامور متوفّره فى الأئمه الأطهار عليهم السلام، فهم قادة الدين و أئمه الخلق لا محاله. و بناءً على هذا فإنّ الإمام الباقر عليه السلام و بذكره للعلل السابقه قد لفت الانتباه إلى ضروره زعامه آل محمّد صلى الله عليه و آله. و هو ذات الأمر الذى قاله الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذى لا يؤتى إلّا منه، و سبيله الذى من سلك بغيره هلك، و كذلك يجرى لأئمه الهدى واحداً بعد واحد(١).

١- الكافى ١: ١٩٦ باب أنّ الأئمه عليهم السلام هم أركان الأرض ح ١. هذه الروايه ضعيفه السند، غير أنّه هنالك عدّه روايات وردت بهذا المضمون فهى مؤيده لهذه الروايه.

وحده الموضوع:

كان البحث بشأن الأخبار والآيات التي كشفت عن المرتبة العلمية للأئمة عليهم السلام، وقد أتضح لدينا خلال الأبحاث أنّ أئمة المسلمين هم الصفوة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين حظوا بلطف الله و عنايته ببصيره ثاقبه جعلتهم يقفون على جميع أسرار القرآن و خفايا الحوادث و مكنونات قصص الماضين و مصير المسلمين، و للوقوف أكثر على منزلتهم العلمية نتابع ما ورد في الخبر عن الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام أنّهما قالاً: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «علمت علم المنايا و البلايا و الأنساب و فصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، و لم يعزب عني ما غاب عني»^(١). و لا تقتصر هذه المنزلة على علي عليه السلام، بل هي لجميع الأئمة عليهم السلام، فقد قال الإمام الرضا عليهم السلام: «عندنا علم البلايا و المنايا و أنساب العرب و مولد الإسلام»^(٢).

الذهول و الدهشه!!

لعلّ مثل هذه الكلمات أثارت اضطراب البعض و جعلته يشعر بالدهشه و الذهول، و لا غرو و لا عجب! إنّنا نرى العجائب في العالم و نشاهد الغرائب، إلّا أنّنا نمزّ مزّ الكرام، فنرى المرتاضين الذين جعلهم الارتياض يصيبون في بعض ما يتكهّنون و من خلف الحجب و الكواليس يتحدّثون، أو نلتقى بعض الأفراد الورعين الذين يتحدّثون أحياناً عن أسرار حياتنا فلا نتعجب ممّا يقولون. فقد فتحت بعض نوافذ العلم بوجه تلك الطائفة من المرتاضين إثر رياضتهم و لو كانت بالباطل. و هذه الطائفة من العارفين السالكين حصلوا على ذلك إثر اتّباعهم الحقّ و هجرهم الشهوات، في

١- الكافي ١: ١٩٧-١٩٨ باب أنّ الأئمة عليهم السلام هم أركان الأرض ح ٢ و ٣.

٢- الكافي ١: ٢٢٣ باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبي ... ح ١.

حين تتلمذ الأئمة الأطهار عليهم السلام في مدرسه الرساله، و قد نالوا الإخلاص في العبوديه بدعوه إبراهيم عليه السلام، ثم جدّوا في الورع و التقوى و التسليم و الرضا و الجهاد في الحقّ و طهاره المولد، حتّى حظوا بعنايه واهب العلم و العقل و النور، فهم تلامذه الوحي و معدن الرساله و مختلف الملائكه. أ فمن العجب أن تكون للأئمه مثل تلك الرؤيه و البصيره بحيث يرون جميع الأشياء و يحيطون بكافه أسرار القرآن و مكنونات الخلقه و مصير المسلمين؟

فإن كان القرآن صرّح بأنهم شهداء على الناس، فمن الطبيعي أن يفيض عليهم الرحمن بحار العلم و محيطات الحلم و يزودهم بالبصر و البصيره، بحيث لا يخفى عليهم شىء. لقد ذهل عبد الله بن أبان الزيات- الذى يتمّع بمكانه خاصّه عند الإمام الرضا عليه السلام- حين قال له الإمام عليه السلام: «و الله إن أعمالكم تُعرض علىّ في كلّ يوم و ليله»(١). فلمّا أحسّ الإمام عليه السلام منه ذلك قال له: أ لم تقرأ الآيه وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ(٢). و هنا التفت ابن الزيات ليدرك قيمه الحقيقيه للإمام، و أن ليس هناك ما يدعو إلى الدهشه و العجب في أن يفيض الله على عالم الوجود بمثل هؤلاء العباد فيلبسهم من حلال الكرامه و العلم، و القرآن يقود إلى هذه الحقيقه. و قد ورد عن أمير المؤمنين، و على بن الحسين زين العابدين، و جعفر بن محمّد الصادق عليهم السلام، أنّهم قالوا: نحن شجره النبوه، و بيت الرحمه، و مفاتيح الحكمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائكه، و موضع سرّ الله(٣).

١- الكافي ١: ٢١٩ باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه و آله و الأئمه عليهم السلام ح ٤.

٢- سوره التوبه: الآيه ١٠٥.

٣- الكافي ١: ٢٢١ باب أنّ الأئمه عليهم السلام معدن العلم و شجره النبوه ح ١-٣.

لقد شاء الله لهذا البيت أن يرتفع، فقد رفع إبراهيم بيت الله فسأله أن يرفع مقابل ذلك بيته بأن يُظهر تلك الصفوه التي تعيش التسليم والانقياد والطاعة والعبودية لله، وقد استجاب الله دعوته. وقد قال القرآن بهذا الشأن: فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (١). وقال الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي» (٢).

خلاصه هذا الفصل:

١- اعترف ابن أبي الحديد بعلم أمير المؤمنين عليه السلام بحوادث المستقبل حتى قال:

«و لقد امتحننا إخباره فوجدناها موافقه، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره» (٣). ٢- تبيين من مجموع الآيات و الروايات أن للأئمة عليهم السلام شخصيه بارزه في العلم لدرجه الإحاطه بالغيب و الحوادث إلى جانب التبخر في علم الكتاب و أسرار الدين، بحيث إن الله جعلهم شهوداً على أعمال الناس بنص القرآن، و لم يصطفيهم الله إلماً لإخلاصهم و تسليمهم و عبوديتهم له سبحانه، و هم عيبه علم الله و نوره، الأمر الذي برأهم من كل عيب و نقص و جهل، و هذا ما جعلهم يلهمون العلم بكافه الحوادث و خفايا الخلقه و الإحاطه بما كان و يكون، كما وقفنا على حديث الإمام الرضا عليه السلام حين قال: إن أعمال الناس تُعرض عليّ في اليوم و الليله،

١- سوره النور: الآيتان ٣٦-٣٧.

٢- الكافي ١: ٢٢٧ باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب ح ١.

٣- تقدّم في ص ١٦٥.

مستدلاً بجوابه لابن الزيات بالآيه الشريفه: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.

ثمره هذه الخلاصه:

ليست هنالك من ثمره لهذه الخلاصه سوى أنّ الأئمه الأطهار عليهم السلام إنّما ينظرون بنور خاص إلى العالم و بصيره ثاقبه بالغيب و خبره بمتطلبات الأئمه الإسلاميه و المسلمين إلى الأبد. و لعلّ هذه الامور قد تبادرت إلى أصحاب الأئمه عليهم السلام ليؤمنوا بأنّ أئمه الإسلام عالمون بالغيب، و يسرّنا هنا أن نستشهد على ذلك بشاهد حيّ لترى كيف يفصح الإمام عن وقوفه على علم الغيب في الوقت الذي ينفيه عن نفسه.

روايه عميقه:

وردت هذه الروايه في أصول الكافي في باب «نادر فيه ذكر الغيب» عن سدير، قد يبدو تردّد البعض في سندها، إلّا أنّ متنها يشهد بصحّه صدورها، فقد قال: كنت أنا و أبو بصير و يحيى البزاز و داود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام، إذ خرج إلينا و هو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: «يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلّا الله عزّ و جل، لقد هممت بضرب جاريّتي فلانه فهربت منّي، فما علمت في أيّ بيوت الدار هي. قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه و صار في منزله دخلت أنا و أبو بصير و ميسّر و قلنا له: جعلنا فداك سمعناك و أنت تقول كذا و كذا في أمر جاريّتك و نحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً و لا نسبك إلى علم الغيب؟ قال: فقال: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت

من كتاب الله عزّ وجلّ: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (١)، قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، و هل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به، قال:

قدر قطره من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت:

جعلت فداك ما أقلّ هذا. فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله - عزّ وجلّ - إلى العلم أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: أ فمن عنده علم الكتاب كلّ أفهم، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّ. قال: فأوماً بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب و الله كلّ عندنا، علم الكتاب و الله كلّ عندنا (٢). سدير: هو سدير بن حكيم المكنى بأبي الفضل من أصحاب الإمام السجّاد و الباقر و الصادق عليهم السلام، و قد اعتبرته كتب الرجال ثقته (٣)، و كانت له منزله عند الإمام عليه السلام. و قد حُجس فدعا له الإمام عليه السلام فخرج من السجن ببركه الدعاء (٤). داود بن كثير: هو ابن خالد الرقي، و من ثقات الأصحاب (٥)، و قد قال الصادق عليه السلام: «أنزلوا داود الرقي مني منزله المقداد من رسول الله صلى الله عليه و آله» (٦) و عدّه الشيخ المفيد في إرشاده من ثقات أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، و قال: هو من خاصّته

١- سورة النمل، الآية: ٤٠.

٢- الكافي ١: ٢٥٧ باب نادر فيه ذكر الغيب ح ٣.

٣- معجم رجال الحديث: ٨ / ٣٤ - ٣٧.

٤- اختيار معرفة الرجال، المعروف ب«رجال الكشي»: ٢١٠ رقم ٣٧٢.

٥- معجم رجال الحديث: ٧ / ١٢٣.

٦- مشيخه الفقيه، طريقه إلى داود الرقي، الاختصاص: ٢١٦.

و أهل الورع و العلم و الفقه من شيعته (١). أبو بصير: هو ليث بن البخترى المرادى المُكَنَّى بأبى بصير، و هو مَمَّن لا نقاش فى وثاقته، و هو من أصحاب الإمام الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام، فإنَّه و إن طعن فيه علماء الرجال باجتهاداتهم إلَّا أنَّه فى جلاله قدره روايه ذكرها محمّد بن قولويه القمى بسند معتبر عن أبى عبد الله عليه السلام، أنَّ الصادق عليه السلام قال: «إنَّ أصحاب أبى كانوا زيناً أحياءً و أمواتاً، أعنى زراره و محمّد بن مسلم، و منهم ليث المرادى و بريد العجلي، هؤلاء القوامون بالقسط، هؤلاء القوامون بالقسط، هؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون (٢). كان هؤلاء ثلاثة نفر مَمَّن حضر مجلس الإمام. أمّا الرابع و هو يحيى البرّاز فلم نعرفه، و يحتمل أن يكون الخزاز، و هو من أصحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام (٣). فهؤلاء الرجال الذين حضروا مجلس الإمام الصادق عليه السلام هم من كبار الفقهاء و العلماء، و قد قارن الإمام منزله داود بن كثير بمنزله المقداد لدى رسول الله صلى الله عليه و آله، و الحال أنَّ المقداد من كبار صحابه النبى صلى الله عليه و آله. و هم مَمَّن وقف على منزله الإمام و الإذعان له بعلم الغيب، و هذا ما يفيدده صدر الروايه.

شرح الروايه:

لقد تحاشى الإمام عليه السلام فى بدايه الروايه علمه بالغيب، و قد تنزّل عن مكانته بحيث صعب عليه العثور على الجاريه فى إحدى عُرف الدار. و نعلم أنَّ دار الإمام عليه السلام لم تكن من قبيل ناطحات السحاب أو قصر الكرملن، بحيث إذا اختفى

١- الإرشاد للمفيد: ٢/ ٢٤٧- ٢٤٨.

٢- اختيار معرفه الرجال المعروف ب« رجال الكشى»: ١٧٠ رقم ٢٨٧ و ص ٢٣٩ رقم ٤٣٣.

٣- رجال الشيخ الطوسى: ٣٢٢ رقم ٤٨٠٧، معجم رجال الحديث: ٢٠/ ٩٩ رقم ١٣٦١٤.

فيه فرد تعذّر حتّى على جهاز المباحث العثور عليه، فقد كانت داراً مُتواضعه لا تضمّ إلّا عدّه عُرف. و كيف لا يقف الإمام على مكانها إذا ما بحث عنها؟! إذن، فالعثور عليها على ضوء المجارى الطبيعى لم يكن قضيه صعبه، إلّا أنّ الإمام يعرب عن عجزه عن العثور عليها، فالقضيه طبق الظواهر لا تبدو مقبوله، وهذا هو الأمر الذى أذهل خواص الأصحاب. أمّا ذيل الروايه، فقد كان دليلاً قاطعاً على قدره الإمام اللامتناهيّه، فقد قال:

إنّ آصف بن برخيا قد أتى سليمانَ بعرش بلقيس بتلك المسافه فى طرفه عين و لم يؤت من العلم إلّا قطره من بحر، فهو عالم ببعض الكتاب، أو ليس لمن أوتى علم الكتاب كلّه أن يعثر على تلك الجاريه التى لا تبعد عنه سوى بضعة أمتار؟ قطعاً هنالك مصلحه جعلت الإمام يصدّر الروايه بذلك العجز عن العثور على الجاريه، و أنّى لداود أن يصدّق عجز الإمام عليه السلام عن العثور على الجاريه؛ و هو الذى وصل ابن عمّه فى المدينه بذلك البعد الشاسع عن الإمام عليه السلام و قد أحسن إليه خفيه، فلمّا حضر استقباله الإمام و أشاد بعمله! (١) و كيف يصدّق أبو بصير عدم استطاعه الإمام العثور على تلك الجاريه و قد بشّره حين دخوله الكوفه بولاده ابنه عيسى، و أنّ الله سيرزقه ولدين و بنتين غيره (٢)! أجل هذه الشواهد و ما شابها تأكيد وجود بعض العلل و الدوافع التى جعلت الإمام عليه السلام ينفى عن نفسه فى صدر الروايه العلم بالغيب، و يكفى ذيل الروايه شاهداً على ما نقول فى دحض صدرها. و عليه فلا بدّ من تحزى الدوافع.

-
- ١- بصائر الدرجات: ٤٢٩ ح ٣ / ٤، أمالى الطوسى: ٣ / ٤ ح ٩٢٩، الخرائج و الجرائح: ٢ / ٦١٢ ح ٨، مناقب آل أبى طالب عليه السلام لابن شهر آشوب: ٢٢٧ / ٤، وسائل الشيعه: ١٦ / ١١١، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس ب ١٠١ ح ١٥.
 - ٢- دلائل الإمامه: ٢٦٣ ح ١٩٣، الخرائج و الجرائح: ٢ / ٦٣٦ ح ٣٧، كشف الغمّه: ٢ / ١٩٠، المحجّه البيضاء: ٤ / ٢٦١.

دوافع نفى الإمام علمه بالغيب الدافع الأول:

إنَّ أهمَّ دافع جعل الإمام عليه السلام يسلب عن نفسه العلم بالغيب، هو الظرف الخاصّ الذى عاشه الإمام فى ذلك الزمان و الذى شهد تفتّيح آفاق العلم، لينهمك الإمام فى بيان أحكام الإسلام و حقائق القرآن و نشر العلم و تفادى كلّ ما من شأنه أن يحول دون القيام بهذه الوظائف. كان خليفه زمانه الطاغية السّفاح المنصور الدوانيقى الذى كان يتحّين الفُرص لقتل الإمام و إزاله هذه العقبه عن طريقه. كان الإمام شديد الحرض على عدم اثاره مثل هذه المواضيع التى تؤلّب ذلك الجبّار الغاشم من أجل تصفيته و القضاء عليه، الأمر الذى يعنى الحيلولة دون نشر معارف الدين و الأحكام. فلو قال الإمام: أنا عالم بالغيب جدير بالإمامه و الخلافه، لكان ذلك كافياً لسلب المنصور سيفه و قتله، و عليه فلا ينبغى أن يشيع هذا الأمر بين الأوساط الاجتماعيه، و يكفى أن يعلم ذلك بعض خواصّه و حملة أسرارهِ، و سوف لن تستطيع الغربان أن تحجب الشمس إلى الأبد، فلا بدّ للليل أن ينجلى و لا بدّ للطوق أن ينكسر. و لنعدّ ثانيه إلى مجلس الإمام: لقد اجتمعت أمّه عظيمه فى مجلس الإمام عليه السلام، و كلام الإمام يفيد أنّ علمه بالغيب قد شاع فى المدينه، و أنّ الألسن تتناقل علم الإمام بالغيب، و قطعاً كان الأمر قد بلغ المنصور. فما أحسن هذه الفرصه التى تجعل الإمام يتصدّى للدفاع عن نفسه فيستدلّ بمثل بسيط يقنعهم بعدم علمه بالغيب، و لم يكن هنالك أعمق من ذلك المثال الذى اعتمده الإمام للقضاء على تلك الشائعه. أتى للإمام العلم بالغيب و هو الذى عجز عن العثور على جاريه فى غرفه من غرف داره؟! لا- شكّ أنّ ذلك الكلام سيؤثر كثيراً و يؤتى أكله، كما لا شكّ أنّ جلاوزه المنصور- الذين لم ينفكوا عن تفتيش دار الإمام- سينقلون كلامه إلى المنصور

و سيسكن روعه و تهدأ فورته، ثم يتاح المجال من جديد أمام الإمام لمواصله دروسه و نشر علمه. و بناءً على ما تقدّم فلم يبق لصدور تلك الروايه من محملٍ سوى التقيّه، و لكن لم يبق لدى الإمام سوى الخواصّ من أصحابه و هم ليسوا بالمذاييع، فلم يعد للخوف من سبيل، فأبو بصير و صحبه ليسوا من أعوان المنصور، بل هم من حملة العلم و رواه الحديث و فقهاء الإسلام، و التحدّث إليهم وظيفه شرعيه تأريخيه لا تدع للتقيّه من شأن، فيعمد الإمام هنا إلى إظهار مكنون علمه و الإفصاح عن مقامه على ضوء القرآن، فحقيقه علمه لا يعزب عنها صغير و لا كبير فى هذا العالم فضلاً عن مكان تلك الجاربه. و هو لا يستطيع الإتيان بتلك الجاربه بحركه فحسب بل يسخر العالم بأسره، ما نفهمه من كلمات الإمام عليه السلام أنّه مطلع على كافه أصناف العلم، و كيف لأصف بن برخيا الذى تجرّع قطره من بحر علم الكتاب أن يفعل ما فعل، و يغيب عن علم الإمام شىء و هو الذى يعوم فى بحر علوم الكتاب و محيطاته؟ و على ضوء هذا التحقيق و التأمل فى هذه الروايه التى تصرّح بعلم الإمام بكافه الحوادث و تمتّعه بالقوّه و القدره التامه على فعل الأفاعيل، فهل هنالك من ماء عكر يمهد السبيل أمام بعض السدج ممّن تأثروا بالوهابيه للاصطياد فيه؟ و هل يسع أحد أن يقول لنا بعد ذلك: إنكم من المغالين فى شخصيه الإمام؟ فهذا الإمام و قد عجز عن العثور على جاربه!

الدافع الثانى:

أمّا الدافع الثانى الذى أغضب الإمام و جعله ينفى عنه علم الغيب فهو قضيه الإفراط أو التفريط و الغلوّ أو الإنكار، التى سيطرت على أغلب الأفراد تجاه الإمام، و هذا ما يتوصّل إليه بسهولة من سياق الروايه، فى أنّ البعض قد أفرط

بالاعتقاد بعلم الإمام للغيب حتى رآه أفضل من النبي صلى الله عليه وآله وبلغوا به حدّ الألوهية، على الرغم من أنّ محور الإمامه كان يهدف إلى تحقيق التوحيد وإيصال الأمة إلى العبودية الحقّة، فالإمام يمثّل العبودية الخالصة لله، و جلّ سعيه هو ربط الأمة بمعبودها الأوحد وتطهيرها ممّا علق بها من الأوهام والخرافات، وإلا فلو قدر للأمة أن تضلّ طريقها في تعاملها مع الإمام فإنّ جهوده ستذهب أدراج الرياح، وهو الأمر الذى يأخذ مأخذه من الإمام ويجعل الغضب والتوتر يسيطر على جميع كيانه، فيبدو أنّ دافع الإمام من نفيه لعلم الغيب عن نفسه وحصره بالقادر العليم، إنّما يهدف إلى تثبيت الهدف المقدّس المتبلور فى التوحيد وإزالة الأفكار المنحرفة تجاه شخصيه الإمام. ولم يكن هناك من سبيل أمام الإمام سوى التنازل عن واقعه ليعلم الجميع بأنّ الإمام الصادق عليه السلام إنسان كسائر الناس الذين نشئوا وترعرعوا فى المدينة، فهو ليس بملك هبط من السماء أو عيسى عليه السلام الذى حلّ فيه روح القدس ليصبح ابن الله!!! وقد اعتمد الإمام الأسلوب العلمى فى سبيل تهذيب أفكار الأمة، فينفى عن نفسه العلم بالغيب و يقتصر بهذا الأمر على الله تبارك وتعالى. والأمر ليس ببدعه فهو يقتدى بالأسلوب الذى نهجه القرآن، الذى يقتصر علم الغيب بذات الله تعالى، بينما يتوصّل إليه النبي صلى الله عليه وآله من خلال الوحي، والإمام من خلال تعليم الرسول له إلى جانب الإلهامات الربانيّة والفيوضات الرحمانية التى توصله إليه. ولا يستبعد أن يكون الإمام قد استهلّ كلماته بنفى علم الغيب الذاتى تقيّه، فى حين أوكل الحديث عن علمه بالغيب العرضى إلى مجلسه الذى يضمّ خواصّه وحمله أسرارّه، فقد كشف لهم النقاب عن مدى علمه وقدرته، ثمّ يسند ذلك لعلمه بالكتاب، ومن المفروغ منه أنّ العلم بالكتاب لا يتسنّى دون المعلّم.

و بناءً على هذا التعليم و التعلّم من مصادر الغيب قد بلغ الإمام تلك الذروه من السموّ و الكمال، و عليه فليس هنالك من تناقض بين صدر الروايه و ذيلها.

روايتان:

- ١- قال جابر: قال الإمام الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد أن يدعى أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الأوصياء(١).
- ٢- قال عبد الأعلى مولى آل سام: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «و الله إنّني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنه في كفيّ، فيه خير السماء و خير الأرض و خير ما كان و خير ما هو كائن. قال الله عزّ و جل: «فيه تبيان كلّ شيء»(٢)»(٣).

ملاحظه:

لا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن بأنّ القرآن المتداول غير ذلك القرآن الذي كان آنذاك بيد الأئمّه عليهم السلام، و أنّ الروايات تؤيد مسأله التحريف، بل المقصود هذا القرآن مع كافه التفسيرات و التأويلات و الأسرار و المكنونات، و قد كان ذلك القرآن الذي بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فالروايتان تُشيران إلى مطلبيين، هما: ١- معنى أنّ علم الكتاب عند الأئمّه، هو أنّ الأئمّه عليهم السلام محيطون بالكتاب السماوي بجميع ما ينطوى عليه من حقائق و تأويل و تفسير. ٢- ما تتناقله الألسن و تؤيّد به الروايات من أنّ الإمام عالم بما كان و ما يكون،

١- الكافي ١: ٢٢٨ ح ٢.

٢- اقتباس من سوره النحل: الآيه: ٨٩.

٣- الكافي ١: ٢٢٩ ح ٤.

إنّما يعنى أنّ الكتاب الذى يعتمدّه الأئمّه عليهم السلام ينطوى على كافّه الحوادث الماضيه والآتيه و جميع الحقائق، و أنّ علم الأئمّه إنّما يستند فى بعض عناصره إلى الإحاطه بهذا القرآن المفضّل.

تكرار و تذكير:

لقد تعرّفنا من خلال الأبحاث التى أوردناها فى الروايات و الآيات على علم الإمام عليه السلام، و لعلّ تكرار الدليل - بصفته فهرسه للأُمور المذكوره سابقاً يمكنه أن يوضّح الجوانب العلميه للإمام بصوره أفضل. و إليك هذه الأدلّه:

الدليل الأول:

الدليل الأول على علم الإمام و إحاطته بالمغيبات هو أنّ الزعيم الإسلامى - الإمام - هو الفرد الذى يستند إلى الغيب فى زعامته، فلا - بدّ أن تكون هناك صله مباشره له بمكونات العالم و خفاياه و إفاضه الحقائق عليه، فإن كان الزعيم هو النبىّ فالإفاضه بواسطه الوحي، و إن كان الزعيم هو الإمام فتعليم النبىّ أو الطرق الأخرى كالإلهام و العلم بتفصيلات الكتاب السماوى، و الذى سيأتى بيانه قريباً. و يمكن الاستشهاد ببعض الآيات لإثبات هذا الأمر: ١- **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ (١)**. ٢- **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (٢)**. ٣- **وَقَتِيلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ (٣)**.

١- سورة النساء: الآية ١٠٥.

٢- سورة يوسف: الآية ١٠١.

٣- سورة البقره: الآية ٢٥١.

٤- وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (١). لقد أفادت هذه الآيات أنّ الزعيم هو صاحب الملك المصطفى من الله و الذي يحظى بعنايته الخاصّة و إرشاده و توجيهه من أجل الإحاطة و العلم بالمغيبات، و حيث ثبت في محلّه أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام هم زعماء الأُمّة إلى الأبد، فلا بدّ من الإذعان بأنّهم مشمولون بلطف الله و فضله؛ ليتمكّنوا بزعامتهم من الأخذ بيد الناس إلى السعادة و الفلاح، و يزيلوا بقدرتهم العلميّه ما يعترض سبيلهم من مشاكل و صعوبات و أزمات.

الدليل الثاني:

دلّ القرآن الكريم على أنّ زعماء الدين المنصّيون يسلكون الصراط المستقيم و يهدون إليه أ فَمَنْ يَهْدِي ... و أنّهم يهدون إلى الواقع الذي لا يتسلّل إليه الخطأ و الزلل، و أنّ استهلال الآيه الكریمه بالاستفهام هو تقرير واضح بأنّ هدايه هؤلاء الزعماء مطابقه للواقع و تامّه كامله لا يشوبها الخطأ، و استنتجنا أنّ من لوازم الهدايه الواقعيه الصائبه استناد الزعماء إلى العلم الغيبي و الإحاطه بالحوادث الخفيّه المحجوبه عن أنظار الناس، و عليه: فالأئمّة الأطهار زعماء كرام من وجهه نظر القرآن، و الصواب ما يقولونه و ليس للخطأ من سبيل إلى زعامتهم، و لمّا كانت زعامتهم أبدية فإنّهم مّطلعون على جميع الأحداث إلى الأبد. و على ضوء ذلك بحثنا روايه الإمام الباقر عليه السلام- التي قال فيها: «الإمام يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك» (٢)- التي تفيد استناد الإمام إلى الغيب في زعامته.

١- سورة الأنبياء: الآيه ٧٣.

٢- تقدمت في ص ١٦٧.

الدليل الثالث:

و يدور حول محور الاستنباط القرآنى أيضاً، حيث يفيد القرآن وجود صفوه مجتباة من الناس تتمتع برؤيه و بصيره ثاقبه لآفاق العلم، و أنّ الله قد أفاض عليهم من فضله و رحمته ما نور به قلوبهم، بحيث خرقوا الحُجب و أحاطوا بجميع الأحداث و الأسرار. و كانت أهم آية طالعنا فى هذا الفصل هى الآيه الأخيره من سوره الحجّ لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) فقد كانت هذه الآيه إلى جانب القرائن الثلاث القطعيه صريحه فى أنّ المخاطب بها صفوه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله أبناء إبراهيم الأئمه الأطهار عليهم السلام و قد مرّ شرح ذلك. فالآيه تفيد إبلاغ الوحي للنبي بآفاق الغيب، و هو ينقلها بدوره إلى الأئمه بما لا يدع مجالاً للشكّ بعلمهم بأعمال الخلائق و الإدلاء بالشهاده عليهم فى محكمه العدل الإلهى. و قد تعرّضنا (٢) لروايه الإمام الباقر عليه السلام التى تناولت الآيه الشريفه، و الروايه سالمه السند و لا بأس بذكر رجالها: على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام ... فالروايه موثوقه السند و الرواه من الثقات، و نوكل الخوض فى التفاصيل - الخارجه عن بحث الكتاب - إلى اصول الكافى باب «إنّ الأئمه شهداء على خلقه». فقد جاء فى الروايه: قلت قوله تعالى: وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ، قال: إيانا عنى و نحن المجتوبون مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ إيانا عنى خاصّه و

١- سوره الحجّ، الآيه: ٧٨.

٢- فى ص ١٦٨.

سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُ سَمَّانا المسلمين مِنْ قَبْلُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ وَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) فرسول الله صلى الله عليه و آله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك و تعالى، و نحن الشهداء على الناس، فمن صدق يوم القيامة صدقناه، و من كذب كذبناه (٢). فالأئمة عليهم السلام على رؤيه واسع و بصيره ثاقبه بحيث لا تخفى عليهم خافيه من أعمال الناس، و ما هذه إلَّا عنايه و رحمه إلهيه. و استناداً لما تقدم يمكن الجزم بأن الأئمة عليهم السلام عالمون بالغيب، محيطون بخفايا الحوادث، بصيرون بشئون الأئمة، و هذا ما يستشف بوضوح من دلالة الآية و لا سيما من خلال تأييدها بقول الإمام. أمَّا الآية الأخرى التي تدل على أنَّ هذه الصفوه مشموله بلطف الله و عنايته فهي: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣). لقد مررنا سابقاً مرور الكرام على هذه الآية، و هي تكشف بعمق عن مدى عظمه الإمام، بحيث خشينا من كثره الاستعراض فيها أن نكون في زمره «فمنهم ظالم لنفسه».

دراسه الآيه:

سبقت هذه الآية بقوله سبحانه: وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٤). نفهم من الآية أن المراد بالكتاب هو «القرآن»؛ لأنَّ

١- سورة الحج: الآية ٧٨.

٢- الكافي ١: ١٩١ ح ٤.

٣- سورة فاطر: الآية ٣٢.

٤- سورة فاطر: الآيتان ٣١-٣٢.

الخطاب للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله و الكتاب الذي أوحى إليه هو القرآن، ثم شرعت الآية الثانية بقوله: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ**، فالكتاب هو القرآن، و التعريف إشاره إلى ذلك الكتاب العزيز، ثم حرف عطف يفيد التراخي و ظهور الثاني بعد الأول، فالمعنى ثم أودعنا القرآن تلك الطائفة المصطفاه من العباد، و بناءً على هذا فإن وارثي الكتاب و حافظي الوحي السماوي هم صفوه مختاره من عباد الله.

عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟

هل أودع الكتاب صفوه مصطفاه من العباد، أم كافه العباد؟ بعبارة اخرى:

هل الكتاب إرث عام تتولّى جميع الأئمة مسئوليّه حفظه و تطبيق تعاليمه و أحكامه فهو وديعه عامه، أم تقتصر هذه الوظيفه و المسئوليّه على صفوه خاصه مصطفاه من بين خلص العباد؟ ما الذي نفهمه من قوله تعالى: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**؟ لا نشك أنّ هذه الوظيفه الخطيره إنّما ينهض بها المصطفون؛ لأنّ الآية تفيد نقل الكتاب إلى نخبه من العباد لا جميعهم.

من هم المصطفون من العباد؟

ذكرنا سابقاً أنّ الذين اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا هم صفوه مختاره من بين العباد لإخلاصهم و تسليمهم و عبوديتهم المحضه لله و خلّوهم من كلّ عيب و نقص، و قلنا في حينه: إنّ هذه الصفوه هم الأئمة الأطهار عليهم السلام. و لا يسعنا إلّا أن نذكر دليلاً واضحاً في إثبات هذا الأمر بغيه طمأنه الآخرين.

الدليل الدامغ:

تبيّن ممّا أوردناه بشأن الآية ٣٢ و ٣٣ من سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ أَنَّ الذِي يَكُونُ عَلَى رَأْسِ سُلْسَلَةِ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ هُوَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ مِنْ بَعْدِهِ الْأَتْمَةُ الْأَطْهَارُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَالْآيَةُ كَاشِفَةٌ عَنِ الصَّفْوَةِ الْمُخْتَارَةِ «المصطفين» وَ لَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى ضَوْءِ هَذَا الْمِصْدَاقِ: الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا أَنَّهَا لَا تَعْنِي سِوَى أَتَمِّهِ الدِّينِ، وَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ الْمَفْسِّرَةُ وَ الْحَاكِمَةُ عِلْمِيًّا عَلَى الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصِدْدِهَا، أَيْ أَنَّهَا تَفْصِحُ عَنِ أَنَّ مِصْدَاقَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا هُمُ الْأَتْمَةُ الْأَطْهَارُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَ هُنَا لَا بَدَّ مِنَ التَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّهَا خَاصَّةٌ فِي الْأَتْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَطْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ إِنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَةِ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِلَّا أَنَّ الْآيَةَ ٣٠ قَدْ حَدَّدَتْ وَضْعَهُ، وَ الْآيَةُ الْوَالِيَةُ تَعَيَّنَ الصَّفْوَةَ الْمُخْتَارَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ. سَأَلُ: إِذَا كَانَ الْأَتْمَةُ الْأَطْهَارُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمُ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَا مَنَاسِبَةُ اخْتِطَامِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ أَيْ أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْمِصْطَفِينَ ظَلَمَهُ، فَهَلْ يَظْلَمُ الْأَتْمَةُ أَنْفُسَهُمْ؟ جَوَابُ: الضَّمِيرُ فِي «مِنْهُمْ» يَعُودُ إِلَى الْعِبَادِ لَا إِلَى الْمِصْطَفِينَ، وَ يُؤَيِّدُهُ كَلَامُ الْمُحَقِّقِ الطُّوسِي فِي تَفْسِيرِهِ لِلْآيَةِ فِي إِطَارِ إِثْبَاتِهِ لِرُجُوعِ الضَّمِيرِ «مِنْهُمْ» إِلَى الْعِبَادِ، حَيْثُ قَالَ: «لَأَنَّ مِنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ لَا يَكُونُ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ» (١)، إِذَنْ فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ فَرَضُ كَوْنِ الْمِصْطَفِينَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ؟ (٢).

١- تفسير التبيان ٨: ٣٩٤.

٢- قد تبدو كلمة «عبادنا» واسعة تشمل كافة عباد الحق تعالى، إلا أن إضافة العباد إلى ضمير الجمع «نا» تفيد خصوصية معينة: «عبادنا»، فلا يستبعد القول بأنها طائفة واسعة من أهل الرسالة والتي تستوعب «أهل البيت»، و من ينكر ذلك فلا يسعه أن ينكر روايتين بل عدّه روايات بهذا الشأن. فمعنى الآية بتفسير الأئمة الأطهار عليهم السلام: أورثنا الكتاب صفوه من عبادنا من أهل البيت، إلا أن أهل البيت على ثلاث طوائف: طائفة تظلم نفسها و هي التي تتجاهل نسبها و تقلد نخبتها من هذه الطائفة، فهذه لا تكون من الأئمة الأطهار، و طائفة معتدلة، و ثالثة سابقة بالخيرات هادية في حركتها و هي تلك النخبة. هذا هو المراد من الآية بالاستناد إلى الأحاديث المعتبرة، و لكن نظره أخرى إلى القرآن تفيد أن الآية الكريمة درسه لجماعه واسعة باسم «عبادنا» و هم أهل البيت، و أن الكتاب ورث فيهم، و هم على طائفتين: ١- النخبة ٢- سائر الطائفة، فالنخبة هم الأئمة الأطهار عليهم السلام، و جميع بنى هاشم هم سائر الطائفة، فهم قد يظلمون أنفسهم و لكن ليس على الدوام و الشاهد هو الآية اللاحقة جَنَاتٌ عَزِدْنَ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِيَأْسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرًا. و على فرض أن هذا الكلام خلاف ظاهر الآية و أن كلمة «عبادنا» تشمل جميع المسلمين، لكن مع هذا الفرض و هو أن «المصطفين من عبادنا» ليس سوى أهل بيت الرسالة الأئمة الأطهار عليهم السلام، و قد لاحظتم شرح ذلك، حيث كان الاستدلال مبتنياً على كلمة «المصطفين من العباد» لا كلمة عبادنا.

إذن، فالمقصود «بالعباد» جماعه أشمل و أوسع من أهل البيت، لا المصطفين من أهل البيت، و يؤيد ذلك عدّه روايات.

وارث الكتاب الكريم:

أئمه الدين هم وارثو الكتاب، و أئمه الإسلام هم صفوه العباد، المبرءون من كلّ عيب و نقص و دنس، الذين خصّهم الله بعنايته و لطفه، فأودعهم القرآن بأسراره و مكنوناته و خفيّاته، إلى جانب تعليمهم من قبل ربيب الوحي النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فهم يرون الحقائق كما يراها رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد أفاض عليهم نوره، فهو معلّم أمير المؤمنين عليه السلام الذى علّمه ألف باب من العلم، فكان عليه السلام هو الأذن الواعيه التى لا يعزب عنها شىء حتّى قال فيه: «إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبى» (١).

الآية الأخرى التى كشفت عن علم الإمام بالغيب هى: وَقَلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١).

كيف يعلم الجميع!؟

كيف يعلم جميع المسلمين بسيره المنافقين أو خفايا بعض الناس؟ الله عالم الغيب و الشهاده و الذى يكشف الأعمال و يريها من يقوم بها فيضعها نصب أعينهم، فالأعمال التى تصدر من الناس - و على ضوء ذيل الآية - لا بد أن تكون الأعمال و الأفعال الخفية، إلما أننا نعلم أنه لا يمكن للجميع الاطلاع على هذه الخفايا، و هنا لا بد من القول بوجود عدّه معدوده من المؤمنين - مضافاً إلى الله و رسوله - تمتلك رؤيه ثاقبه تجعلها تخترق الحُجب و تطلع على الخفاء، فلا بد أن نعرف من هى هذه العدّه المعدوده من المؤمنين؟ قال المحقق الطوسى فى تفسيره التبيان: هؤلاء هم الأئمه الأطهار عليهم السلام، و قد جاء فى الخبر أنّ أعمال الامه تعرض كل يوم اثنين و خميس على النبي صلى الله عليه و آله و الأئمه عليهم السلام (٢)، و هذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام لابن الزيات (٣). إذن، فالآيه الكريمة ترى للأئمه رؤيه ثاقبه كالتى لرسول الله صلى الله عليه و آله و التى تمكنهم من الإحاطه بالخفيات. و أدنى تأمل فى صدر الآيه و ذيلها يقود إلى أنّ تلك العدّه المعينه من المؤمنين عالمه بالغيب و الشهاده أيضاً، فقد ورد لفظ الجلاله فى أول الآيه دون قيد ثم أردف بالرسول، و هؤلاء المؤمنين فى طول لفظ الجلاله فى الاطلاع على

١- سوره التوبه: الآيه ١٠٥.

٢- تفسير التبيان: ٥ / ٢٩٥.

٣- تقدّم فى ص ١٧٣.

خفايا الناس، أما ذيل الآيه فقد ورد لفظ الجلاله مَتَّصِفًا بعالم الغيب و الشهاده، و هذا العالم هو اللّٰه الذى ذكر فى صدر الآيه، و عليه: فكما أنّ اللّٰه عالم الغيب فإنّ رسول اللّٰه و بعنايه الحقّ سبحانه فى طول هذه المزيه الإلهيه الذاتيه- لأنّها وردت فى طول اللّٰه فى الآيه- يتمنّع بإفاضه علم الغيب عليه، و ليست هنالك من الأعمال ما يخفى عليه، ثمّ كان المؤمنون فى طول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، الأئمه الأطهار الذين يطّلعون الخفاء بلطف اللّٰه فيقفون على أعمال العباد، و اللّٰه أعلم.

الشواهد الحيّه!!!

هل يمكن أن نحصر علم الأئمه فى دائره أحكام و تعاليم القرآن رغم هذه الشواهد الحيّه و الدلالات القرآنيه بعلمهم المطلق و إحاطتهم بالخفايا و الأسرار، فلا نراهم أبعد شأنًا من المجتهد الذى يستنبط الأحكام الشرعيه من القرآن؟! أم لا بدّ أن ندعن إلى سعه علمهم و إحاطتهم بكافه الحوادث؛ لأنّ الزمان و المكان ليس من شأنهما أن يكونا حجابًا يحول دون رؤيتهم لباطن الامور، و هل يصعب على هؤلاء الزعماء الخالدين المطهّرين من الرجس و الدنس و العلماء بالكتاب و الشهداء على أعمال العباد و حفظه القرآن و أمناء الوحي، أن يتكهنوا بالحوادث و الوقائع التى تهدّد بالخطر كيان الإسلام و المسلمين؟ و هل كان الإمام الحسين عليه السلام المظلوم الذى هبّ للدفاع عن الرساله غافلًا عمّا ستثول إليه الامور فى كربلاء، و لم يكن يمتلك رؤيه واضحه لحركته و انطلاقه التاريخيه من المدينه إلى كربلاء! لا- ننوى الإجابة على هذه الأسئلة و نترك ذلك للإخوه القراء الأعزّاء، ليتحفونا بجوابهم على ضوء ما واكبتاه من أحداث سابقه.

طرق الأئمه عليهم السلام فى الحصول على العلم:

لقد اتّضح من الأبحاث السابقه أنّ الإمام عالم بالغيب، و أنّه يستمد علمه

الغيبى من خلال المدد الإلهى الذى يدعى بالإفاضه الرحمانيه، كما أتضح لدينا أيضاً أنّ الزعامه الدائمه الهاديه إلى الصراط المستقيم لا يمكنها أن تكون غير محيطه بالحوادث و الوقائع التى يواجهها المسلمون و الإسلام طيله التاريخ، و ذلك لأنها إذا كانت جاهله بهذه الحوادث فإنها ستشقى عصا المسلمين و تفرّق صفوفهم و تعرّض الكيان الإسلامى للتصدّع و الانهيار، و تحيل القرآن الكريم- هذا الكتاب الذى يتضمّن سعادته الامم و الشعوب على مرّ العصور- إلى كتاب لا يبقى منه سوى شكله و رسمه، بينما وعد الحقّ بخلود هذا الكتاب العزيز و أنّه محفوظ حتّى عن سقوط أحد حروفه، فكيف يتعامل أئمه الدين و زعماء المسلمين مع الأحداث بما يقود إلى تلك النتيجة المؤسفه! أو لا يتعرّض الإسلام إلى الإباده و الزوال من قبل الأعداء الذين يتربّصون به الدوائر، و الذين لا- يرقبون فى المسلمين إلماً و لا ذمّه؟ لا شكّ أنّ هذا السقوط و الزوال حتمى و تصدّع القرآن قطعى لو لم يكن الأئمه الأطهار عليهم السلام عالمين بحوادث الدهر، فى حين قطع القرآن على نفسه قضيه بقائه و ديمومته إنّنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(١)، و بشر من جانب آخر بانتصار حكومه العدل الإلهى التى ستنتشر قيم العدل و الفضيله فى كافه أرجاء المعموره، فقال عزّ من قائل: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٢). و هنا يُطالِعنا هذا السؤال: إذا كانت زعامه الأئمه من قبل هؤلاء الأئمه الذين لهم مثل هذا العلم و الدرايه و أنّهم يبلغون بالأئمه كمالها المنشود، فكيف يتّجه الإسلام نحو الضعف و الافول؟ و قد قال القرآن الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ أَوْ يَدَبُ الضَّعْفُ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ فِي ظِلِّ زَعَامِهِ أَوْلَئِكَ الْأئِمَّةُ؟ و ناهيك عمّا

١- سورة الحجر: الآيه ٩.

٢- سورة القصص: الآيه ٥.

تقدّم؛ فإنّ الله هو الذى أنزل القرآن و تكفّل بحفظه، فهو لن يصبح كتاباً عادياً أبداً؟ و نقول فى الجواب: إنّ الإسلام لا يتّجه إلى الضعف و الاغول لو كان الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم الذين ينهضون بالأمر، فهم عالمون بصيرون، و هدايتهم - لو امتثلت - فسوف تؤدّى إلى قوّه شوكة الإسلام و المسلمين، غير أنّ الخطّه التى رسمها القرآن الحكيم لم تطبّق، و انحطاط المسلمين كان نتيجة طبيعیه لتنجيه أولئك الزعماء، و هذا ما أرادت أن تُشير إليه الآية فى أنّ هذا الضعف ناشئ عن إقصاء الأئمّه، و أنّ الإسلام سيستعيد قوّته مستقبلاً، و هذا لا يتسنى إلّا فى ظلّ حكومه أتقياء الدهر و على رأسهم إمام العصر و الزمان - أرواحنا و أرواح العالمين له الفداء - الذى سيبعث الحياه من جديد حين تكون السيادة فى حكومته للقرآن و تعاليمه الحقّه، ستكون الدنيا آنذاك متعطّشه لحكومته العدل القرآنى، و التفاصيل فى المجلّد الثانى.

أمير المؤمنين عليه السلام و آية الكريمة:

قال على عليه السلام «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها»، و تلا عقب ذلك وَ تُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ... (١). لقد أبان الإمام بهذه العبارة منزله الإمام، كما أفصح عن دافع ظهور حكومه العدل القرآنى، فى حين اتّضحت دلالة الآية فى حلول اليوم الذى سيشهد حاكميه الإسلام بزعامه الإمام. ما أشقى الامّه حين ولّت ظهرها لهذه الصفوه و أبعدتها عن الزعامه! و لكن سوف لن يكون بوسعها إقصاء مُعزّها الذى سيأخذ بيدها و يفيض عليها بركات الدنيا و الآخرة حين تعلن وفاءها و وقوفها إلى جانبه. نعم، انحطاط المسلمين كان معلولاً لعدم انصياعهم لزعامه أولياء الله من تلك

الصفوه، لا- إلى عدم العلم بحوادث التأريخ. و كأنّ السائل أراد بالسؤال أن يشير إلى علّة الضعف التي أفرزتها افتقار الزعامه لمقوماتها و شرائطها. و عوداً على بدء فقد اتّضح أيضاً أنّ الإمام بصفته الزعيم الأبدى، عالم بكافه الوقائع و الحقائق و الأسرار و السير نحو الجمال و الكمال. و هنا لا بدّ من الإذعان بأنّ بصيرتهم هي عين الواقع التي تأبى الخطأ و الانحراف، فقد شعت أنوار قلوبهم بالله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الذي لم يجعل للظلمه من سبيل إلى قلوبهم، فقد طهرت حتّى لم تتمكّن هذه الحُجب من الوقوف بوجهها. و اتّضح أيضاً بأنّ الإمام طالما كان الحاكم الإسلامى و الزعيم المطلق؛ فإنّ حكومته متقوّمه بالغيب الذي يشمل حتّى الحوادث الشخصيه البسيطة، كما تبين أنّ الكتاب السماوى- القرآن- قد استودعه الله الأئمّه ثمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا. و قد تكفل القرآن ببيان أنّ المراد من هذا الإرث هو استناره قلوب الأئمّه بنور القرآن: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (١)، و قد قال الإمام الصادق عليه السلام: «و عندنا و الله علم الكتاب كلّ» (٢)، كما فهمنا أنّ آصف بن برخيا بنصّ الآيه الكريمه قد أوتى بعض العلم بالكتاب، فانطوى على تلك القدره و القوّه العلميه، فما بالك بمن أوتى العلم بالكتاب كلّ! فى حين لا- زال البعض يعيش القلق الفكرى و يتساءل: هل يتجاوز علم الإمام حدّ استنباط آيات الأحكام؟ و أخيراً وقفنا على إحاطتهم بأعمال العباد، و أنّه لا يعزب عن علمهم مثقال ذره من تلك الأفعال، و أنّهم الشهداء على الناس يوم القيامه فى محكمه العدل «فمن

١- سوره الرعد: الآيه ٤٣.

٢- الكافي ١: ٢٢٩ باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّه، و أنّهم يعلمون علمه كلّه ح ٥.

صَدَّقَ صَدَقْتَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ مِنْ كَذَّبَ كَذَّبَنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، فإِذَا أَنْكَرَ مِنْكَرَ عَمَلِهِ، نَادَوْهُ: صِهْ فَقَدْ كُنَّا مَطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِكَ، كَمَا عَلِمْنَا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رَبِيبَ الْوَحْيِ قَدْ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ عِلْمَهُ مِضَافًا إِلَى مَا خَصَّهِمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ عِنَايَتِهِ وَ فَضْلِهِ وَ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَطْفِهِ وَ رَحْمَتِهِ. كَانَتْ هَذِهِ نَمَازِجَ مِنْ عِلْمِ الْإِمَامِ، وَ الْقُرْآنَ هُوَ الشَّاهِدُ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ، وَ لَنَا الْآنَ أَنْ نَلْتَمِسَ سَبِيلَ هَذِهِ الْعُلُومِ دُونَ اللَّجْوِ إِلَى أَقْوَالِ تَلَامِذِهِ الْوَحْيِ، فَمَا مَصْدَرُ عِلْمِ الْإِمَامِ؟

المعلم الأول:

لقد ذكرنا خلال الأبحاث السابقة أنّ النبي أو الإمام لا يدرك جميع الأشياء بنبوته أو إمامته، بل هم لا يستغنون في كل آن عن الفيض الإلهي، فالنبوة و الإمامة لا تجعله بمجرد عالمًا بكلّ شيء. إذن، فهذا العلم الجَمّ الذي يملكه الإمام لا بدّ أن يكون قد تعلّمه في مدرسه، و قد مرّ علينا أنّ الإفاضة هي وسيلة الإمام في علمه، فالله هو الذي يفيض و يتلطف بأئمة الدين زعماء المسلمين، و قد قلنا بأنّه يحكم بما يريه الله لِيَتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ^(٢)، و أنّهم بعنايه الله صفوه عابده مخلصه عالمه بالكتاب ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...^(٣)، و بينا أيضاً بأنّ يوسف كان مُنْصَبًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ رَغْمَ نَهْوِضِهِ بِأَمْرٍ دُونَ الزَّعَامَةِ الْعَامَّةِ، وَ أَنَّهُ مَعْلَمٌ مِنْهُ:

وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ^(٤).

١- الكافي ١: ١٩٠ باب أنّ الأئمة شهداء الله عزّ و جلّ على خلقه ح ٢.

٢- سورة النساء: الآية ١٠٥.

٣- سورة فاطر: الآية ٣٢.

٤- سورة يوسف: الآية ١٠١.

و الذى نريد أن نخلص إليه هو أنّ المعلم الأوّل للإمام هو العليم المطلق، و ما ذلك إلّا لإخلاصه و تسليمه و انقياده المطلق للحقّ، فيحظى بالعباده الإلهيه و الفضل الربّاني ليتغلّب على ما يعترضه فى مسيرته من حوادث و أحداث.

المعلم الثانى:

المعلم الثانى للإمام هو رسول الله صلى الله عليه و آله، فقد قلنا سابقاً بأنّ دعوته إبراهيم و إسماعيل كانت لأجل ظهور صفوه صالحه فى ذريّتهم تترى فى مدرسه الرساله، و كانت نتيجة الدعوه أن تولّى رسول الله صلى الله عليه و آله بشخصه تعليم على عليه السلام و تربيته منذ نعومه أظفاره.

و قد صرّحت بذلك آيات سورة البقره وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ (١). و هو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام استناداً إلى الآيه، فقال: «لم يعلم الله محمّداً صلى الله عليه و آله علماً إلّا و أمره أن يعلمه علماً عليه السلام» (٢). و بناءً على ما تقدّم فالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله هو المعلم الثانى للإمام.

الإمام الصادق عليه السلام و علم الإمام:

سأل الحارث بن المغيرة الإمام الصادق عليه السلام عن مصدر علم الإمام، فأجاب عليه السلام: «وراثه من رسول الله صلى الله عليه و آله و من علىّ عليه السلام». فقال الحارث: إنا نتحدّث أنّه يقذف فى قلوبكم و ينكت فى آذانكم صلى الله عليه و آله، قال عليه السلام: «أو ذاك» (٣). أى أنّ الإمام ملهم و تلميذ مدرسه النبي صلى الله عليه و آله و الإمام على عليه السلام، و قد مرّ (٤) علينا قول الباقر عليه السلام أنّ الإمام يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك» (٥).

١- سورة البقره: الآيه ١٢٧.

٢- الكافي ١: ٢٦٣ باب أنّ الله عزّ و جلّ لم يعلم نبيه علماً إلّا أمره ... ح ١.

٣- الكافي ١: ٢٦٤ باب جهات علوم الأئمه عليهم السلام ح ٢.

٤- فى ص ١٦٧.

٥- الكافي ١: ١٧٦ باب الفرق بين الرسول و النبيّ و المحدث، ح ١.

القرآن و علم الإمام عليه السلام:

أمّا أفضل طرق علم الإمام فالقرآن الكريم، و قلنا: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله مكلف بتعليم أئمة الإسلام، و بالطبع فقد اقتصر هذا التعليم المباشر على أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّنا نعلم بأنّ القرآن الذى جمعه الإمام عليه السلام لم يقتصر على الكتاب المنزل، بل ضمّ إليه جميع الأسرار القرآنية و التفسير و التأويل و أسباب النزول و كآفه الأحكام، فقد كان على عليه السلام يسطر ما يتلو عليه النبي صلى الله عليه و آله، و أنّ هذا القرآن كانت تتناقله الأئمة دون أن تصل إليه يد الآخرين، و هو الآن بيد قائم آل محمد صلى الله عليه و آله إمام العصر و الزمان. و من هنا تتبين أهمّيه و عظمه هذا الكتاب الذى انطوى على جميع الحقائق و الأحكام و أسرار القرآن- الأعم من التأويل و التنزيل- و الذى أملاه رسول الله صلى الله عليه و آله على أمير المؤمنين عليه السلام و لم تصل إليه يد عامّة الأئمّه، و كيف أنّه يتجاوز المكنونات و المجهولات؟! هذه نبذه من الطرق التى تكشف عن علم الإمام و إحاطته بالمجاهيل، و من أراد المزيد فليراجع كتاب أصول الكافى لثقه الإسلام الكلينى، أو كتب علماء الكلام بهذا المجال ليقف من خلال الأحاديث و الأخبار على مصادر علم الإمام عليه السلام.

أسئله و أجوبه:

طرحت عدّه أسئله فى المباحث السابقه من قبيل: ١- هل للإمام عليه السلام علم بالغيب أم لا؟ الجواب: نعم، هو عالم بالغيب، و لكن من خلال الوحي أو الإلهام أو شرح الله

لصدرهم بما يزيل عنهم الحُجب فينظرون إلى حقائق الأشياء، وهذا العلم الجَمّ من لوازم الزعامه الخالده، ولا بدّ للحاكم الإسلامى من الاستناد إلى الغيب فى حكومته. ٢- هل مجرد بلوغ النبوه أو الإمامه يجعلهم يدركون الغيب؟ الجواب: كلاً، فإنّ مجرد الإمامه لا تستلزم هذا الأمر، فهم مقتدون لا يعلمون دون عنايه الحقّ و لطفه، إلّا أنّ سنّه الله جرت فى أنّ أئمّه الإسلام أن يحيطوا بكافه الأسرار بفضل الإفاضه الرحمانيه. ٣- هل تنحصر علوم زعماء الدين و أئمّه المسلمين فى إطار القرآن و أحكام الإسلام دون الحوادث الواقعه و مصير المسلمين و مستقبل الإسلام؟ الجواب: أفادت الدراسات و الأبحاث السابقه أنّ علم الإمام لا ينحصر بالقرآن و أحكام الإسلام، و لا بدّ أن يحيط الزعيم بالحوادث و لا سيّما تلك المرتبطه بكيان الإسلام و المجتمع الإسلامى. ٤- هل الأئمه عليهم السلام عالمون بما كان و ما يكون؟ الجواب: أشرنا باختصار إلى هذا الأمر، و قد أوضحته الروايات التى صرّحت بأنّ عندهم المصحف بإملاء رسول الله صلى الله عليه و آله و خطّ أمير المؤمنين عليه السلام، و الذى يحتوى على جميع الحقائق و الأسرار و امور التأويل و التنزيل كما ورد فى القرآن الكريم: تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ (١) فلا بدّ من الإذعان بأنهم عالمون بما كان و ما يكون. و لا نرى المقام يسع للخوض فى بيان المقصود بما كان و ما يكون. ٥- هل علم الإمام عليه السلام بالأشياء حضورى، أم حصولى؟ الجواب: لا نرى من جدوى فى إطاله الكلام بهذا الشأن رغم إصرار البعض فى مؤلفاتهم على أنّ علم الإمام حضورى، فما عند الإمام من العلم هو الإفاضه و العنايه، و ما يهمننا هو التأكد من علمه مهما كانت كفيته ما لم يستلزم أمراً غير معقول.

العلم الشائى:

هذا اصطلاح أورده علماء الكلام فى أنّ الإمام عليه السلام عالم بكلّ شىء و لكن بالعلم الشائى، أى متى شاء علم و إلّا فلا. و بعبارة اخرى: فإنّ عنان العلم بيد الإمام بمجرّد أن يريد العلم يعلمه. و لا- ندرى من أين لعلماء الكلام هذا الاعتقاد، و كيف يستدلّون عليه؟ فإن كان الدليل الأخبار، فإننا تتبعنا الأخبار التى اعتبرت العلم متوقّفاً على المشيئة، فإذا هى ثلاثة أخبار فى اصول الكافى- التى تهتمّ بمثل هذه الأحاديث و الأخبار- و هى لا تنفع المتكلّمين بهذا الشأن.

إيضاح:

هنالك أمران ينبغى توفّرهما من أجل صحّحة الاحتجاج و الاستدلال بأية روايه، و هما: ١- الوثوق بصدور الروايه عن الإمام عليه السلام. ٢- دلالة نصّ الحديث على المراد بصوره واضحه و لو من بعض القرائن. و ممّا يؤسف له أنّ الروايات الوارده بهذا الشأن فى باب «أنّ الأئمّه عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا» ليست أكثر من ثلاث، و هى تفتقر إلى السند و إلى الدلاله التى قال بها بعض المتكلّمين، بل يمكن القول بأنّها روايتان؛ لأنّ رجال السند بعد ابن مسكان متحد فى روايتين، و ينتهى السند إلى أبى ربيع الشامى الذى روى عن الصادق عليه السلام. عبارته الروايه الأولى: «إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم» (١). بينما عبارته الروايه

الثانية التي متحد في السند مع الأولى «إِنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم أُعْلَم»^(١) وعبارة الرواية الثالثة «إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك»^(٢). وبالتمعن في نص الرواية الثالثة والثانية ترى أنّ كلمة «علم» في الرواية الأولى بضمّ العين و تشديد اللام فهي صيغته مجهولة من باب التفعيل لا بمعنى «يعلم»، ولذلك فمفادها واحد، وهو أنّ الإمام عليه السلام متى شاء أن يعلم يعلمه الله و يفيض عليه «أعلمه الله ذلك». و عليه: فإن كان مستند هذا البعض من المتكلمين بالعلم الشائى هذه الرواية، كان لا بدّ من القول بأنّ الروايات الثلاث لا- تنطبق على العنوان المذكور في كلام المتكلمين، و إن كانت هناك روايات اخرى فإننا لم نعثر عليها. و بغض النظر عمّا مضى فإنّ سند الرواية ضعيف، و يمكن القول بأنّ الروايات الثلاث دالّة على أنّ علم الإمام إفاضته، و متى غاب عنهم شيء تلطّف الله عليهم و كشفه لهم. و هنا نأتى إلى اختتام البحث و التحقيق بشأن الإمامه و شرائطها و لا سيّما علم الإمام. و هنا لا بدّ من القول بأنّ بحث الإمامه ليس من الأبحاث السهلة، فمعرفة الإمام تتطلب رؤيه ثاقبه و افق واسع، و أتى للقلوب الملوّثه أن تدرك شأن الإمام، فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «إِنَّ الإمامه أجلّ قدرأ و أعظم شأنأ و أعلى مكانأ و أمتع جانبأ و أبعد غورأ من أن يبلغها الناس بعقولهم»^(٣).

١- الكافي ١: ٢٥٨ ح ٢.

٢- الكافي ١: ٢٥٨ ح ٣.

٣- الكافي ١: ١٩٩ باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته ح ١.

علم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام بحادثه كربلاء

إشارة

اتّضح لدينا سابقاً بأنّ الإمام عالم و محيط بكلّ حادثه في المسيره التاريخيه للمسلمين و إلى الأبد، و عليه: فلم يعد هنالك من معنى للتساؤل عن أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان عالماً بمصيره في كربلاء و سبى نساءه أم لا، فهذا السؤال مثل من يسأل عن شعاع الشمس هل يصل إلى ذلك المكان و هو يرى بأنّ عينيه نورها الذي يضيء كلّ شيء! ترى ما العمل و قد طرح هذا المبحث منذ القدم لدى العقلاء و المفكرين؟ الأمر الذي جعلنا نتصدّى للخوض في مثل هذه المباحث، و لعلّ مثل هذه العُقد و الشبهات قد تسلّلت إلى الكتاب المعروف: «شهيد جاويد» و الحقّ أنّ المؤلف قد اعتمد نهجاً جديداً في طرحه لأبعاد تلك الواقعة، غير أنّه أخطأ في بعض الاستنتاجات و قراءه الأحداث، و هذا ما دفعنا لأنّ نخصّص هذا الفصل لنقد محتوى و مضمون هذا الكتاب، و لا يسعنا إلّا أن نذعن ببراعه الكتاب سوى خاتمته التي طرحت هذا السؤال: هل كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنّه سيقتل في

كربلاء أم لا؟ في حين فرغنا من إثبات علم الإمام بالغيب و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال لعلى عليه السلام: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَتَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ» (١). ولما كان مؤلف الكتاب من الباحثين و قد ناشد الجميع تذكيره بالهفوات التي ربّما استبطنها الكتاب، و قد دوّن عنوانه بغيه استلام الرسائل في هذا المجال، رأينا أنفسنا إتحافه ببعض الامور المتعلقة بالكتاب من خلال هذا الكتاب الذي بين أيدينا- لا عن طريق الرسائل- فلعلّ كتابه خلّف هاجساً من القلق و الاضطراب لدى الرأى العام. آملين أن يعيد المؤلف النظر في الطبقات الأخرى ليتلافى ما فرط منه في ما سبق، سائلين الإخوه المحقّقين و الباحثين التماس العذر لنا في ما يبدر منّا من زلل و تذكيرنا به ربّنا لا تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (٢).

ثلاثة أخطاء رئيسيه:

١- إنكار علم الإمام عليه السلام بشهادته في هذه الحركة. ٢- تضرّر الإسلام و المسلمین إثر حادثه كربلاء و شهادته الإمام عليه السلام. ٣- لم تكن ثوره الإمام عليه السلام سوى دفاعاً عن النفس.

الخطأ الرئيسي الأول:

رغم تصريح مؤلف كتاب «شهيد جاويد»- في الصفحة السادسة من كتابه- بأنّ الإمام كان يعلم بأنّه سيقتل في آخر الأمر، إلّا أنّ مباني الكتاب و اسسه قائمه على أساس إنكار علم الإمام بشهادته في هذه الحركة و سبى نساؤه و عيالاته،

١- الطرائف لابن طاوس: ٤١٥، و قد تقدّم عن نهج البلاغه في ص ١٨٩.

٢- سورة البقره: الآيه ٢٨٦.

بحيث لو جرّد الكتاب من هذا المحور لاكتسب صبغه اخرى، فالإصرار على إنكار رؤيا الإمام عليه السلام و أمره من قبل النبي صلى الله عليه وآله: «يا حسين اخرج إلى العراق...»^(١) و حديث أم سلمة و حوار محمّد بن الحنفية، و التريديد في دلاله الروايه الصحيحه الوارده في كامل الزيارات بأنّ الإمام عليه السلام قال: «مَنْ لَحِقَ بِي اسْتَشْهَد...»^(٢) و قوله عليه السلام: «هاهنا و الله محطّ رحالنا و مسفك دماننا...»^(٣) و تلاوته لخطبته المعروفه «حُطَّ الموت على ولد آدم...»^(٤) في مكّه، أو خدشه في دلاله الخطبه «كأنتى بأوصالى...»^(٥) أو عدم التعرّض لها، كلّ هذه الامور قائمه على أساس الإنكار، غايه ما في الأمر أنّه يتعرّض لها من زاويه اخرى، بينما يبقى الهدف الأصلي متمثلاً بإنكار علم الإمام بشهادته، و لا نرى هذا الكلام جديداً، فقد تعرّض أرباب المقاتل و أجابوا بما فيه الكفايه، إلّا أنّنا لم نلمس مثل هذه الشبهات و الشكوك في الكتب التي تعرّضت لحادثه كربلاء. بالطبع يمكن أن ترد مثل هذه الأمور في بعض الأوساط الأخرى التي ليس لها معرفه تُذكر بهذا الشأن و تجهل مقام الإمام، إلّا أنّ هذا الأمر يبدو أنّه يحمل نوعاً من الغرابه بالنسبه لعالم التشيع الذي تثقّف و فهم أفكار و ملابسات هذه الحادته الخالده.

الخطأ الرئيسي الثاني:

لقد اعترف المؤلّف - بالتلويح أو التصريح - بأنّ حادثه كربلاء و شهاده الإمام الحسين عليه السلام قد أدت إلى الإضرار بالإسلام و المسلمين.

١- الملهوف لابن طاوس: ١٢٨، ينابيع المودّه ٣: ٦٠.

٢- كامل الزيارات: ١٥٧ ح ١٩٥، و عنه بحار الأنوار ٤٥: ٨٧ ح ٢٣.

٣- الملهوف لابن طاوس: ١٣٩، الاحاديث الغيبية ٢: ٣٠٩.

٤- كشف الغمّه ٢: ٢٩، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦-٣٦٧.

٥- كشف الغمّه ٢: ٢٩، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦-٣٦٧.

الخطأ الرئيسي الثالث:

يفيد التأمل في الكتاب المذكور أنه لم تكن هنالك من دوافع لثوره الإمام سوى الدفاع عن النفس، وذلك لأنّ الإمام و بمجرد أن يئس من النصر والإصلاح و رأى نفسه في قبضه العدو لم يكن له بُدّ من الدفاع عن نفسه. نعم، هذه هي أهمّ الأخطاء التي ارتكبها صاحب الكتاب، و لا يسعنا الخوض في سائر الأخطاء التي لا ترتبط بمنهج هذا الكتاب. و نخوض الآن في مناقشه الخطأ الأول و الثاني، و سيّضح لدينا من خلال البحث الجواب على الخطأ الثالث، و لذلك فلا حاجة لعنوان مستقلّ.

الكتاب و الخطأ الأوّل:

اشاره

١- يستنتج من البحث الوارد بشأن دوافع الثوره بأنّ «الإمام ثار من أجل إنشاء الحكومه الإسلاميه، و هذا هو الهدف الأصلي و الواقعي في حركته نحو الكوفه، و ذلك لأنّ كافّه الظروف كانت ممّهده لنيل النصر». و يمكن القول بأنّ الهدف الأصلي للكتاب قد تبلور في هذا الأمر، أي إنشاء الحكومه الإسلاميه و القضاء على حكومه يزيد، و لسنا الآن بصدد دراسه هذه القضيه، و سنّفق و الكاتب في أنّ هدف الإمام كان يتمثّل بالأخذ بزمام الامور، إلّا أنّه ذكر في الصفحه السادسه من الكتاب «أنّ الإمام كان يعلم بأنّه سيقتل فكيف له بذلك العسكر الذي رافقه أن يطيح بحكومه يزيد». و بناءً على هذا فلا يمكن الجمع من وجهه نظر الكاتب بين العزم الراسخ بالإطاحه بحكومه يزيد، و العلم بالشهاده في تلك النهضه، فهناك تباين بين الأمرين. فقد ظنّ بعدم إمكانيه تحقيق الإمام للهدف و تعبئه الجهود من أجله، بينما كان يعلم بأنّه سيقتل دون نيل ذلك الهدف، و حيث كان الهدف الذي ركّز عليه

الإمام عليه السلام من وجهه نظر الكاتب هو إنشاء الحكومه، فلم يجد بدءاً من التنكر لقضيه علم الإمام عليه السلام بقتله في هذه النهضه، و لا- نريد أن نقول بأن هذا الفصل من الكتاب صرّح بنفى علم الإمام بشهادته، بل حيث توصل الكاتب إلى أن علم الإمام بشهادته في هذه الحركه يتنافى و هدف الكتاب في قيام الإمام من أجل الإطاحه بحكومته يزيد و إنشاء الحكومه الإسلاميه، فلم يكن أمامه من سبيل سوى إنكار علم الإمام بشهادته في هذه الحركه، و هذا هو الأساس الذى ابتنى عليه الكتاب.

٢- لقد تنكر الكتاب لكافه الأدله التى تفيد- بغض النظر عن الأدله العامه التى تصرّح بالعلم المطلق لكلّ إمام- علم الإمام عليه السلام بشهادته في هذه الحركه، فهو إما كان يطعن فيها من حيث السند و الاعتبار أو يناقشها من حيث الدلاله، و هنا لا يجب أن ننسى أن المؤلف قال: لم يخرج الإمام من أجل الشهاده أبداً، ففتد كل ما يفيد هذا الأمر، فمثلاً علّق على عبارته الإمام عليه السلام: «من لحق بى استشهد» فقال: لا تعنى هذه عبارته أن كل من يلحق بى يُقتل، فى حين لا يفهم العرف و اللغه سوى ذلك، بل يرى أن المعنى: من يلحق بى إنما يتعرّض إلى الأخطار و الشهاده، أو لا يعنى بهذا أنه ينكر علم الإمام بما سيقع فى كربلاء؟ و بالطبع لا اريد أن أقول بأن كافه الأدله قطعيه السند تاريخياً، رغم القول بصحتها من قبل كبار أرباب المقاتل، بل أقول: إن كل ما بدر من المؤلف كان اجتهاداً فى التأريخ و ليس من التأريخ فى شىء، و لم يهدف سوى إنكار علم الإمام عليه السلام بشهادته فى هذه الحركه. ٣- كيف لنا أن نفترض عدم تنكر المؤلف لعلم الإمام بشهادته، و هو الذى أورد عنواناً تساءل فيه عن قتل الإمام هل كان بنفع الإسلام أم بضرره، ثم يذهب صريحاً- و سيأتى ذلك فى مناقشه الخطأ الرئيسى الثانى- إلى أن قتل الإمام عليه السلام و حادثه كربلاء و سبى عيالات أهل البيت إنما شكّلت ضرراً على الإسلام، حيث

ذهب أيضاً إلى أنّ القول بالعلم يستلزم الاعتراف بإقدام الإمام عليه السلام على عمل لم يتضمّن سوى ضرر الإسلام و المسلمين، لو كان الإمام عالماً بما ارتكب و ما يتنافى و الإسلام، و عليه: فلا مفرّ للمؤلف من الاعتقاد بعدم علم الإمام بشهادته فى تلك النهضة. و بعبارة أوضح: يعتقد المؤلف بأنّ حادثه كربلاء قد أضرتّ بالإسلام- سيأتى الردّ قريباً- و على هذا الأساس كان لا بدّ له من التنكّر لعلم الإمام بما سيجرى فى تلك الحادثة، و إلّا لما ارتكب ذلك الفعل الذى أدّى إلى ضرر الإسلام، و عليه: فلم يكن للإمام علم، و إلّا كان متعمّداً- و العياذ بالله- للإضرار بالإسلام. ٤- يفهم من الأدلّة التى ساقها المؤلف فى إطار حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة و إنشاء الحكومه الإسلاميه، أنّ الإمام لم يكن ملتفتاً إلى الأحداث و الوقائع التى ستنتوى عليها حادثه كربلاء. فقد صرّح فى ص ٥٥ قائلاً: «على ضوء المعادلات الطبيعیه- و المقصود بالمعادلات الطبيعیه هنا بقرينه العبارات السابقه و اللاحقه: إعداده العده و العدد و شعبيه الإمام و نصره الكوفه له و ...- فإنّ الإمام كان يأمل بتحقيق النصر فى هذه المعركة و الإطاحه بحكومته يزيد». و لنا هنا أن نسأله: هل يمكن الجمع بين الأمل- الذى يمثّل إحدى الصفات الإنسانيه- و العلم بالشهاده فى هذه النهضة؟ هل يمكن القول بأنّه كان يأمل بالإطاحه بحكومته يزيد و الأخذ بزمام السلطه، كما كان عالماً بأنّه سيقتل قبل وصوله إلى الكوفه؟ كأن نقول مثلاً بأنّ مسافراً انطلق من مدينه قم و هو يأمل بأنّه سيصل طهران فى نفس ذلك اليوم، كما أنّه موقن بأنّه سيموت فى حادثه اصطدام خلال الطريق قبل أن يبلغ طهران. أجل، لا يمكن الجمع بين العلم بالشهاده فى هذه الحركه، و الأمل التامّ بالنصر الذى يتمثّل بالإطاحه بحكومته يزيد.

و لعلّ هناك من يقول: إذن، فأنتم تتفقون مع مَنْ يقول: إنّ الإمام إنّما خرج من أجل القتل، لا- بقصد الاتّجاه إلى الكوفه و القضاء على زعامه الفاسق يزيد؟ و للإجابة على هذا الزعم نقول: لا ننوى فعلاً الدخول في ماهيه قضيه كربلاء و نبدي بعض و جهات النظر بهذا الخصوص، بل إنّما نريد الإشارة إلى الأخطاء التي ارتكبتها مؤلّف كتاب شهيد جاويد، كما نريد أن نقول بأنّ أساس الكتاب إنّما وُضع على أساس إنكار علم الإمام عليه السلام بالشهاده في هذه الحركه، و لكن لا بأس بالإجابة على ذلك الزعم الموهوم. فقد استبطنت حكومه يزيد الزائفه عدّه خطط و برامج خطيره، فلم يكد المسلمون يتنفّسون الصعداء إبان عصر الاستبداد و الطغيان الذي شهدته حكومه معاويه، حتّى رأى المسلمون هذا الفاسق شارب الخمر و قد ترّبّع على عرش السلطه، السلطه التي جعلت المسلمين يذوقون الأمرين من هذا الفتى الطائش - يزيد-، و قد أخذ الظلم مأخذه من الناس بالشكل الذي جعلهم يرفعون أصواتهم و يصرخون بوجه الظلم و يطلبون النجده من الرجل الصالح الجدير بزعامه الامّه و إمامتها و يرون فيه أملهم المنشود. أمّا الإمام من جانبه فقد كان عالماً بحكومه يزيد التي لا تريد سوى زعزعه أركان الإسلام و محو آثار القرآن، و أنّها ستنشُد يوماً:

لعبت هاشم بالملك فلاخبرٌ جاء و لا وحيّ نزل(١)

و ستجدّد مفاخر الجاهليه و تقصّ مضاجع الدين، الأمر الذي يجعل الإمام ينهض لممارسه وظيفته تلبيه لدعوه الامّه، و هي الوظيفه التي ينهض بها كلّ إمام حسب الظروف و الشرائط، فلم يكن ينبغي للإمام الحسين عليه السلام أن يصمّ آذانه عن

١- روضه الواعظين: ١٩١، الاحتجاج ٢: ١٢٢ رقم ١٧٣، الملهوف: ٢١٥.

سماع صراخ المظلومين، و لذلك أعلن عن عزمه على خلاص الإسلام و الامّة من مخالف يزيد، حتّى لا يتفوّه أحد بأنّ الامّة استغاثت بالإمام و لم يجبها و تهزّب من ممارسه وظيفته و مسؤوليته! كان هذا الأمر يتطلّب توفير بعض المقدمات من قبيل الحركة نحو الكوفة ليعلن للعالم بأنّي لن أخلد إلى السكون و الراحة. نعم، فالسبيل الذي سلكه يزيد و العلم الذي يعلمه الإمام لم يجعل أمامه من سبيل سوى القيام و الثورة، هذا من جانب، و من جانب آخر فقد كان عالماً عارفاً أنّه لن يحقّق هدفه و يُنهي حكمه يزيد و يقيم الحكومه الإسلاميه، بل إنّ سبيل التضحيه و الفداء هو الذي سيسقى شجره الدين التي جفّت عروقها خلال سنوات حكم معاويه، و أنّ تضحيته ستنفخ الروح من جديد في جسد الإسلام الذي أصبح جثّه هامده بلا حركه، و كان يعلم جيداً بأنّه سيتمكّن بهذه التضحيه من أداء دينه للإسلام، و ستتحقّق مقوله جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله «حسينٌ منّي و أنا من حسين»^(١). إذن، فالانطلاق نحو الكوفة لزعامه الامّة كان من أجل كمّ الأفواه التي فتحت آنذاك و ستفتح اليوم و غداً، على أنّ السبيل كان ممهّداً و الظروف مناسبه فلمّ لمّ ينهض الإمام الحسين عليه السلام غير أنّ العلم بالشهاده و الذي يجعل الهدف يكمن في كربلاء لم يكن يصدّ الإمام عن القيام و الثورة، فالإمام كان يعلم بأنّه سيقتل في هذه الحادثه- و هذا ما سنشير إليه لاحقاً- و لكن لا- بدّ من الانطلاق نحو الكوفه و تمهيد المقدمات لكي لا- تخرج النهضه عن دائره العقلانيه و الحسابات التقليديه، رغم علمه بأنّه سوف لن يصل الكوفه. إذن، فالإمام رام بهذه الحركة إفهام العالم بأنّه قام من أجل إحياء الإسلام و إنقاذ الامّة المظلومه من قبضه حكمه يزيد، و أنّه سيقتل إثر هذا القيام، و لم يكن

١- كامل الزيارات: ١١٦ ح ١٢٦، و عنه بحار الأنوار ٤٣: ٢٧٠.

لِلْإِمَامَةِ أَنْ تَدْرِكَ مَغْزَى هَذَا الْقِيَامِ مَا لَمْ يَنْطَلِقْ صَوْبَ الْكُوفَةِ، أَمَّا الْإِمَامُ فَقَدْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّهُ لَنْ يَصِلَ الْكُوفَةَ. وَ هُنَا يَبْرُزُ هَذَا السُّؤَالُ: إِذَا كَانَ الْإِمَامُ يَعْلَمُ بِأَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ الْوَصُولِ إِلَى الْكُوفَةِ وَالظُّفْرَ بِإِنْشَاءِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - الْحُسَيْنِيَّةِ - فَلِمَاذَا قَامَ وَ نَهَضَ بِالْأَمْرِ؟

وَ لِمَ سَلَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ لِلْقَتْلِ طَوَاعِيَهُ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ مِنْ اِحْتِمَالٍ وَ لَوْ وَاحِدٍ بِالْمِائَةِ بِالْغَلْبَةِ وَ النُّصْرَةِ؟ وَ الْجَوَابُ: لَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ يَتَوَقَّعُ بِزِمَامِ الْأُمُورِ وَ السِّيْطْرَةِ عَلَى الْحُكُومَةِ هُوَ الْهَدَفُ الْوَاقِعِيُّ لِلْإِمَامِ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ كَانَ يَعْلَمُ بِعَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ تَحَقُّقِ هَذَا الْأَمْرِ، وَ أَنَّهُ سَوْفَ لَنْ يَبْقَى حَيًّا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْكُوفَةَ، بَلْ كَانَ هَدَفُهُ الْأَصْلِيُّ إِحْيَاءَ الْإِسْلَامِ، وَ تَطْبِيقَ الْقُرْآنِ، وَ إِبْقَاءَ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ وَ شَرِيْعِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ إِزَالَةَ الْبِدْعَةِ وَ إِحْيَاءَ السُّنَنِ، وَ لَيْسَ هُنَالِكَ مِنْ سَبِيلٍ سِوَى الشَّهَادَةِ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ الْعَظِيمِ - وَ هَذَا مَا سَنَتَعَرَّضُ لَهُ فِي مَنَاقِشَةِ الْخَطِّ الرَّئِيسِيِّ الثَّانِي - وَ هَذِهِ الْمَهْمَةُ كَانَتْ تَشَكَّلُ وَظِيفَهُ مِنْ وَظَائِفِ الْإِمَامَةِ الَّتِي كَانَ عَلَى الْإِمَامِ السَّعْيَ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَ أَنْ يُحْمَلَ رَأْسُهُ عَلَى الرِّمَاحِ مِنْ أَجْلِ رَفْعِهِ الْإِسْلَامَ الْعَزِيزَ. وَ عَلَى الْعَمُومِ لَيْسَتْ هُنَالِكَ مِنْ مَنَافَاهِ بَيْنَ الْحَرَكَةِ نَحْوِ الْكُوفَةِ وَ تَلْبِيَةِ دَعْوَةِ الْإِمَامَةِ وَ إِعْدَادِ مَقَدِّمَاتِ النُّهْضَةِ، وَ بَيْنَ عِلْمِ الْإِمَامِ بِالشَّهَادَةِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ هُوَ إِفْشَالُ مَخْطَطَاتِ يَزِيدَ وَ إِحْيَاءِ الْإِسْلَامِ، وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سَبِيلٍ لِذَلِكَ سِوَى الْقِتَالِ الْمُسْتَمِيتِ فِي كَرْبَلَاءَ حَتَّى الشَّهَادَةِ، وَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ سِوَى الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ أَنَّ هَذَا الْهَدَفَ الْعَظِيمَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي ظِلِّ الشَّهَادَةِ لَا الْحُكُومَةِ. أَمَّا حَرَكَةُ الْإِمَامِ بِاتِّجَاهِ الْكُوفَةِ إِنَّمَا كَانَ يَهْدَفُ مِنْهَا تَوْضِيْحَ أَسْبَابِ قَتْلِ الْإِمَامِ، وَ لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ أَنَّ الْإِمَامَ تَارَ مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِ الْإِسْلَامِ وَ الْحِيلُولِ دُونَ اِضْمَحْلَالِ وَ مَحْوِ الدِّينِ مِنْ قَبْلِ حُكُومَةِ يَزِيدَ وَ أَنَّهُ قُتِلَ فِي هَذَا السَّبِيلِ.

و لعلّ الإدراك الحقيقى لفلسفه حركه الإمام و الوظيفه التى قام بها قد يتعذّر على الناس لو كان الإمام قال منذ بدايه حركته: إنّما انطلق إلى الأرض التى سأقتل فيها، كما سيتعذّر عليهم إدراك كيفيه قيام الإمام بهدف إحياء الإسلام، أمّا الإمام فكان يعلم شخصياً بأنّ السبيل الوحيد للانتصار و زعزعه سلطه يزيد و إحياء الإسلام إنّما يكمن بالشهادة و التضحيه بالعالى و النفيس. نعم، جرت عادته الأئمه المعصومين عليهم السلام باعتماد بعض الأمور من أجل إفهام الناس بعض الحقائق و الوقائع، فقد رقد الإمام على عليه السلام فى الفراش بعد أن ضُرب فى محراب عبادته، فهو كان يعلم بأنّ ضربه ابن ملجم قاتله، و قد كشف النقاب عن جميع تفاصيلها قبيل وقوعها، و لكن كيف له أن يفهم الآخريّن بأنّ تلك الضربه قاتله؟ لا شكّ فى أنّه ليس هنالك من سبيل سوى استدعاء الطبيب لفحصه و إبداء وجهه نظره بهذا الشأن، فلولا- فحوص الطبيب و تشخيصه بأنّ الضربه قاتله و لا أمل فى الحياه، فلعلّ هناك من يتساءل لو كان على عليه السلام راجع الأطباء و قدّموا له العلاج و الدواء فلربما تماثل للشفاء و نجى من الموت، و هذا هو جواب أولئك الذين يلبس عليهم الأمر فيقولون: إذا كان على يعلم بأنّه سيفارق الدنيا إثر ضربه ابن ملجم و أنّه ميت لا محاله، فلمّ أخضع نفسه لإشراف و فحص الطبيب؟ و لمّ استعدّ لتلقّى العلاج؟ أ و ليس هذا دليلاً على عدم علمه عليه السلام بأنّه سيموت إثر هذه الضربه، فعلى عليه السلام كان يعلم أن لا جدوى من العلاج و أنّه سيفارق الحياه، و لكن كيف له أن يفهم الآخريّن هذا الأمر و لا سيّما عوام الناس؟ فهل هناك سوى السبيل الذى سلكه الإمام عليه السلام؟ و هذا ما يصدق على واقعه كربلاء و حركه الإمام نحو الكوفه، الأمر الذى سنتعرّض له لاحقاً. ٥- يتّضح من الإجابته التى أوردناها على السؤال فى النقطة الرابعه أن ليس هناك أيّه منافاه عقليه و عقلائيه بين أساس النهضه من أجل الإطاحه بحكومته

يزيد و العلم بالشهادة فى هذه النهضه من أجل تحقيق هذا الهدف. أمّا المؤلف- و بغضّ النظر عن العلم بالشهادة فى هذه الحركه- فلم يجد من سبيل للجمع بين تحقيق الهدف و أساس النهضه، فظنّ أنّ فرض صحّه هذه الحركه إنّما تتأتّى إذا غضضنا الطرف عن علم الإمام عليه السلام بحادثه كربلاء، ثمّ يستنتج على هذا الأساس أنّ الإمام لا يستطيع أن يطيح بحكومته يزيد من خلال هذا الطريق، فكيف تأهّب لمثل هذه الحركه، فالقيام و النهضه لم تعدّ عمليه عقلائيّه! و عليه: فيرى المؤلف أنّنا إذا أردنا أن نسند الثوره لهذا الأساس و جب علينا أن نغضّ النظر عن علم الإمام، و لمّا أجبنا على هذا السؤال الوارد بهذا الشأن، فإنّنا نرى أنّ المؤلف لم يستطع أو لم يرد أن يشخص الطريق الصحيح، فان استند إلى مبناه فى أنّ الهدف هو إسقاط حكومه يزيد و الأمل بالنصر و إنشاء الحكومه الإسلاميه، و جب عليه القول بعدم علم الإمام بما ستؤول إليه الأحداث، أو أن يتراجع عن قوله: من أنّ الهدف هو إسقاط حكومه يزيد. و نخلص من هذا إلى أنّ الإذعان بالعلم يستلزم نسف كلّ ما ورد فى الكتاب، إلّا أنّنا نعتقد أنّ الهدف كان يتمثّل بالإطاحه بحكومته الظلم و الجور إلى جانب تليته لدعوه الامّه المتعطّشه إلى الحريه و حكومه العدل، كما كان عالماً بالأحداث، و فى ظلّ هذا الأمر يتحقّق الهدف، لكن ليس فى ظلّ إنشاء الحكومه، بل بواسطة التضحيه، و هذه حقيقه معنويه و وظيفه إلهيه كانت معلومه منذ البدايه، و قد قدّ رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام حسيناً عليه السلام هذه المسئوليه التاريخيه و قبلها بكلّ رحابه صدر. و بناءً على هذا ينبغى على المؤلف الذى ظنّ بأنّ السبيل العقلائي لهذه النهضه يقوم على أساس غضّ النظر عن علم الإمام، و بالنظر إلى الكلمات و الخطب التى أوردها الإمام بشأن علمه بشهادته؛ فإنّ الكتاب يكون قد نقض أو نسف تماماً،

و إلما فلا- خيار آخر سوى الاعتراف بعدم علم الإمام عليه السلام. ٦- لقد تبين من خلال الأدلة السابقة أنّ المؤلف- و أساس الكتاب- لا- يمكنه أن يقول بعلم الإمام بشهادته في هذه الحركة، إلما أننا لم ندع تصريح المؤلف بإنكار علم الإمام. (١) قال المؤلف في ص ٢٩٠ و ٢٩١- بعد الاتفاق الذي حصل بين الحرّ بن يزيد و الإمام:- «لزم الإمام ميسره الطريق و انطلق» ثم أضاف المؤلف: «فلو سأله أصحابه أين نطلق؟ ما مصير هذه الحركة؟ أين سنحل؟ ما ذا سنفعل؟ هل هناك من مشاكل ستواجهنا؟ لا يسع الإمام أن يقدم من جواب سوى القول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور»، فهل يسع المؤلف بعد التصريح بنفى علم الإمام بالأحداث و المصير أن يقول: لقد غضضنا الطرف عن علم الإمام و معرفته بالامور، فما الحاجه هنا لغضّ الطرف، فالإمام عليه السلام قد رأى نفسه في قبضه العدو، و لم يكن له سوى الاتجاه نحو ميسره الطريق بعد رفض العدو لاقتراحه بالرجوع، كما تزعم بأنّ الإمام أخذ يلتفت شيئاً فشيئاً أنّه سوف لن يظفر بهدفه المقدّس، فكيف نغضّ الطرف عن علمه رغم علمه و معرفته! لقد غضضت طرفك حين تعذّر عليك الجمع بين العلم و تحقّق الهدف، أمّا و قد انعدم الأمل و لاحت بوادر انتصار يزيد، و ذلك لأنّه وقع في قبضه العدو قبل أن يدخل الكوفه و يتّصل بقواعده الجماهيريه، و قد أغلق حتّى طريق الرجوع بوجهه! فهل غضّ طرفه عن علم الإمام في ظلّ هذه الظروف، و الجملة التي ذكرتها- و التي تفيد عدم اطلاع الإمام- استندت فيها على ما ورد في الكتاب التاريخي الفلاني، فهل بقي من طريق عقلائي لغضّ الطرف عن العلم!! نعتقد بأنّ هذه الجملة ليست تفيد عدم علم الإمام بما ستؤول إليه الأحداث في كربلاء فحسب، بل تفيد أيضاً أنّ الإمام لم يشعر- و العياذ باللّه- بأدنى خطر

هذه الحادثة المرّوعه الخطيره، و هو الوقوع فى قبضه الحرّ و جيشه المتعطّش للدماء. لعلّ المؤلّف يقول: أين أوردنا اسم الإمام فى جواب على سؤال؟ نقول: ليس هنالك من جواب على تلك الأسئلة سوى تلك العبارة. أمّا جوابنا على السؤال فنقول: على من يطرح الأصحاب أسئلتهم؟ ليس لهم سوى الإمام، أضف إلى ذلك فإنّك نقلت تلك العبارة من تاريخ الطبرى، فالتاريخ المذكور ينسب هذه العبارة صراحة إلى الإمام، و هى صريحه بعدم علمه بحدّثه كربلاء. و ربّما قال المؤلّف: نعم، لقد استندت إلى تاريخ الطبرى فى نقل تلك العبارة، ثمّ تبعته فى قضيه عدم اعتقاده بعلم الإمام بالحادثة. فنقول: أوّلًا: هل يصحّ الاستدلال بالتاريخ فى المسائل العقائديه المرتبطه تمامًا بعلم الكلام، و التى ينبغى التوضيح إليها من خلال الأدلّه العقليه أو الأدلّه النقليه الموثقه! فعلم الإمام، بالحوادث المستقبلية من المواضيع العقائديه، و ليس للتاريخ أن يبدى وجهه نظره بهذا الشأن سلباً أو إيجاباً. ثانيًا: تاريخ الطبرى ليس وحيًا مُنزلاً، فهل كلّ ما ورد فيه موثوقاً معتمداً عليه و إن خالف أقوال كبار محدّثى الشيعة و مؤرّخيهم؟ نعم، تاريخ الطبرى قد اشتمل على ما لا- يحصى من الأخبار الموضوعه، و إذا أردت التأكّد فإليك ما أورده العلّامه الأمينى صاحب الغدير بشأن بعض تجنّيات هذا التاريخ، فقد قال العلّامه- فى الجلد الثامن ص ٤٥٧- ٤٦٠- حين تعرّض الطبرى فى تأريخه إلى تاريخ أبى ذرّ قال: فى هذه السنه- أعنى السنه الثلاثون- كان ما ذكر من أمر أبى ذرّ و معاويه، و إشخاص معاويه إياه من الشام إلى المدينه، ثمّ ذكر أسباباً دعت معاويه لئفيه، و لا

أرغب بالتعرّض لها «فأمّا العاذرون معاويه في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّه»، ثمّ يخوض الطبرى في ذكر تلك القصص، ثمّ يضيف العلّامة الأمينى قائلاً: «ما الذى دفع الطبرى للاقتصار على ذكر القصص التى تعذر معاويه، بينما يتحفّظ عن ذكر العلل و الأسباب التى أوردها الآخرون و التى تصوّر بشاعه هذا العمل؟ فهل كان له من هدف سوى إعدار معاويه و إثبات حسن صنيعه؟ فلمّ لم ينقل الحقائق المتعلّقه بهذه الحادثه، و الحال أنّها مرتبطه بواقع تأريخ الامّه الإسلاميه، لقد ظنّ بأنّ هذه الحقائق ستبقى مستوره إلى الأبد و قد غفل عن وضوحها فى كتب الحديث و زوايا التأريخ» ثمّ قال الأمينى: «لقد شوّه الطبرى تأريخه بالمكاتبات التى نقلها السرى الكذاب الوضّاع عن شعيب، عن سيف، و ذلك لأنّ السرى اسم لفردين معروفين بالكذب و وضع الأحاديث، و شعيب- على ضوء المختصّين بعلم الرجال كابن عدى و الذهبى- مجهول، و سيف ضعيف و متروك و ساقط من الاعتبار، بل مّتهم بالزندقه من قبل الحفّاظ و أرباب الجرح و التعديل، لقد نقل الطبرى ما يربو على السبعمائنه روايه- و التى تعادل عدّه مجلّدات من تأريخه- عن السرى، عن شعيب، عن سيف، و غرضه هو إخفاء الحقائق التى وقعت منذ سنه ١١ هـ حتّى سنه ٣٧ هـ، أى عصر الخلفاء الثلاثه». ثمّ يخوض العلّامة الأمينى بالتفصيل فى هذه الروايات و الحوادث المتعلّقه بكلّ سنه فى ذلك العصر. أمّا غرضنا من نقل أقوال العلّامة الأمينى هو أنّه كيف يسعنا اعتبار تأريخ الطبرى سنداً تأريخياً قاطعاً و ندع من خلاله بعدم علم الإمام عليه السلام بحادثه كربلاء و ما آلت إليه الأحداث!! ثالثاً: لقد نقلت فى هذا التأريخ- كما سيأتى لاحقاً- بعض القصص التى تفيد على نحو الجزم علم الإمام بشهادته فى هذه الحركه، فلم لم تتبع هذه الامور فى

تأريخ الطبري!! ٢- قال المؤلف- فى ص ٢٩٠-: «يا لها من فاجعه! فى أن يمنح الإمام أصحابه حاله السكينه و الطمأنينه فى ظلّ تلك الأوضاع المزريه التى عصفت بهم، ثم يتّجه بهم فى تلك الصحراء الطويله العريضه إلى موضع لم يتكهن به». و هنا نسال المؤلف: «يتّجه بهم إلى موضع لم يتكهن به» ما ذا تعنى هذه العبارة؟

أ و لا تعنى أنّ الإمام لا يدري أين يذهب، و لا يعلم بأنّ ذلك الموضع هو كربلاء؟

فإذا كان كذلك فهل يمكن التصديق بأنّ الإمام عالم بأنّه سيحلّ فى كربلاء، حقاً أنّ مثل هذه الحيره لا تليق بشأن الإمام العالم بكلّ شىء و لا سيّما تفاصيل و جزئيات حادثه كربلاء، فهذه الامور لا تقود بالتالى إلّا إلى الحطّ من المنزله العلميه للإمام عليه السلام، لم هبطت بمقام الإمام الى هذه الدرجه بعد تغليف العبارات بهاله من التراجيديا و الغمّ؟ فى حين تعتقد بأنّ كتابك قد أدّى إلى رفعه مقام الإمام و تقول:

«إنّ هذا الكتاب ليس فقط لم يقلل من شأن مقام الإمام، بل قد رفع مقام الإمام بشهادة العلماء إلى درجه أرفع ممّا كانت تتصوّره عامّه الناس». فهل افتراض عدم العلم و الاطلاع ترفع منزله الإمام؟ و هل الحيره و التردد من قبل الإمام دفعت أولئك العلماء للإدلاء بتلك الشهاده؟ و هل عوامّ الامّه فقط يرون الإمام عالماً عارفاً؟ لا يسعنا هنا إلّا أن نناشدك بأنّ تعتبرنا جزءاً من عوامّ الامّه. ٣- قال فى ص ٣٠١- بعد أن نقل شيئاً يسيراً عن نزول الإمام و صحبه فى كربلاء-: «لقد تذكّر الإمام حديث والده أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هذه الأرض، حيث قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسين- حين كان له من العمر ثلاث و ثلاثين سنه-: سيقتل هنا ثلثه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و قد ابتليت ثلثه منهم اليوم بهذه الأرض». أو ليست تلك العده المعدوده من أهل البيت التى تحدّث عنها أمير

المؤمنين عليه السلام هم الحسين عليه السلام و أهل بيته؟ أَوْ لا ينطبق ذلك الحديث الذى ذكره أمير المؤمنين عليه السلام قبل أربع و عشرين سنة بشأن قتل عدّه معدوده من أهل البيت فى ذلك الموضوع على الحسين عليه السلام و أهل بيته؟ لقد نقل الحسين عليه السلام ذلك الحديث إلى صحبه، و بالطبع فإنّه عليه السلام كان يحتمل بأنّه هو المعنى بالكلام، فجعل يستعدّ و صحبه لذلك البلاء. و الذى نخلص إليه من عبارات هذه الصفحه من كتاب المؤلّف الذى أثار مثل هذه الاستفهامات: ١- أنّ الإمام الحسين عليه السلام حين بلغ كربلاء و حاصره العدو، تذكّر ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ صفوه من أهل البيت تقتل فى هذا الموضوع. ٢- لقد أورد أمير المؤمنين عليه السلام عبارته بضمير الغائب «هم» فى قوله: «مهراق دمائهم...» (١) و رغم كون الحسين عليه السلام معه إلّا أنّه لم يعتقد بأنّه المعنى بذلك الحديث. ٣- لم يتذكّر الإمام عليه السلام حديث أمير المؤمنين عليه السلام طيله مسيره حتّى حلّ فى كربلاء و حاصره العدو. ٤- حين تذكّر الإمام عليه السلام ذلك الحديث، خشى أن يكون هو و صحبه المصداق للعبارة: «مهراق دمائهم» و رغم جميع القرائن و الشواهد من قبيل حديث أمير المؤمنين عليه السلام بشأن تلك الأرض، و قرينه نزول الإمام فيها، و محاوله قتله من قبل يزيد، و المعامله الفصّه لعبيد الله بن زياد و محاصرته للإمام عليه السلام، و ما قاله الفرزدق حين التقاه، و مئات القرائن الاخرى، فإنّ الإمام تذكّر توّاً حين نزل فى تلك الأرض أن يكون هو و صحبه المقصودين بذلك الحديث الذى أوردّه أمير المؤمنين عليه السلام قبل أربع و عشرين سنة، فرجع الإمام إلى نفسه و أحسّ بالخطر الذى

١- اختيار معرفه الرجال، المعروف ب«رجال الكشى»: ١٩ ح ٤٦، و عنه بحار الأنوار ٢٢: ٣٨٦ ح ٢٧، الأحاديث الغيبه ٢: ١٦٤-١٦٥، و يأتى مفصلاً فى ص ٢٥٩.

يواجهه، في حين لم تكن كل تلك القرائن و الشواهد سبباً ليقين الإمام عليه السلام، أمّا عبارته: «هاهنا و الله محط رحالنا...» فقد نسبت إليه من قبل ابن الأعمش المشهور بالكذب. أمّا العبارات المنمّقه التي اعتمدها المؤلف - في هاتين الصفحتين من الكتاب - فهي لا- تفيد كون الإمام لا يعلم بقتله في هذه الحادثة، و لم يستطع تشخيص الواقعة فحسب، بل وردّها على أساس الاحتمال. و هنا نقول: كيف يقرّ المؤلف بعلم الإمام بالشهادة منذ انطلاقة، و الحال كانت هذه هي النتيجة لدراسه الصفحتين المذكورتين؟ و لعلّ المؤلف يقول: إنّي لا أنكر التفات الإمام لهذا الأمر، بل أقول: إنّه لم يطلق هذه العبارة: «هاهنا و الله محط رحالنا...» و قد نسبها إليه الكذاب ابن الأعمش. فأقول: أوّلاً: ما أوردناه هو نتيجة التحقيقات في ص ٣٠١. و ثانياً: لم التعرّض إلى مقوله ابن الأعمش و الإصرار على إثبات عدم صحّتها؟

التعرّض لذلك لا يكون إلّا لأنّ المؤلف قد التفت إلى عدم العلم، و أراد بتضعيف هذه العبارة أن يزعم أساس علم الإمام، و يخلص بالتالي إلى أنّ الإمام عليه السلام لم يقل:

«هاهنا مسفك دماننا»، أضف إلى ذلك على فرض أنّ ابن الأعمش كذاب و ضاع، فهل لنا أن نرميه بالكذب في الخبر الذي ينقله عن الإمام إذا كان مخالفاً لبعض الواقعيات حسب بعض القرائن؟ و هل هذا هو الاسلوب الذي ينهجه المؤلف في استنباطه للأحكام الشرعيه؟ مثلاً إذا كانت روايه دون سند، أو كان بعض روايتها من يخدش فيهم، إلّا أنّ الروايه موافقه لروايه موثوقه، فهل تسقط هذه الروايه من الاعتبار؟ هنالك ما لا يحصى من القرائن التي تجعل من الطبيعي نسب عبارته «هاهنا و الله محط رحالنا» إلى الإمام، و فرض كذب ابن الأعمش في سائر الموارد لا يعتبر

دليلاً على صحّ هذه المقولة، و ليس هنالك ما يدعو إلى تكذيب ابن الأعمش في إيراده لمقوله تنسجم و سائر الموازين العلميه و القرائن الخارجيه، و لا يسعنا إلّا أن نردّ إصرار المؤلّف على التكذيب إلى مبدئه الأساسى القائم على إنكار علم الإمام بمقتله فى هذه الحادته. و من المناسب هنا أن نشير إلى نقطتين: النقطة الاولى: ترى الشيعة الإماميه أن لا فرق بين الأئمّه الطاهرين عليهم السلام فى جميع الامتيازات و الفضائل، فهم متشابهون فى القدره و العلم و ما إلى ذلك من الصفات، و هنا نطرح هذا السؤال: ما الفرق بين أمير المؤمنين و الحسين عليهما السلام؟ فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام عالماً بواقعه كربلاء، فما الذى يدعونا للقول بعدم علم الإمام الحسين عليه السلام بها، بحيث يكون هناك فارق فى العلم بين الإمامين؟ و لعلّ هناك من يقول: أوّلاً: لقد نقل أمير المؤمنين عليه السلام هذه المقوله كروايه أو حكايه عن رسول الله صلى الله عليه و آله، فما الضير إلّا يكون الإمام الحسين عليه السلام قد سمعها من النبى صلى الله عليه و آله؟ ثانياً: لقد تطرّق أمير المؤمنين عليه السلام إجمالاً لهذه الحادته، و لعلّه لم يقف على تفاصيلها و لا- يعلم أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام. فنقول فى الجواب: أوّلاً: لم يتعرّض لها المؤلّف كروايه أو حكايه عن رسول الله صلى الله عليه و آله، بل اعتمدها المؤلّف كنقل آخر من قبيل كونها نبوءه لأمير المؤمنين عليه السلام فقط. ثانياً: يفيد ظاهر الكتاب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مطلعاً على تفاصيل الواقعة و أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام، و فى هذه الحاله يبقى سؤالنا قائماً: كيف نقول بالفارق بين إمامين مفترضى الطاعه فثبت لأحدهما من العلم ما ليس للآخر؟! النقطة الثانيه: من المسلّم لديك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إجمالاً فى معركه صفّين إلى هذه الواقعة و لم يصرّح بشىء بخصوص ولده الحسين عليه السلام، فى حين

أفادت المصادر و الروايات أنه صرّح باسم ولده الحسين عليه السلام و بحضوره، و قد وردت أغلب هذه الروايات فى كتاب البحار للعلامة المجلسى رضى الله عنه فى المجلد الأربع و الأربعين ص ٢٥٢ - ٢٦٦، و نكتفى هنا بذكر روايه واحده تدحض قضيه الإجمال: فقد قال العلامة المجلسى رضى الله عنه: «و روى فى بعض الكتب المعتبره عن لوط بن يحيى (١) عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام فى صفين و قد أخذ أبو أيوب الأعرور السلمى الماء و حرزه عن الناس، فشكا المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضى إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدى، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء، و بنى خيمته و حط فوارسه، و أتى إلى أبيه و أخبره، فبكى على عليه السلام، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين و هذا أول فتح ببركه الحسين عليه السلام؟

فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشاً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه و يحمحم...» (٢). و لعل المؤلف يقول: ليس هناك من منافاه بين هذه الروايه و ما ذكرته، فقد قلت بأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يتطرق إلى ذكر الحسين عليه السلام خلال مروره بأرض كربلاء متوجّهاً إلى صفين، و لعله صرّح بذلك حين المعركه، فأقول: لو سلّمنا ذلك، فالتصريح بالاسم خلال المعركه هل يبقى هنالك من مجال للإجمال، أو ليس التصريح موضعاً للإجمال؟

نتيجه الأدله:

كانت الأدله السابقه نماذج تثبت عدم إمكنه تصديق المؤلف لعلم

١- لوط بن يحيى هو أبو مخنف الذى يروى عنه الطبرى، و قد أدرك زمان الإمام الصادق عليه السلام.

٢- بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦ ح ٢٣.

الإمام عليه السلام بشهادته فى هذه الحادته، الأمر الذى دوّن من أجله الكتاب. و بالالتفات إلى ما أوردناه سابقاً فلعلّ هنالك من يقول بأحد الموضوعين التاليين:

الموضوع الأوّل:

لقد أُلّف كتاب شهيد جاويد بغضّ النظر عن علم الإمام عليه السلام بالشهاده فى هذه النهضه، و هو عباره عن دراسه دقيقه تثبت نهضه الإمام على أسس عقلائيّه و منطقيه من خلال المعادلات الطبيعیه.

الموضوع الثانى:

قد يُقال: و هل العلم بالشهاده فى هذه النهضه من ضروريات المذهب بحيث يدعو إنكاره إلى مثل هذه الضجّه؟ فما الضير ألا يكون الإمام عالماً بموضوع قد يكون من المسلّمات؟!

جواب الموضوع الأوّل:

- ١- إذا كان هناك انسجام بين الدراسه التى تناولها الكتاب و علم الإمام، و رأيتم أنّها ليست منسجمه فحسب، بل بالتوجه إلى ما ذكر من أنّ علم الإمام يمكن جمعه مع الحركه المنطقيه و العقلائيّه للإمام، فما الحاجه لصرف النظر هذا؟ فى الواقع يعتبر صرف النظر هذا اعترافاً صريحاً يتعدّر معه الجمع بين الكتاب و علم الإمام، و أنّ مضمون الكتاب قد دوّن على أساس عدم علم الإمام.
- ٢- يمكن افتراض موضوع «غضّ النظر عن العلم» من وجهه نظر المباحث العلميه و الدراسات العقليه السائده بين العلماء، أمّا من ناحيه الامّه فلا يمكن

قبوله؛ لأنّ الكتاب إنّما دوّن لغرض استفادتها، فليس للباطه أن تغضّ النظر عن علم الإمام و تدرس المباحث دون الأخذ بنظر الاعتبار ذلك العلم. ٣- أين ذكر الادّعاء بغضّ النظر عن علم الإمام بشهادته في النهضة من مباحث الكتاب أو مقدّمته، في حين لم ينس الكاتب الإشارة إلى المواضيع التي ليست بذات أهمّية، أو لا يستحق موضوع علم الإمام عليه السلام بشهادته في هذه النهضة و الذي تعتقد به الامّة الإسلاميه إذا غضّ الكتاب طرفه عن ذكره بحيث دوّن بما يتنافى و ذلك العلم من ذكر تلميح أو تصريح في أوّل صفحه من الكتاب؟ ٤- هل من فائده تُذكر لكتاب أسّيس بنيانه على فرض غير صحيح و مخالف للواقع؟ يمكن أن يُقال: إنّ فائدته كما ذكرنا في الصفحه السادسه هو دراسه النهضة الحسينيه على المستوى العالمى غير الشيعى إلى جانب نفعه لأهل الإيمان من خلاله اعتماده الموازين العقلايه. و الجواب: لو أذعنا لهذا الزعم، كان لا بدّ أن ينشر الكتاب بإحدى لغات العالم الحيه و يقتصر على العالم البعيد عن التشيع، و لا ينبغي أن يطّلع عليه العالم الشيعى فتجرح مشاعره، و للزم من ذلك أن يقول: إنّنا نقدّم هذا الكتاب للعالم غير الإسلامى، بدلاً من العبارة التي ذكرها في ص ٧: «إنّنا نقدّم هذا الكتاب إلى المجتمع الإسلامى و غير الإسلامى بصفته فرضيه تاريخيه حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام».

جواب الموضوع الثانى:

لا بأس هنا من الالتفات إلى بعض المواضيع المهمّه و إن تعرّضنا لشرحها آنفاً: (١) هل يقتصر علم الأئمّه الأطهار عليهم السلام على أحكام الإسلام و تعاليم الدين و قوانين الشرع بالاستناد إلى الاجتهاد فى القرآن الكريم و سنّه النبى صلى الله عليه و آله، أم أنّهم

مفسِّرون للقرآن و لهم معرفه تامه بالغيب و أسرار و بطون القرآن و الأحكام و السنه النبويه؟ (٢) هل الإمام عالم بالموضوعات و تفاصيلها أم لا؟ و الاعتقاد بهذا الأمر جزء من ضروريات المذهب أم لا؟ و هل الموضوعات على درجه واحده، أم هنالك فوارق بينها؟ (٣) إذا افترضنا عدم علم الإمام بالموضوعات، و لم يكن الاعتقاد بهذا الأمر من ضروريات الدين، فهل الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً بوقائع حادثه كربلاء فى نهضته أم لا؟ هذه أسئله يبدو أنّ دراستها و تحقيقها فى غايه الأهميه، و أهمها هو السؤال الثالث الذى يجب دراسته حتّى تنكشف حقيقه الأمر و يزال الالتباس عن ذهنيه الامه المسلمه المناصره لرساله الإمام و إبعاد الشبهات عن نهضه سيد الشهداء عليه السلام، التى - لا- سمح الله - ستؤدى إلى التقليل من أهميه مقام الولاية. و إليك جواب السؤال الثالث:

جواب السؤال الثالث:

أولاً: إذا افترضنا جدلاً بعدم علم الأئمه الأطهار عليهم السلام بالحوادث و الموضوعات، و قلنا من وجهه نظر المباني الدينيه: إنّ الاعتقاد به ليس ضرورياً، و لكن لا- يمكن هنا إنكار حقيقه، و هى أنّه لا يمكن إخضاع كافه الموضوعات لمقياس واحد، فإذا افترضنا أنّ الإمام لا يعلم اسم الشخص الفلانى، أو أين تقع الأرض الفلانيه، أو وجود الكهرباء، فهذه الامور لا تمتّ بصله من قريب أو بعيد إلى أساس الإسلام و مصير الامه الإسلاميه. و لكن هل لنا أن نفترض عدم علم الإمام بالموضوعات التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسعاده المسلمين و حياتهم و تؤثر

مباشره على المسيره الإسلاميه؟ و هل يمكننا القول بصراحه بأنه لا يجب أن يحيط الإمام عليه السلام علماً بمثل هذه الامور؟ بالاستناد إلى هذا التفكيك في الموضوعات، يبدو من الواضح ضروره الاعتقاد من وجهه نظر الدين بأن مثل هذه الحوادث ليست بخافيه على الإمام عليه السلام و إنما تعرّض كيان الإسلام إلى خطر السقوط و الزوال، و عليه: فلا- يمكن إصدار نفس الحكم بشأن كآفه الموضوعات. فإن قلنا أيضاً بعدم امتلاكنا للدليل على علم الإمام بهذه الحوادث و تشخيصه لها، فإننا لا بدّ أن نعتقد بأن إمكان خطأ الإمام في تشخيصه لمثل هذه الحوادث من شأنه أن يسدّد بعض الضربات الموجهه إلى الإسلام و المسلمين، فهل تجب طاعه و اتّباع مثل هذا الإمام؟ أولا تنصرف الآيه أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) إلى شىء آخر؟ أو لا تجب طاعه اولى الأمر في الحوادث؟ هل تجب الطاعه للولى الذى يجوز عليه الخطأ؟ و الآن نسأل هذا السؤال: واقعه كربلاء مصداق لأتى من الحوادث و الموضوعات المذكوره آنفاً؟ هل هذه الوقعه المأساويه أمر جزئى لا- مساس له بالإسلام و العالم الإسلامى؟ و هل كانت مصادمه عاديه بين زعيم صالح و زعيم جبار؟ أم أنّها كانت حادثه جوهرية ذات تأثير بالغ على مصير الإسلام؟ الجواب واضح تماماً، فلا شكّ أنّ حادثه كربلاء كانت حادثه بالغه الخطوره على الإسلام و المسلمين، و على ضوء ما أوردناه فإنّ علم الإمام عليه السلام بهذه الحادثه يبدو منطقياً تماماً، كيف ينسب الجهل إلى الإمام و أنّه ورد ميداناً لم يتكهّن به حتّى سبّب ذلك ضرراً على الإسلام حسب رأى البعض! و كيف يحمل يزيد و زر تلك الاضرار و الخسائر؟! و كيف تجب طاعه الإمام في هذه الحركه التى لم يكن

يعلم بعاقبتها؟! يرى المؤلف أنّ الإمام لم يكن على علم بعاقبه تلك الأمور! ثمّ هذا حذو الطبرى فى أنّه لو سُئِل: أين نذهب؟ أين سننزل؟ ما عاقبه هذا الأمر؟ لما أجابهم إلّا بالقول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الأمور». كما يرى المؤلف أنّ عاقبه الأمر لم تكن سوى تلك الخساره العظيمه التى سدّدها يزيد الفاسق إلى الإسلام و المسلمين. إذن، فهو يعتقد بأنّ الإمام قد ارتكب عملاً لا- عن علم انطوى على تلك النتيجة الخاسره، إلّا أن الخساره يتحمّلها يزيد و هو المسئول عنها! و على هذا فإنّ الأفراد الذين تخلّفوا عن الركب و على ضوء ذلك المصير معذورون فى تركهم الإمام! هل هنالك من مسئوليّه تقع على عبيد الله بن الحرّ الجعفى! طبعاً ليس أمامنا من سبيل سوى الإذعان باطلاع الإمام عليه السلام و علمه بكافه تفاصيل الحوادث.

طريق مغلق!؟!

لعلّ هنالك من يسألنا: لم تحشرون أنفسكم فى طريق مسدود، فأنتم تقولون بأنّ الإمام عليه السلام كان عالماً بعاقبه النهضه، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يلقى بنفسه فى تلك التهلكه المميتة؟ كيف أقدم الإمام على تلك الحادثه و لم يترىث رغم إضرارها بالإسلام و المسلمين؟ لِمَ لَمْ يستجب لنصائح ابن عباس و محمّد بن الحنفية؟ و لِمَ لَمْ يتمكن من التقى الإمام فى مسيره عن تنى الإمام عن عزمه؟ فنقول فى الجواب: أوّلماً: أنّ حادثه كربلاء ليس فقط لم تضرّ بالإسلام و المسلمين، بل - سنثبت فى الفصل القادم إن شاء الله - أنّ هذه الحادثه كانت الخطوه الاولى لاستعادة الإسلام حيويّته، كما كانت الضربه الموجهه التى و جهت لحكومته يزيد الغاشمه.

و عليه: فالنهضة الحسينية كانت اللبنة الأساس لإقامه الحياه الإنسانية القائمه على أساس مفردات العزّه و الكرامه و الشجاعه و رفعه الإسلام و المسلمین. و من هنا فإنّ طاعه الإمام عليه السلام واجبه على كلّ مسلم و إنسان حرّ غيور، و التخلّف عنه و عدم الالتحاق به يعدّ أسوأ أنواع إلقاء النفس فى التهلكه و القضاء على كيان الإسلام و المسلمین، و الموت معه هو الموت من أجل العدل و الحریه و الإسلام و القرآن و التوحيد. فحركة الحسين عليه السلام أنصع صفحه ذهبیه فى التاريخ علّمت الناس دروس التضحيه و الكفاح، و فضحت أساليب الأعداء و ما يضمرون من شرّ و عدوان للإسلام، و لذلك فإنّ عزمه الذى يستند فيه إلى المصلحه الإسلامیه التى رسمها له الحقّ و النبىّ و أمير المؤمنین لم يكن ليضعف لأقوال ابن عباس و أمثاله، فهؤلاء لا يعلمون خطوره وظيفه الحسين عليه السلام؟ أمّا الإمام عليه السلام فقد كان يعلم أين يتّجه و ما ذا سيحدث. ثانياً: هناك بعض الأسناد و الوثائق التاريخيه التى استدلّ بها المؤلّف، و نذكرها بأجمعها: (١) لقد نقل الطبرى فى تاريخه عن أبى مخنف لقاء الإمام لزهير بن القين و قال:

«قال زهير لصحبه حين رجع من عند الإمام: مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي، وَ إِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ. إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا: غَزَوْنَا بَلَنْجَرَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ أَصَبْنَا غَنَائِمًا، فَقَالَ لَنَا سَلْمَانُ الْبَاهَلِيُّ: أَوْفَرِحْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ لَنَا: إِذَا أَدْرَكْتُمْ شَبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَسْتُوذِعُكُمْ اللَّهَ، قَالَ: ثُمَّ وَاللَّهِ مَا زَالَ فِي أَوَّلِ الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ» (١). إنّ هذا النقل من الطبرى جدير بالتأمل، فهو موثوق تماماً من حيث السند؛

لأنه يروى عن أبي مخنف الذى يرى البعض أنه يأبى الخدش و الطعن، و زهير هو ذلك الرجل الذى كان يتحاشى لقاء الإمام حين رجع من مكّه بعد أن أدّى مراسم الحجّ، إلّا أنّه التقى الإمام صدفة، كان زهير يأبى لقاء الإمام و الالتحاق بركبه، فما الذى سمعه خلال ذلك اللقاء؟ و ما ذا رأى؟ حتّى يعود إلى خيمته و يودّع صحبه، أو لم يكن يدرك بأنّه سيرد ميداناً يحصل فيه على الشهاده؟ أ لم يذكره الإمام عليه السلام بتلك القصّه و يبيّن له حقيقه الأمر؟ أ فقال له الإمام عليه السلام: إذا وقفت إلى جانبى فإنى لأرجو أن أنتصر و أستولى على الكوفه و ستصبح من أعيانها و أشرفها فى الحكومه؟ لو كان هذا ما قاله الإمام لزهير لما ودّع قومه و قال: إنّه آخر العهد، فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد أخبره بواقع الأمر. إذن، فالإمام كان عالماً بعواقب الأمور و قد أخبر بها زهير و وعده بالشهاده، و هذا هو الأمر الوحيد الذى من شأنه تفسير حديث زهير، و لم يكتف الرجل بهذا المقدار، بل تطرّق إلى معركه بلنجر و حديث سلمان، و عليه: فسلمان كان يعلم بهذه الحادته أيضاً، سلمان الفارسى (١) الذى تربّى على يد رسول الله صلى الله عليه و آله. و لا- اريد أن أقول بأنّ سلمان كان على علم بكلّ تفاصيل الحادته، إلّا أنّه كان على يقين بتلك الواقعه المريره على الحسين عليه السلام، و كان يعلم أنّ زهيراً أيضاً سيشارك فيها، و كان زهير أيضاً على يقين بأنّ المراد بالحديث كربلاء و شهادته هناك. فهل ما زال الإمام يفكّر بتحقيق النصر و القضاء على الحكومه الظاهريه ليزيد و تسلّم مقاليد الحكم؟ فسلمان كان يعلم بتلك الحادته التى سيحصل فيها زهير على الشهاده دفاعاً عن إمام الإسلام و المسلمين، بينما ليس للحسين عليه السلام مثل هذا العلم و تفاصيل الحركه مجهوله بالنسبه له، و ليس لديه ما يقوله سوى: «لا ندرى على ما تنصّرف بنا و بهم الامور».

١- ذكر ابن الأثير فى الكامل ٤: ٤٢ أنّه سلمان الفارسى، و كذا المفيد فى الإرشاد ٢: ٧٣ و غيرهما.

٢- نقل ابن الأثير في الكامل حادثتين، و سنورد عباراته ثم نناقشها، فقد قال: «فلما أتى الحسين خبر قتل أخيه من الرضا - في منزل زباله - و مسلم بن عقيل - في منزل الثعلبية - أعلم الناس ذلك و قال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام، فتفرّقوا يميناً و شمالاً حتّى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من مكّه، و إنّما فعل ذلك لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه يأتى بلداً قد استقامت له طاعه أهله فأراد أن يعلموا علامّ يقدمون. ثمّ سار حتّى نزل بطن العقبه، فلقبه رجل من العرب فقال له: أنشدك الله لما انصرفت، فو الله ما تقدم إلّا على الأسنّه و حدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مئونه القتال و طئوا لك الأشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التى تذكر، فلا أرى أن تفعل، فقال: إنّه لا يخفى علىّ ما ذكرت، و لكنّ الله - عزّ و جلّ - لا يغلب على أمره، ثمّ ارتحل منها» (١). فالذى نخلص إليه هو أنّ الإمام عليه السلام لم يشعر بأى تردّد حين أخبر بقتل رسوله مسلم بن عقيل و لم تضعف إرادته، ثمّ يواصل مسيرته رغم تصريحه بعدم وجود جيش لنصرته فى الكوفه و أنّ أشياعه لم يفوا بعهودهم، فهل يفهم من كلامه عليه السلام:

«خذلنا شيعتنا» أنّ البعض قد تخلّى عن نصرتنا؟ أم قصده زال مركز ثقلنا و لم نعد نمتلك القوّه الشعبيه المواليه هناك؟ و ما إن سمع البعض مقاله الإمام حتّى تفرّقوا يميناً و شمالاً، فهل بقى من أمل بالنصر فلم تقطع الصله لحدّ الآن بين القيادة و الجيش؟

أ فلا يعنى رفع البيعه و التخيير بالبقاء و الانسحاب أنّ باب النصر قد أُغلق؟ فلمّ واصل الإمام حركته و لم يتردّد حتّى بلغ كربلاء! لمّ رجع من التحق به فى الطريق ممّن يبحثون عن الطعام الدسم، بينما واكبه من انطلق معه من مكّه ممّن سمع خطبته

«حُطَّ الموت ...» (١) وقد أُحيطوا علماً بالحوادث و الوقائع التي لم تزيدهم سوى قوّه و صلابه؟ أ و لا يعنى انصراف ذلك النفر استحاله النصر و بقاء أولئك الأصحاب لعلمهم منذ البدايه بتلك الحادثه المرّوعه؟ ثم أخذت الأخبار المحزنه تتقاطر عليهم، حتّى إذا بلغوا العقبه، انبرى لهم ذلك الرجل العربى البليغ الذى صوّر للإمام أوضاع الكوفه «أنشدك الله لما انصرفت فو الله ما تقدم إلّا على الأسنّه و حدّ السيوف ...» إلّا أنّ هذا الكلام المنطقى لم يكن له أدنى أثر على إرادته الإمام حتى قال: «و لكن الله عزّ و جلّ لا- يغلب على أمره»، أى هناك وظيفه لا بدّ أن أقوم بها و ليس لى من إرادته مقابل إرادته الله، فهل ما زال الإمام عليه السلام لا يعلم عواقب الامور راجياً النصر و تشكيل الحكومه الإسلاميه فيواصل مسيرته، أم كان هناك شىء آخر يدفع الحسين عليه السلام؟ لقد ردّ الإمام عليه السلام على ذلك الرجل: أنّه لا يخفى علينا ما ذكرت إلّا أن طريقنا لا يعرف الرجوع، و ليس لى سوى التسليم للحقّ، فالله لا- يغلب على أمره. فهناك رساله مُلقاه على عاتقى و لا بدّ لى من النهوض بها، أولم يتحدّث الإمام عن مشيئه الله؟ أفلم يكن عالماً بشهادته؟ الشهاده التي أرادها الله لحسين عليه السلام فتقبلها بقبول حسن. نعم، لم يكن هناك من شىء خافياً على الحسين عليه السلام، و لم يكن هناك من عامل يمكنه أن يثنى الإمام عن عزمه، حيث نراه يحثّ الخطى بعد ذلك الحوار ليوصل مسيرته و يقوم بوظيفته. ٣- أورد ابن الأثير فى الكامل قصّه الأفراد الأربعة الذين أتوا الإمام عليه السلام من الكوفه و التقوه فى «عذيب الهجانات» فقال بعد أن ذكر التفاصيل: «فقال لهم الحسين: أخبرونى خبر الناس خلفكم، فقال له مجمع بن عبد الله العائدى و هو

أحدهم: أمياً أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم، و ملئت غرائره فهم ألبُّ واحد عليك، و أمياً سائر الناس فإن قلوبهم تهوى إليك و سيوفهم غداً مشهوره عليك، و سألهم عن رسوله قيس بن مُسهر، فأخبروه بقتله و ما كان منه، فترقرقت عيناه بالدموع و لم يملك دمعته، ثم قرأ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (١)، اللهم اجعل لنا و لهم الجنّة، و اجمع بيننا و بينهم في مستقر رحمتك و غائب مذخور ثوابك» (٢). فالذي نخلص إليه من هذا الحوار و استشهاد الإمام عليه السلام بالآية، هو أنّ الإمام أشار إلى هدفه في إحقاق الحقّ و إجابته دعوه أهل الكوفة، فقد كان أوّل سؤال سأله أولئك الأفراد هو خبر أهل الكوفة و حالتهم الروحية، هل هم متأهبون لدخولنا؟ إلّا أنّ إجابتهم كانت مثبّطه، فقد وقفت الآلاف التي بعثت لك برسائلها إلى جانب العدو، فالأشرف قد أعظمت رشوتهم، أمّا الضّعفاء فهم متعطّشون لبسط العدل و القسط، و لكن ليس لديهم القدره على اتّخاذ القرار في المجتمعات الفاسده، فالضعف المالىّ و الحرمان و ضعف الإراده تجعلهم خاضعين لإرادته الدوله، فهم مع الإمام قلباً و ضدّه سيفاً، فإذا قلنا: ما زال الإمام حتّى في ظلّ هذه الظروف يأمل بتحقيق النصر، لا نرى أى منطق و عقل يوافقنا على ذلك، مع ذلك لم تتزلزل إرادته الإمام عليه السلام و لم ينثن عن عزمه و مواصلة مسيرته. و من هنا يعلم بأنّ هناك هدفاً أسمى يسعى الإمام إلى تحقيقه، فالإمام عليه السلام لم يقترح على الحرّ الرياحى الرجوع و الانصراف، في حين لم يكن الحرّ يعلم بهدف الإمام، و أولئك القادمون من الكوفة كانوا يظنون أيضاً بأنّ الحسين عليه السلام إنّما يروم السيطرة على الكوفة، و لذلك أشاروا عليه بالانصراف، بينما كان الإمام عالماً بما

١- سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

٢- الكامل لابن الأثير ٤: ٤٩ - ٥٠.

أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه وأهل البيت عليهم السلام ولذالك حين يخبر بشهادته قيس يتلو فمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. فمِنْشَأُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ وَ تَلَاوَهُ الْآيَةِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ غَرَضِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِسْقَاطِ حُكُومِهِ الْجَوْرِ وَ الظُّلْمِ وَ إِعْلَامِ الْعَالَمِ بِأَنَّنا نريد تطبيق القرآن و أحكام الإسلام، و لذالك عزمنا على الإطاحة بهذه الزعامه الفاسقه، فإن قتلنا فذنبنا هو أننا نريد إعلاء كلمه الله. و إنّنا لعالمون بأننا لا- نتمكّن من تحقيق أهدافنا سوى بالقتال و الشهاده، فقد سأل أربعة أفراد من أهل الخبره- أجوبتهم تدلّ على أنّهم من أهل الخبره- ليدلّوا بشهادتهم على عدم استعداد أهل الكوفه و جيشها لمواكبه مسيره الإمام فلا من عدد و لا عدّه، و بالنتيجه لتعلم الدنيا بأنّ الحسين عليه السلام لبيّ دعوه الامه، فى حين لم تصمد الامه و تمارس وظيفتها و هو فقط الذى واصل مسيرته حتّى الشهاده، و ما زال هدفه لم يتحقّق إلّا بالشهاده التى أخبرها به جدّه و أبوه. إذن، فالدافع من السؤال عن أهل الكوفه إقرار خبراء الاجتماع بالأوضاع الاجتماعيه التى يعيشها أولئك الناس و استماتتهم فى الدفاع عن حكومه يزيد حتّى لا تصدر محكمه التأريخ أحكامها جزافاً، و تعلم بأنّ هنالك علّه لم تدع الإمام ينصرف عن مواصلة حركته، العله التى لا- يعرفها الناس بينما يعلمها الإمام، و التى يكشف السؤال عن قيس و تلاوه الآيه سرّها فى عدم تسليم الإمام و الانسحاب من الميدان و القتال حتى الشهاده، و ما إن يتلو الإمام الآيه حتّى يبتهل «اللهم اجعل لنا و لهم الجنّه». ٤- جاء فى الإرشاد للمفيد: «روى سالم بن أبى حفصه قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنّى أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء و لكنّهم حلماء، أما إنّهم تقرّ عيني أأأ تأكل من برّ

العراق بعدى إلّا قليلاً» (١). فالفصّه مثيره حقّاً، كيف أخبر هؤلاء الناس بقضيه عمر بن سعد؟ لِمَ طُرح ابن سعد كقاتل للإمام الحسين؟ كان سلوك عمر يوحى بصلاحي ظاهره، فلم يكن آنذاك ما يشير إلى اقترافه هذه الجريمة البشعه، فكيف اتفق الناس على أنه قاتل الحسين؟ فهل ذلك سوى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لأبيه سعد بن أبي وقاص؟

و كانت مقاله على درجه من الجزم بحيث كان الجميع يناديه بقاتل الحسين حين يروه في الأزقه و الأسواق، حقّاً ليس هناك شىء آخر، فسيأتى اليوم الذى يرتكب فيه هذا الفرد- الذى لا يفارق زيفاً الجماعه- تلك الجريمة و يسود وجه التاريخ. أمّا عمر بن سعد فقد كان مطمئناً لنفسه بحيث يهزأ بكلّ من يتفوّه بذلك الكلام، و لا يراه إلّا سفيه خفيف العقل، حتّى ظنّ بأنّ اللغظ قد كثر و أنّه لم يطق التحمّل فيحدّث الإمام عليه السلام بذلك الحديث: «إنّ قبلنا ناساً سفهاء» كيف لى أن أكون قاتلاً؟ و لم أقارف أى جرم لحدّ الآن! فهل هذا إلّا منطق السفه و السخف؟ أمّا الإمام عليه السلام فردّ عليه قائلاً: «هؤلاء ليسوا سفهاء بل حلما»، يعلمون قاتل إمامهم، و يرون تلطّخ يدك بدمى. هذا هو الحوار بين الإمام الحسين عليه السلام و عمر بن سعد منذ زمان بعيد عن الطف، فالإمام يصدّق ما قالوه، و يفهم قاتله بأنّه عالم بما ستؤول إليه الأحداث، و لو كانت الامّه تعلم هذه الامور على نحو الإجمال فإنّ الحسين عليه السلام محيط بالتفاصيل، فيخبره بما ينتظره. فالعراق مذبحي و ميدان صولتك. و ستقدم على قتلى طمعاً بدنيا الرىّ إلّا أنّك لا تبلغ ما ترجو. إنّك لن تعمّر بعدى و ستدخل النار بقتلى. و لك أن ترى- عزيزى القارئ- ما أورده مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» و له

نفسه أن يراه، هذا الحوار بين الحسين و عمر بن سعد، فقد كان عليه السلام عالماً بتفاصيل واقعه كربلاء، فالأمة كانت تعلم بأنّ الحسين عليه السلام يقتل في المعركة و قاتله عمر بن سعد، أمّا الحسين عليه السلام فقد كان يعلم دافع عمر بن سعد من قتله، كما كان يعلم بأنّ ابن سعد سوف لن يظفر ببغيته، فهل يمكن بعد هذا أن تزعم بأنّ الإمام لم يكن يعلم بتلك الحادثة؟ أو أنّه يعلم بشهادته و لكن ليس في هذه النهضة؟ فكلّ هذه الأسرار عرضها الحسين لعمر بن سعد ثمّ قال بأنّه لم يكن يعلم، حتّى حين اقترب من كربلاء بحيث لو سُئل: أين نذهب، و ما ذا سيحصل، و أين سننزل و ما العاقبه؟

لأجاب: «لا ندري على ما تتصرّف بنا و بهم الامور؟!» أو نقول: احتمال الأصحاب أخيراً حين وردوا كربلاء أنّ المعنى بقول أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المقتول من أهل البيت بكربلاء هو الحسين عليه السلام».

٥- خطبه «خط الموت...»

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه، و ما أولهني إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، و خيّر لي مصرع أنا لاقية، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً و أجره سغبا، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، و يوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعه له في حظيره القدس، تقرّبهم عينه و ينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته و موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحل مصباحاً إن شاء الله»^(١). أ فلا تفيد هذه العبارة «كأني بأوصالي...» التي أوردها الإمام في

١- الملهوف لابن طاوس: ١٢٦، مشير الأحزان: ٤١، كشف الغمّة ٢: ٢٩، و عنها بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦-٣٦٧.

مكّه - حسب ما نقل في اللهوف - علم الإمام بمصيره؟ و إضافه إلى ذلك، ألا تكشف عن مكان مصرعه و شهادته؟ قد يُقال بأنّ الإمام إنّما أورد هذه الخطبه في يوم عاشوراء حين أصبحت شهادته حتميه، لا أنّه أورها في مكّه فنقول: لعلّ الإمام عليه السلام أورد خطبتين: أحدهما حسب نقل اللهوف في مكّه، و الاخرى حسب مقتل الخوارزمي (١) في كربلاء، و لعلّ الاختلاف في المضمون يؤيد ما ذهبنا إليه، و كما ترد نفس المضامين و الألفاظ مع قليل من التغيير في القرآن و نهج البلاغه؛ فإنّ هذا الأمر يفيد مقصوداً آخر يختلف عن السابق، و لعلّ خطبه الإمام عليه السلام تكررت من أجل إفاده مقصد خاص، كما يمكننا القول بأنّ الخطبه واحده و قد أوردت في مكّه، و هنالك عدّه امور للترجيح منها: (١) تصريح صاحب اللهوف بإيراد الخطبه في مكّه، بينما لا يصرح الخوارزمي بإيرادها في عاشوراء، بل أورها ضمن أحداث عاشوراء. (٢) ما المرجح لنقل الخوارزمي على نقل اللهوف، بحيث يميل المؤلف إلى صدورها في عاشوراء؟ بل الترجيح للهوف حيث نقل المحقق الجليل و الفقيه الكبير و المحدّث الشامخ المرحوم الحاج الميرزا محمّد أرباب الإشراق في كتابه القيم «الأربعين الحسينيه» أنّ هذه الخطبه قد رويت عن عدد كثير من علماء الإماميه و منهم السيد بن طاوس في كتاب اللهوف و الشيخ جعفر بن محمّد المعروف بابن نما و الشيخ على بن عيسى في كتاب كشف الغمّه، و قد صرح الجميع بأنّ الإمام عليه السلام هذه الخطبه حين عزم على الخروج من مكّه إلى العراق.

١- «أيّها الناس خطّ الموت على بني آدم كمخطّ القلاده على جيد الفتاه، و ما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف؛ و إنّ لي مصرعاً أنا لاقيه كأنّي أنظر إلى أوصالي تقطّعها و حوش الفلوات غرباً و عفراً، قد ملأت منّي أكراشها، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ليوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله لحمته و عترته، و لن تفارقه أعضاءه، و هي مجموع له في حظيره القدس تقرّ بها عينه، و تنجز له فيه عدته. (مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٨).

٣- يحكم الذوق السليم و المعرفه بالفصاحه العربيه بأنّ عباره اللهوف أفصح و أقدم من عباره الخوارزمي، فإسنادها إلى الإمام أنسب، كما أنّ ابن طاوس صرّح بأنّ الخطبه قد وردت في مكّه، و لا- يسع المؤلّف إلّا أن يقول بأنّ العباره التي وردت في اللهوف «فإنّي راحل مصباحاً» دليل على أنّ الخطبه أو البعض منها «من كان باذلاً مهجته»- التي وردت في اللهوف و لم ترد في الخوارزمي- لم ترد في مكّه، و ذلك لأنّ حرکه الإمام عليه السلام كانت عند زوال يوم الترويه لا صباحاً، إضافة إلى أنّ الحرکه لم تقرّر قبل ليله، بل بحكم الجبر و الاضطرار فإنّ الإمام عزم على الحرکه فجأه، و لم تكن هناك من وقفه بين العزم و الحرکه. و نقول في الجواب: ليس هناك من منافاه بين الحرکه عند الزوال و كلمه «مصباحاً»؛ لأنّ هذه الكلمه كثيره الاستعمال بمعنى «غداً» و من أين يعلم أنّ الإمام عليه السلام لم يعزم على الحرکه عند ما رأى نفسه مضطراً؟ بل كان الإمام مستعداً للإتيان بمناسك الحجّ و التوجّه إلى عرفه، و لم يكن هنالك أيّ قرار مسبق بالحرکه إلى العراق قبل زوال يوم الترويه، لقد نقلت أنت هذا الموضوع من إرشاد المفيد و الطبري، و الحال أنّه: أوّلًا: في قبال المفيد قدس سره و الطبري هناك عدد كبير من العلماء و الفضلاء- ممّن ذكرناهم سابقاً- صرّحوا بأنّ العزم على الحرکه كان منذ الليله التي سبقتها، و ليس هنالك ما يدعونا لاعتماد نقل المفيد و إهمال نقل اللهوف و سائر المشاهير. ثانيًا: ما يفيد الإرشاد و تأريخ الطبري أنّ حرکه الإمام كانت عند زوال يوم الترويه بعد الخروج من الإحرام، و ليس هنالك من تعرّض إلى وقت العزم على الحرکه و زمان الخروج من مكّه، بل نقل الطبري عن أبي مخنف أنّ حسيناً لمّا أجمع المسير إلى الكوفه أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عمّ، أشيع بين الناس أنّك ذاهب إلى العراق؟ فأجابه عليه السلام: لقد عزمتم على المسير منذ اليوم أو يومين إن شاء

اللَّهِ. فتكلّم ابن عباس عن هذا الأمر و انصرف، ثم عاد إليه عند الليل أو الغد و أبدى له نصائحه بالانصراف عن هذا السفر(١). أ
 و لا تصرّح هذه القصّه- التي نقلها الطبرى عن أبى مخنف- بأنّ العزم على الحركة كان قبل يوم أو يومين؟ فلما ذا نقول: كانت
 الحركة مفاجأه و قد دفعه الاضطراب إلى ذلك، حيث كان قصده الأساسى الإتيان بمناسك الحجّ، و عليه: يمكن الجمع بين إيراد
 الخطبه فى الليل مع الحركة صباحاً و العزم عليها، و هذا ما حصل فى الواقع، و ذلك لأنّه عزم على الحركة فى الليل و أورد
 الخطبه. سؤال: إذا كان الإمام عليه السلام عازماً على الحركة قبل يوم أو يومين و كان يعلم أنّه لا يتوقّف فى مكّه حتّى إتمام
 مناسك الحجّ، فلمّ أحرم للحجّ و اتّجه إلى عرفه؟ جوابه: أنّ عمل الإمام عليه السلام هذا يستند إلى مصلحه، و رغم أنّه قرّر
 الحركة و كان يعلم بعدم أدائه لكافّه أعمال الحجّ، كان من الضرورى أن يحرم للحجّ و ينضمّ إلى الجماعه الإسلاميه فى تلك
 المراسم، ثمّ يبذل إحرام الحجّ عمره ليعلم الناس أن ليس هنالك من حصانه له فى ظلّ هذه الحكومه الغاشمه، و ليس له أمن
 فى الحرم الآمن الذى تؤمن فيه الحيوانات، و هكذا يكشف الإمام عليه السلام عن بعض خطط هذه الحكومه و مؤامراتها و التى
 تهدف إلى إحياء العهد الجاهلى، و لتعلم الأجيال الإسلاميه القادمه بسلب أمن الحرم من قبل هذه الحكومه، و أنّها لم تمهله
 حتّى لأداء مناسك الحجّ. أضف إلى ذلك أنّه ليس من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام أحرم للحجّ،

بل يستفاد من رواياتنا و كذلك تأريخ الطبري (١) أنه أحرم للعمرة، و لم يكن قد عزم على الحج منذ البدايه. أجل، فإن هذا الكلام يفيد عدم التردد في خطبه «خط الموت ...» حسب نقل اللهوف.

المؤلف و الإقرار بالعلم:

نفترض - مماشاه للمؤلف - أن هناك تقطيعاً في الخطبه و أن الإمام عليه السلام لم يورد «من كان باذلاً فينا مهجته» في مكّه، إلّا أنه يتفق معنا في أن هذه العبارة «و كأتى بأوصالي ...» قد أوردها في مكّه، و هنا نسأل المؤلف: أو لا تدلّ هذه العبارة على شهاده الإمام في هذه الحركة؟ أو لا تكشف أيضاً عن موضع الشهاده؟ هل هناك

١ - ١ - جاء في كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣١٠ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن رجل خرج في أشهر الحج معتمراً ثم خرج إلى بلاده، قال: لا بأس، و إن حج من عامه ذلك و أفرد الحج فليس عليه دم، و إن الحسين بن عليّ عليهما السلام خرج يوم الترويه إلى العراق و كان معتمراً. ٢ - و عنه، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من أين افترق المتمتع و المعتمر؟ فقال: إن المتمتع مرتبط بالحج، و المعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء و قد اعتمر الحسين عليه السلام في ذي الحجة ثم راح يوم الترويه إلى العراق و الناس يروحون إلى منى، و لا بأس بالعمرة في ذي الحجة لمن لا يريد الحج. ٣ - في تاريخ الطبري ٤: ٢٨٩ أنه و روى أبو مخنف أن الحسين عليه السلام طاف عند الظهر بالبيت و بين الصفا و المروه و قصّ من شعره و حلّ من عمرته، ثم توجه نحو الكوفه. نعم، يشم من عباره المفيد في الإرشاد ٢: ٦٧، أن الحسين عليه السلام أحرم للحج ثم أبدلها للعمرة، و لكن لا اعتبار لهذه الروايه أمام الروايات المذكوره، فإحرام الإمام عليه السلام كان للعمرة و لم يبدأ بمناسك الحج، و قد حصل مراد الإمام عليه السلام، لأن عدم الاشتراك في مراسم الحج لمن أقام أشهراً في مكّه و لا تستغرق المناسك سوى بضعة أيام يفيد إبرازه لموقفه حيال الجهاز الحاكم و فضح سياسه يزيد القائمه على أساس انتهاك الحرمات و سلب الحرم الإلهي أمنه، فأفهم عليه السلام الامه أن يزيد و بدلاً من إحياء شعائر الله و تعظيمها يهدف ترويع ابن رسول الله صلى الله عليه و آله في مركز التوحيد لا لذنب سوى أتباعه للحقّ و القرآن.

من معنى لأن يقول الإمام في عاشوراء: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء؟!» أو ليست العبارة تكهن و نبوءه عن أمر خفي سيحدث قريباً بين النواويس و كربلاء؟ و هنا نسأل: أو لا- تدلّ هذه العبارة على علم الإمام عليه السلام؟ لو كانت هذه الحادثة ستقع بعد عشر سنوات فهل يصحّ من الإمام أن يطلق الآن في حركته عبارة «كأني بأوصالي...»؟ بل هل يعقل إطلاق مثل هذه العبارة في هذا الوقت؟ إذا كان الأمر كذلك فإنّ لسان حال الإمام هو أنني سأتجه إلى الكوفة من أجل الإطاحة بحكومه يزيد، و لا أدري هل سأحقّق هذا الهدف أم لا؟، إلّا أنني أرجو النصر، أيها الناس- الذين تهبّون لنصرتي- اعلّموا بأنّي سأقتل بعد عشر سنوات في كربلاء. نحن لا يسعنا أن نتأمل خطبه الإمام عليه السلام بهذا الشكل، فكيف تقيم أنت الخطبه؟ على كلّ حال؛ فإنّ خطبه «حُطّ الموت...» قد أوردت في مكّه، و قد صرّحت بذلك روايه اللهوف الموثوقه، و أنّ الإمام قد قال في مكّه: «و كأني بأوصالي...» التي تفيد علم الإمام التامّ بحادثه كربلاء، و السلام على من اتّبع الهدى. ٦- قال المفيد في الإرشاد: «روى سفيان بن عيينه، عن عليّ بن يزيد، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً و لا- ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريا و قتله، و قال يوماً: و من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بني إسرائيل»(١). فالروايه تكشف عن حراره مستعره داخل الإمام قد ملأت قلبه الشريف حزناً و ألماً حين يصوّر قتل يحيى، كما ألّمت هذه الكلمات قلب ولده علي بن

الحسين. كان الإمام عالماً بمصيره ناعياً نفسه في هذه الحركة، و لكن كيف له بالتصريح علناً و على بن الحسين و زينب الكبرى يسمعان ما يقول؟ و ما عساه أن يفعل و الحادثه وشيكه الوقوع. فالإمام عليه السلام يرى ميدان كربلاء و قد أحاط به جيش عبيد الله بن زياد و هم متعطشون للارتواء من دمه الطاهر، كما يرى سهام الغدر التي ستصوب إلى نحر ولده الرضيع و سائر الفتية الذين يضرّجون عمّا قريب بدمائهم، بل يرى حوافر الخيل التي ترضّ صدره ثم يحزّ رأسه و يُهدى من العراق إلى الشام إلى باغ من بُغاه بنى اميه. ليت شعري ما ذا عسى الإمام أن يفعل، فإن أَمَا اللثام و صوّر الأحداث تعالت الأصوات بالنعيب و البكاء الذي يرقّ له قلبه، و إن فضل السكوت فلا مناص من حركه تلك القافله التي ستواجه تلك الأحداث المرّوعه دون أن تكون قد تصوّرتها و تأهّبت لها، و لم يكن من اسلوب يمكن أتباعه بهذا الشأن سوى ذلك الذي اعتمده الإمام، فلم يكن أن تسير القافله غافله عمّا سيواجهها، لا بدّ من لفت انتباه القافله لتلك الأحداث ليستعدّ البعض للقتال الذي تطيح دونه الرءوس، كما تتأهّب النساء للسبى و الأسر. فكيف يبدأ و ما ذا يقول؟ ليس هنالك أفضل من التذكير بحادثه النبىّ يحيى التي من شأنها علاج هذه المشكله. نعم، بإمكان حادثه يحيى عليه السلام أن تكون الفصل الأول من قصّه حادثه الطفّ، و هل نذكر تلك الحادثه جملة واحده و نلفت النظر إلى تكرار حوادث التأريخ؟ كلّاً.

فالقول مرّه واحده قد لا يؤتى أكله و لا بدّ أن أثير تلك الحادثه في عدّه منازل، ليعلم الركب و يستعدّ لتلقى الأخبار المؤلمه التي سمعتها من رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام فقد آن أوانها. و هنا نتساءل لما ذا لا يتحدّث هذا الزعيم الذي ينهض بمسئوليه إمره الجيش

و قيادته من أجل تحقيق النصر، عن معارك الإسلام و الانتصارات الباهره التي حَقَّقها جَدُّه و أبوه في تلك المعارك، لم لا يتحدَّث عن معركة الجمل؟ لو كان يأمل بالنصر لكان من المناسب الحديث عن تلك المعارك لا عن حادثه يحيى! الإمام عليه السلام يمثِّل قَمَّةَ الأدب و البلاغ، و عليه أن يتكلَّم بما ينسجم و مقتضى الحال، لو كان هناك من أمل بالغلبه و النصر؛ فإنَّ مقتضى الحال يتطلَّب من الإمام التحدُّث عن قضيه أبناء الطلقاء عند فتح مكَّه و كسر شوكة أبي سفيان، ليشتدَّ عزم الأصحاب في خوض المعركة، فيزيد ابن ذلك المدحور المهزوم في معارك الإسلام. إذن، فإنَّه الإمام لحادثه يحيى تفيد شيئاً آخر يجعل الحسين عليه السلام يحثُّ الخُطى لاستقباله. نعم، هذه هي الطريقة التي تجعل سيد الشهداء عليه السلام يحطِّم حاجز الصمت و يخرج من تلك الحيره العظيمة، و لذلك يتكلَّم خلال المسيره عن الموت و الشهاده إلى صحبه، ثمَّ أخذ الإمام يخوض في التفاصيل أكثر فأكثر كلما اقترب من أرض كربلاء. فقد نقل مثلاً رؤياه إلى ولده عليّ بن الحسين و هو يسترجع كثيراً، ثمَّ أخبره بأنَّه سمع منادياً ينادى «القوم يسيرون و المنايا تسرى إليهم» (١). و نرى أنَّ الإمام إنَّما يهدف من هذه الكلمات إلى إعداد صحبه و لا سيَّما أهل بيته إلى ما سيواجههم من حوادث، و لذلك يردُّ عليه «لا نبالي نموت محقِّين» (٢).

نعم، كان الإمام عليه السلام يعلن عن هذه الأحداث رغم أنَّ المسافه كانت بعيدة نسبياً عن يوم عاشوراء و أرض كربلاء. على كلِّ حال أدرك الجميع أنَّه آن الأوان لتلك الروايات و الأحاديث و الأخبار التي صرَّح بها النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام. ثمَّ تحدَّث الإمام عن الموت أيضاً حين التقى الحرَّ بن يزيد - طبق نقل الطبري

١- تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨.

٢- تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨.

فى ذى حُسم و عذيب الهجانات بعد وصول رساله عبيد الله إلى الحر(١). و تأكيدہ على التضييق على الحسين حسب نقل اللهوف. فقال: «فإني لا أرى الموت إلّا سعادة، و الحياه مع الظالمين إلّا برما»(٢). نعم كان محور الكلام هو الموت، فقد قال فى مكه: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات» و يتكلم خلال مسيرته عن شهاده يحيى بن زكريا، و يمرّ بقصر بنى مقاتل فيخبر ولده علياً برؤياه و حديثه عن الشهاده. و يواصل حديثه عن الشهاده فى عذيب الهجانات و ذى حُسم. فلما دخل كربلاء أخبرهم عن مصارعهم و قال: «هاهنا و الله محطّ رحالنا و مسفك دماننا»(٣). وليت شعري لما ذا يصرّ البعض على أنّ ابن الأعمش الكاذب هو الذى نسبها إلى الحسين عليه السلام. و على فرض كذب ابن الأعمش، فإن نسب إلى الإمام عبارته تؤيدها جميع القرائن القطعيه و الشواهد، فهل نصّ على أنّ الإمام لم يقلها حتّى و لو كانت قريبه من حادثه عاشوراء التى زعمتم بأنّ شهادته أصبحت فيها حتميه! أيها المؤلف العزيز ناشدتك الله أن تعيد النظر فى ما أوردت و لا تفرّط بالحسين عليه السلام، فليس لنا من عزّه و عظمه سوى فى الحسين عليه السلام، ليس لنا من سبيل لإيقاظ الامّه سوى الحسين عليه السلام، كما ليست لنا من مجالس يمكنها النهوض بأهداف الإسلام سوى مجالس الحسين عليه السلام. فالعنصر المقتدر الذى من شأنه حشد الطاقات و صهرها فى بوتقه واحده و هو أبو الأحرار سيد الشهداء عليه السلام. ليس هناك من ملاذ لما نواجه من مخاطر و صعاب فى حركتنا الإسلاميه سوى مصائب الحسين عليهما السلام، بل

١- تاريخ الطبرى: ٣٠٥ / ٤.

٢- الملّهوف لابن طاوس: ١٣٨.

٣- نفس المصدر: ١٣٩.

ليس لنا من سبيل إلى النصر و دحر العدو سوى الحسين عليه السلام، و كلّ من تخلف عن الحسين عليه السلام فلن يشم رائحه النصر «من لم يلحق بي لم يدرك الفتح و السلام»^(١) فالشعار الحسيني حيّ في جميع الضمائر و لا يقتصر على بني هاشم و من خوطب في زمانه، فالحسين عليه السلام مظهر الحرّيه و رفض الظلم و الجور، الحسين عليه السلام ثوره مفعمه بالدم تجرى من عيون عشاقه و مواليه. ثالثاً: الأحاديث التي وصلتنا عن أهل بيت رساله عليه السلام بشأن نهضة الحسين و علمه بشهادته، نكتفى بذكر طائفه منها:

الحديث الأول:

الحديث الذي نقله الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني في كتابه الكافي، المعتبر السند المؤيّد من قبل العلّامة المرحوم المجلسي في كتابه «مرآة العقول»^(٢) و هذا نصّه: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول- و عنده اناس من أصحابه:-

«عجبت من قوم يتولّونا، و يجعلونا أئمّه و يصفون أنّ طاعتنا مفترضه عليهم كطاعه رسول الله صلى الله عليه و آله، ثمّ يكسرون حجّتهم و يخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا و يعيون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا و التسليم لأمرنا؛ أترون أنّ الله تبارك و تعالي افترض طاعه أوليائه على عباده ثمّ يخفى عنهم أخبار السماوات و الأرض، و يقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم؟! فقال له حمران: جعلت فداك أ رأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب

١- يأتي في ص ٢٤٧.

٢- مرآة العقول ٣: ١٣١ ح ٤.

و الحسن و الحسين عليهم السلام و خروجهم و قيامهم بدين الله عز ذكره، و ما اصابوا من قتل الطواغيت إياهم و الظفر بهم حتى قتلوا و غلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إنّ الله تبارك و تعالى قد كان قدّر ذلك عليهم و قضاه و أمضاه و حتمه على سبيل الاختيار^(١). ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه و آله قام على و الحسن و الحسين عليهم السلام و بعلم صمت من صمت منّا، و لو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله - عزّ و جل - و إظهار الطواغيت عليهم سألوا الله - عزّ و جل - أن يدفع عنهم ذلك، و ألخوا عليه فى طلب إزاله ملك الطواغيت و ذهاب ملكهم، إذن لأجابهم و دفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدّة الطواغيت و ذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، و ما كان ذلك الذى أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه، و لا لعقوبه معصيه خالفوا الله فيها، و لكن لمنازل و كرامه من الله أراد أن يبلغوها، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم^(٢).

مناقشه الحديث:

لا يسع المقام الخوض فى تفاصيل هذا الحديث المعترى الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام، و سنقتصر على الإشارة إلى بعض النقاط المهمه: ١- تعتبر ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام من القضايا المسلّمه لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام و أنصارهم. ٢- تجب طاعه الأئمة على المسلمين كوجوب طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه و آله، فطاعتهم و طاعته من سنخ واحد. ٣- لا تجب طاعتهم لكونهم قرابه رسول الله صلى الله عليه و آله، بل كونهم زعماء يتحلّون

١- فى نسخه اخرى: «الاختبار».

٢- الكافى ١: ٢٦١-٢٦٢ باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان ... ح ٤.

بكافه الصفات و الشرائط اللازمه لإمامه الامه، و فى مقدمه هذه الشرائط العلم و الإحاطه التامه بكافه الموضوعات و الحوادث و الوقائع ذات الصله بحياه الامه الإسلاميه و سبل سعادتها و فلاحها. و من هنا يتبين أنّ هؤلاء الزعماء- المتمثلين بالأئمه الأطهار عليهم السلام- لا بدّ أن يكونوا عالمين بجميع خفايا الحوادث و الامور المتعلقه بمصير الإسلام و المسلمين، و الله سبحانه هو الذى يفيض عليهم- برحمته- هذه العلوم. ٤- لم تكن نهضه أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السلام نهضه قائمه على أساس الجبر و الاضطرار، و لم يخوضوا المعارك مرغمين، بل كلّ ذلك يجرى وفق خطه مدروسه معلومه سلفاً، و قد قلّمدهم رسول الله صلى الله عليه و آله هذه المسئوليه، إلى جانب اطلاعهم على التفاصيل. و عليه: فالقيام وظيفه لبعضهم، قد حملهم إياها رسول الله صلى الله عليه و آله عن البارئ سبحانه و تعالى، و ذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله: ما يُنطقُ عنِ الهوى* إنّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى(١) فمن قام من الأئمه عليهم السلام كان عالماً بعواقب الأمر غير متفاجئ بها، و قد كلّف بهذه الوظيفه رغم علمه بما ستجرّه عليه من مصائب و ويلات، و لم يتحملوا هذه الحوادث المريره إكراهاً، بل كانوا مُختارين فى أصل نهضتهم و تحمّل تبعاتها، و هم يرون الشهاده كمالاً لهم تجعلهم يقتفون أثر رسول الله صلى الله عليه و آله فى السموّ و التكامل و بلوغ ذروه الإنسانيه. و الآن نطرح هذا السؤال: أ و ليس الإمام الحسين عليه السلام هو أحد هؤلاء الزعماء؟

فقد عدّه الحديث السابق فى مصافّ أمير المؤمنين و سائر الأئمه عليهم السلام، أولم تكن كربلاء من الحوادث المرتبطه بمصير الإسلام و المسلمين؟ إذن، فبنصّ الحديث لا بدّ أن يكون الإمام عالماً بكافه تفاصيل حادثه كربلاء، و بنصّ الحديث فإنّ قيام الإمام يستند إلى علم سابق، ذكره رسول الله صلى الله عليه و آله و كلّف به الإمام عليه السلام. و هذا غير ما

ذكرنا من أنّ الإمام يقتصر في علمه بالشهادة على ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله. وبناءً على هذا فلو ناقشنا الرؤيا التي نقلت عن ابن الأعمش^(١)، فإنّ مضمون هذا الحديث إزاء وظيفه الإمام هو نفس المضمون «يا حسين اخرج إلى العراق» مع الفارق في الإجمال والتفصيل، بل يمكن القول بأنّ قيام الإمام عليه السلام كان بوحي من الله بفعل إخبار النبي صلى الله عليه وآله، كما فهمنا من الحديث أنّ قيام الحسين عليه السلام لم يكن اضطراراً بل جرى وفق خطّه مدروسه و علم سابق، كما فهمنا أنّ سكوت بعض الأئمّه عليهم السلام كان يستند لهذه الرسالة والوظيفة. فمن اعتقد بغير هذا لا يسعه أن يعقل مضمون الحديث بلزوم طاعه أئمّه الدين، وهذا ما تطرّقنا إليه سابقاً، فكيف نعتقد بأنّ الإمام مفترض الطاعه في حين نعترف بخطئه في التشخيص أو وقوع الحوادث على عكس ما كان يتصوّر؟ كيف يجب اتّباع الإمام على مثل عبيد الله الحر الجعفي بينما كان يعتقد بأنّ مسلم كان ينتظر هزيمه منكره. نعم الإمام عليه السلام لا يخطأ في تشخيصه أبداً وهو عالم بكلّ خفايا الأحداث.

الحديث الثاني:

وهو الحديث الذي نقله الشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه المتوفّي عام ٣٦٨ هـ. ق- استاذ الشيخ المفيد رضی الله عنه- في كتابه «كامل الزيارات»، والكتاب المذكور أحد كتب الإمامية المهمّة الذي يحظى باعتماد علماء الحديث والمتخصّصين بعلم

١- لا يخفى أنّ المحور الأصلي هو بحث أسس ومباني كتاب «شهيد جاويد» ولذلك لم نبحت الامور الجزئية من قبيل هل أنّ ابن الأعمش موثوق في نقله أم لا، ولذلك فإنّ فرض المناقشه في نقل رؤياه لا يعنى أنّنا نؤيّد المناقشه، بل أنّ هذا الفرض ليس بدليل على الانسجام مع الكتاب؛ لأنّه خارج عن الحدود الأصليه في الكتاب المذكور.

الروايه، و هو يصرّح فى مقدّمه الكتاب بأنّه لا يورد إلّا الموثوق من الأفراد، و لذلك استدللّ كبار فقهاؤنا بهذه الروايات. و إليك نصّ الحديث: قال: حدّثنى أبى رحمه الله و محمّد بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن على بن الحكم، عن أبيه، عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السلام قال: «إنّ الحسين عليه السلام خرج من مكّه قبل الترويه بيوم، فشيعه عبد الله بن الزبير فقال: يا أبا عبد الله لقد حضر الحجّ و تدعه و تأتى العراق، فقال: يا ابن الزبير لأن ادفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن ادفن بفناء الكعبه»(١).

وقفه مع الحديث:

لقد شعر عبد الله بن الزبير بالذهول و الدهشه من حركة الإمام إبان الحجّ فسأله: هذه مناسك الحجّ التى حضرها المسلمون من أكناف الدنيا و أطرافها، فما الذى حدث لترك الإمام- و هو الأعراف أكثر من غيره بمنزله الحجّ و عظمه تلك المواقف- الحجاز و يتحرّك صوب العراق؟! و لا سيّما أنّ الإمام عليه السلام قد توقّف قبل عدّه شهور فى مكّه و لا تستغرق مناسك الحجّ وقتاً طويلاً. طبعاً، عبد الله بن الزبير يعلم أفضل من غيره أنّ الإمام لا يتخلّى عبثاً عن ذلك الأمر، و لا بدّ أن يكون هنالك دافع أشدّ قوّه جعله يحثّ الخطى لإدراك ما خفى كنهه، و لعلّه أعتقد بل جزم أن ليس هنالك ما يدعو لحركة الإمام سوى الشعور بالخطر المحدق به، إلّا أنّه كان يرغب بسماع القضييه من الإمام و هل أنّ الخطر واقع عن قريب لا محاله؟ و أنّ الإمام يمكن أن يتعرّض إلى الاغتيال فى جوف الكعبه؟

لقد شعر الإمام بما يجول فى فكر ابن الزبير فأجابته على الفور: أنّ مصرعى فى كربلاء «شاطئ الفرات» لا حرم الكعبه الأمن.

١- كامل الزيارات: ١٥١ ح ١٨٤، و عنه بحار الأنوار ٤٥: ٨٦ ح ١٨.

سؤال: لعلّ هناك من يسأل: من أين فهمتم أنّ الحديث يتضمّن الإخبار بشهادة الإمام في كربلاء؟ فلم يقل الإمام سوى أنّه سيستشهد و أنّ الشهادة في كربلاء أحبّ إليه من اللجوء إلى الكعبة؟ فهل هناك من منافاه بين هذا الأمر و عدم حدوث واقعه كربلاء أو وقوعها بعد سنوات؟ الجواب: لقد لفت الإمام انتباه ابن الزبير في جوابه إلى وقوع حادثه، و كأنّه أراد أن يقول عليه السلام: هناك حادثه لا- مفرّ منها، و لا- أرغب أن تقع هذه الحادثه في بيت الله، بل سأتجه لمواجهتها هناك. سؤال آخر: لم يتّضح ممّا قلت سوى أنّ هناك حادثه لا- مفرّ منها، إلّا أنّ إمكان وقوعها في مكّه لم يزل، و هذا ما يفهم تلويحاً من جواب الإمام، و لنا أن نسأل هنا:

هل الإمام عليه السلام موقن من قتله في كربلاء رغم احتماليه وقوع الحادثه في مكّه؟ الجواب: لا- يريد الإمام أن يقول: إنّي أحتمل أن تقع هذه الحادثه في مكّه، بل أراد أن يفهم ابن الزبير بأنّ جلاوزه يزيد يترصّدونه و هم عازمون على قتله، و هو ليس بغافل عن دسائسهم، و لذلك فهو يختار كربلاء من أجل الفوز بالشهادة و إحباط مخططاتهم، و إلّا لو كان الإمام يحتمل وقوعها في مكّه أو مئات المناطق الاخرى، لم ينتخب شاطئ الفرات من بين جميع هذه الاحتمالات، أضف إلى ذلك أنّه قد أعلن بأنّي أحبّ أن ادفن في الفرات رغم بعده مئات الأميال، و ما ذا يعنى بإخباره عن هذا المكان غير المتوقّع؟ إذن، فذكر اسم شاطئ الفرات و الرغبة الشديده للاستشهاد فيه لا- يفيد إلّا وقوع حادثه مأساويه حتميه هناك، ثمّ تصبح تلك المنطقه موضع مرقده الشريف.

الحديث الثالث:

الحديث الذي نقله الشيخ الثقة جعفر بن محمد بن قولويه أيضاً في كتاب

«كامل الزيارات»، وقد ذكرنا سابقاً أنّ أحاديث هذا الكتاب معتبره و موثوقه لا يمكن الطعن في سندها. قال: حدّثني أبي رحمه الله و جماعه مشايخي عن سعد بن عبد الله، عن علي بن إسماعيل بن عيسى و محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيّات، عن عبد الله بن بكير، عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كتب الحسين بن علي من مكّه إلى محمّد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمّد بن علي و من قبله من بني هاشم، أمّا بعد فإنّ من لحق بي استشهد، و من لم يلحق بي لم يدرك الفتح و السلام»^(١). و قد نقل صاحب كتاب «بصائر الدرجات» عن الإمام الصادق عليه السلام نظير هذه الرواية، حدّثنا أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن مروان بن إسماعيل، عن حمزه بن حرمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرنا خروج الحسين و تخلف ابن الحنفية عنه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حمزه إني سأحدّثك في هذا بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إنّ الحسين لمّا فصل متوجّهاً دعا بقرطاس و كتب: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بي منكم استشهد معي، و من تخلف لم يبلغ الفتح و السلام»^(٢).

ما ينبغي الالتفات إليه في الحديثين:

١- ما ذا يفهم من كلمه «استشهد»؟ ٢- الرساله إلى محمّد بن الحنفية و سائر بني هاشم هل تتضمّن الإخبار

١- كامل الزيارات: ١٥٧ ح ١٩٥، و عنه بحار الأنوار ٤٥: ٨٧ ح ٢٣.

٢- بصائر الدرجات: ٥٠٢، و عنه إثبات الهداه ٢: ٥٧٧ ح ١٨ و عن كامل الزيارات و الملهوف: ٢٨ و مختصر بصائر الدرجات:

٤٢ ح ٢٥، و في بحار الأنوار ٤٢: ٨١ ح ١٢ عنه و عن مناقب آل أبي طالب عليهم السلام لابن شهر آشوب ٤: ٧٦.

باستشهاد كل من يقف في صف المجاهدين، أم شهاده من يلتحق فيما بعد بالإمام من بنى هاشم؟ ٣- كيف يمكن الجمع بين هذه الرساله و عدم قتل طائفه من بنى هاشم؟ (١) كلمه «استشهد»: كلمه «استشهد» بصيغه المجهول، و إن كانت بصيغه المعلوم فهى تعنى طلب الشهاده، و قد وردت بالمعنى الأخير فى آيتين من القرآن، الأولى فى سورة البقره وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ (١). و الأخرى فى سورة النساء فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ (٢). و إن جاءت بصيغه المجهول بمعنى القتل و الشهاده فى سبيل الله. و فى المنجد استشهد: «قتل فى سبيل الله» (٣) و لعل مناسبة اللفظ لهذا المعنى الوارد فى الآيات القرآنيه «قتيل فى سبيل الله» هو الشهود و درك المحضر الربوبى للحق جل جلاله، و الشهيد لا يموت أبداً، بل يحيا فى شهادته يفيض حياه و حيويه. و لا يبعد القول بأن الشهداء لا برزخ لهم، بل تبدأ آخر مراحل حياتهم الملكوتيه بمجرد موت الجسد. و هذه هى الحقيقه التى ظهرت فى ميدان كربلاء، فهذا على الأكبر ينادى أباه الحسين فى لحظه الوداع قائلاً: «هذا جدى رسول الله صلى الله عليه و آله قد سقانى بكأسه الأوفى» (٤). و على كل حال كلمه «استشهد» فى عباره الإمام عليه السلام ظاهره بمعنى القتل فى سبيل الله، و صرف المعنى عن هذا الظهور- دون مسوغ- إنما يتعارض و العرف السائد فى المكالمات و المحاورات المتداوله فى الأرقه و الأسواق، و فى حاله الشك فى

١- سورة البقره: الآيه ٢٨٢.

٢- سورة النساء، الآيه: ١٥.

٣- المنجد فى اللغه: ٤٠٦.

٤- بحار الأنوار ٤٥: ٤٤.

أنَّ المراد المعنى الحقيقي للشهادة أم المعنى المجازى بمعنى التعرّض للشهادة؟ فيوجد أصل مسلم يسمّى أصله الحقيقي حيث يعيّن و يشخّص المعنى الحقيقي، ناهيك عن عدم صحه صرف الكلمه إلى المعنى المجازى دون وجود علاقته، و علاقته التي يمكن تصوّرها هنا هي علاقته المشارفه، و علاقته المشارفه تكون فى الموارد التي يكون تحقّقها شيئاً قطعياً تقريباً. و لا تطلق علاقته المشارفه على الأشياء التي يكون وقوعها على نحو الاحتمال. و عليه فليس هنالك من دليل على صحه استعمال «استشهد» بمعنى التعرّض للشهادة و احتمالها.

دليل آخر:

لو كانت «استشهد» بمعنى احتمال الشهاده لكانت عباره الإمام توضيحاً للواضح؛ لأنّ احتمال الشهاده قائم بالنسبه لكلّ فرد يقوم ضدّ الحكومه الظالمه و الحاكم الغاشم، و يهدف إلى الإطاحه بالحكومه و إنشاء الحكومه الإسلاميه، و لأنّ مثل هذا القيام إنّما يصحبه صدمه عسكرى يؤدّى إلى حاله القتل و الاقتتال. إذن، فلو كانت «استشهد» بمعنى إمكانيه الشهاده، فهذا المعنى ليس بخافٍ على محمّد بن الحنفية و بنى هاشم و لا يحتاج إلى تذكير الإمام، و عليه: فليس أماننا من سبيل سوى القول بأنّ «استشهد» إنّما تعنى الشهاده الحتميه، و الإخبار الذى صدر عن الإمام عليه السلام كان إخباراً عن أمر مخفى و مصير مجهول. ٢- ما ذا نفهم من العبارة «مَنْ لحق بى استشهد». هل المراد أن كلّ من يلحق بنا يُقتل؟ أم أنّ العبارة إخبار بشهادة قوم على الخصوص؟ لا يمكننا أن نقبل الاحتمال الأوّل، و ذلك للأسباب التاليه: ١- لو كان الأمر كذلك فلو افترضنا التحاق جميع أهل المدينه و مكّه و الكوفه

و البصره و سائر المدن بقافله الإمام، فإنهم سيقتلون، و الحال لا يمكن تصوّر هذا المعنى أبداً. ٢- يلزم من هذا الاحتمال أن يستشهد جميع أفراد ركب الحسين عليه السلام بما فيهم الصبيه و النساء و الكهول، بينما لم يُقتل من النساء و الصبيه سوى ثلاث أو أقل، و عليه: نسأل مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» لما ذا يستدلّ بتجاوز المعنى الحقيقي لكلمه «استشهد» بسبب بقاء عشره أفراد من الأصحاب و بنى هاشم؟ بل الشاهد الأفضل هو بقاء جميع النسوه و ... و من هنا يتّضح أنّ معنى الحديث ليس إخبار الإمام عليه السلام بمعنى أنّ جميع الركب و من يلحق به سيستشهد حتى يعترض على المعنى الحقيقي، بل المعنى هو أنّ كلّ من يلحق بنا من بنى هاشم سكنه المدينه سيقتل و يستشهد. و الواقع أنّ هذا الإخبار يختصّ فقط بمحمّد بن الحنفية و بنى هاشم من أهل المدينه ممّن لم يلتحق بالإمام حين حركته، و بالطبع فإنّ الأفراد الذين أرادوا أن يلحقوا منهم إنّما كانوا أفراداً بالغين مكلفين، و الدليل على ذلك: ١- ما ورد في روايه بصائر الدرجات التي أردفت عبارته «من لحق بي» بكلمه «منكم» أى كلّ من يلحق بي منكم يا بنى هاشم فإنّه ينال الشهاده، إذن فالخبر في بنى هاشم و كلمه «منكم» مختصّه بهم. ٢- ما ورد في كامل الزيارات حول هذه الروايه، أنّ الرساله من الحسين إلى محمّد بن الحنفية و سائر بنى هاشم، أى هؤلاء هم المرادون بالرساله، فهل يسعنا بعد ذلك أن نقول بأنّ الخبر وارد بشأن جميع الناس؟!!

نتيجه البحث:

نخلص ممّا سبق إلى أنّ العبارة «من لحق بي استشهد» تدلّ على شهاده كلّ من

بقي من بنى هاشم في المدينة إن التحق بركب الحسين عليه السلام، و عليه: فعدم قتل أمثال:

غلام عبد الرحمن بن عبد ربّه، و الضحّاك بن عبد الله المشرقي، و عقبه بن سمعان، و العشره الذين ذكرهم صاحب كتاب «شاهد جاويد» لا- يقدر بأصالة معنى الإخبار الغيبي للإمام، و كان الاخرى بالمؤلف أن يتأمل أكثر و يرى أنّ هذا الإخبار لم يشمل أولئك الأفراد من بنى هاشم الذين لحقوا به منذ البدايه، فالرساله قد كتبت من مكّه كما ورد في حديث كامل الزيارات أو أثناء الخروج من المدينة كما صرّحت روايه بصائر الدرجات. و على كلّ حال الرساله وارده بشأن الأفراد الذين لم يكونوا مع الركب و يمكنهم اللحاق به في ما بعد. إذن فالإمام عليه السلام لم يخبر عن شهاده الأفراد من بنى هاشم الذين لم يتخلّفوا عن الركب و واکبوا الإمام منذ بدايه الأمر.

مفاد الروايتين:

كلّ من التحق بي من بنى هاشم- سكنه المدينة- حين الحركه سيقتل في سبيل الله و سبيل التوحيد، و من تخلّف عنّي لأى من الأسباب لم يدرك الفتح، و عليه: يمكن القول بأنّ الهدف الأصلي للإمام عليه السلام لا يقتصر على الإخبار بعاقبه الملتحقين فحسب، بل في نفس الوقت الذي ورد الإخبار من أنّ طريقنا هو الشهاده؛ فإنّه كان ينطوي على تحريض بنى هاشم سكنه المدينة على أتباع الإمام من أجل نيل الدرجات الرفيعه: لا يظفر المتخلّفون بشىء و لمن صحبني الجنّه و الشهاده، فقوموا و انهضوا يا بنى هاشم لتنالوا الشهاده في هذه النهضه العظيمه. و هذا ما جعل الإمام الصادق عليه السلام، و في هذه الروايه يصرّح خاصيه بعدم استقامه تخلّف محمّد بن الحنفية و يصفه بأنّه حرم من درك السعاده؛ لأنّ الذى يفهم

من عباره الإمام الحسين عليه السلام هو أنّ من لحق بى فاز بالشهادة، هذه السعادة الكبرى التى تُعتبر فرصه ذهبية لا تسنح دائماً للإنسان، وقد حرم ابن الحنفية نفسه من هذه النعمة العظيمة. وعلى ضوء ما تقدّم لنا أنّ نطرح هذا السؤال: هل تقدح عدم شهاده اولئك الأفراد العشرة- على فرض الصّحّة- بالخبر الغيبى للإمام عليه السلام؟ إذا قال الإمام عليه السلام:

كلّ من لحق بنا من بنى هاشم فى المدينة فإنّه يستشهد، فهل هذا القول لا ينسجم و عدم شهاده اولئك الأفراد العشرة؟ لنضطرّ لحمل كلمه «استشهد» على معناها المجازى فى احتمال الشهاده؟

٣- الجمع بين الرساله و عدم قتل جماعه:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ عدم استشهاد جماعه من أصحاب الإمام- على فرض الصّحّة- لا يضرّ بصّحّه إخبار الإمام، و ذلك لأنّ إخبار الإمام مختصّ ببنى هاشم من سكنه المدينة الذين لم يلحقوا بركب الإمام منذ بدايه الأمر، و لم يكن أحد ممّن لم يستشهد من بنى هاشم من المتخلفين، بل كانوا ممّن لحقوا بركبه منذ البدايه، و لقد كان بإمكان مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» أن يأتى بشاهد أفضل لحمل الروايه على معناها المجازى، و هو أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان فى القافله و لم يستشهد. إذن، لم يذكر بعض الأفراد الذين لم تتّضح أوضاعهم؟ و جوابنا على السؤال هو أنّ الإخبار الغيبى مختصّ بجماعه معيّنه.

افتراض آخر:

نفرض أنّ رساله الحسين عليه السلام تشمل عامّه بنى هاشم و لا تختصّ بالمتخلفين، و على ضوء هذا الفرض يكون الجمع بين الروايه و عدم شهاده البعض من بنى

هاشم- و في مقدّماتهم على بن الحسين عليهما السلام- بهذا الشكل: مَنْ تبقى من ذريّة الإمام الحسن هم: ١- عمرو بن الحسن. ٢- زيد بن الحسن. ٣- الحسن بن الحسن. أمّا عمرو بن الحسن؛ فإنّه و إن قال المفيد بعدم قتله في الإرشاد و أبو الفرج في مقاتل الطالبين(١)، إلّا أنّ الطبرى صرّح بأنّه لم يقتل لكونه صبيّاً، و من المعلوم أنّ رساله الإمام كانت موجّهه للمكلفين دون غيرهم. و عليه: فعدم قتل عمرو لا- يطعن بالخبر الغيبى للإمام عليه السلام. و أمّا زيد بن الحسن، فبناءً على المشهور كما ذكر المحدّث القمى رحمه الله أنّه لم يكن ملازماً لعمّه في حركته إلى العراق(٢). و أمّا الحسن بن الحسن ففيه خلاف، فلم يعدّه الطبرى من القتلى لصغر سنّه(٣)، أمّا المفيد فقال في الإرشاد: «حضر مع عمّه الحسين عليه السلام الطّف، فلمّا قتل الحسين و أسر الباقر من أهله، جاءه أسماء بن خارجة فانتزعه من بين الأسرى و قال: و الله لا يوصل إلى ابن خوله أبداً، فقال عمر بن سعد: دعوا لأبى حسان ابن اخته»(٤). و على كلّ حال فإنّ الحسن المثنى رغم بلوغه و تكليفه لم يستشهد، و هو الفرد الوحيد البالغ مع على بن الحسين الذى لم يقتل من بنى هاشم، فلو كانت الرساله موجّهه لعامّه بنى هاشم، لا بدّ أن نقول بأنّ قصد الإمام عليه السلام: أنّ سيّلنا هو الشهاده،

١- مقاتل الطالبين: ١١٩.

٢- منتهى الآمال: ٤٥٩.

٣- تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٩.

٤- الإرشاد للمفيد ٢: ٢٥.

و عليه: فمن نجى فليس ذلك بمستبعد. بعبارة اخرى ليس هناك من منافاه بين الخطاب العام فى اللحاظ العام باستثناء فرد أو فردين. إذن، ففحوى رساله الإمام: قافلنا تتجه إلى ميدان الحرب و القتال الذى سيخوضه الغيارى و الأحرار من أجل الدفاع عن الحق، هؤلاء الغيارى شهداء أدركوا الحق، و من لم يقم و يُدافع عن القرآن لا ينبغى أن يرجو أى نصرٍ آخر.

الحديث الرابع:

قال ابن قولويه فى كامل الزيارات أيضاً: حدّثنى أبى رضى الله عنه و على بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن أبى الصهبان، عن عبد الرحمن بن أبى نجران، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن أبى سعيد عقيصا قال: سمعت الحسين بن على عليهما السلام و خلا به عبد الله بن الزبير و ناجاه طويلاً، قال: ثمّ أقبل الحسين بوجهه إليهم و قال: «إنّ هذا يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم، و لأين اقتل و بينى و بين الحرم باع أحبّ إلى من أن اقتل و بينى و بينه شبر، و لأن اقتل بالطفّ أحبّ إلى من أن اقتل بالحرم»^(١).

تحقيق مختصر:

يرى ابن الزبير أنّ الخطر محقق بالإمام، و هذا ما طرحه على الإمام، غير أنّه يظنّ بأنّ الحرم من شأنه أن يدفع عنه هذا الخطر، و هذا ما عبّر عنه بقوله: كن حماماً من حمام الحرم، حيث يتمتع الحمام بالأمن فى الحرم، و ابن رسول الله صلى الله عليه و آله أولى بهذا الأمان. إذن فالبقاء فى ذلك الموضع المقدّس هو السبيل الأخير للأمان من المخاطر.

١- كامل الزيارات: ١٥١ ح ١٨٢، و عنه بحار الأنوار ٤٥: ٨٥ ح ١٦.

أمّا الإمام عليه السلام فيرفض هذه النظرية و يطلع ابن الزبير على حتميه وقوع حادثه دون أن يُعرف للمكان من معنى في الحرم أم في موضع آخر. فقد اتفقت كلمه الظلمه على قتلى و ليس بإمكان حتى الحرم أن يمنحني الأمان، و ليس من الصواب أن أستجب لوقوع هذه الحادثه في الحرم الإلهي و أنتهك حرمة، بل أنا حريص على عدم انتهاك حرمة و لو على بعد شبر، و عليه:

فسأغادر الحرم سريعاً لأدفع بهذه الحادثه الحتميه إلى كربلاء و أصرّج تربتها بدمي، إنّي لأحب أن أستقبل هذه الحادثه التي لا مناص منها في الطفّ، إنّي لأرغب بالشهاده في سبيل اعتلاء الحقّ و كلمه الإسلام على يد الجبابره فلم لا أستشهد في كربلاء؟ هذه خلاصه من الحوار الذي دار بين الإمام عليه السلام و ابن الزبير، و نبذه عن نظريه الإمام بشأن الحركه و الحادثه الحتميه، فهل يسعنا القول بأنّ الإمام كان يرجو النصر بفعل وجود الجيش الكوفي المقتدر و القوات الشعبيه؟ لم اختار الإمام كربلاء من بين سائر مئات الأماكن و المواضع المحتمله؟ هناك مسافه شاسعه تمتدّ لمئات الأميال بين مكّه و كربلاء، إمكان وقوع هذه الحادثه على بعد شبر من الحرم حتّى كربلاء قائم. إذن، فهناك مئات الأماكن التي يحتمل فيها وقوع مثل هذه الحادثه، لم اختار الإمام عليه السلام من بينها ذلك المكان الذي لا يخالج ذهن أيّ فرد؟ لم تكن كربلاء آنذاك أكثر من أرض عاديّه، و كان لا بدّ أن تقع - على ضوء الأوضاع الطبيعيه - تلك الحادثه في الكوفه التي تمثّل آنذاك مركز الخلافه، فلم أحبّ الحسين عليه السلام أن يدفن جسده الطاهر في كربلاء؟ لقد أشار عليه السلام إلى موضع بعيد عن الأذهان، الأمر الذي يكشف أنّ الإمام كان مطلعاً على تفاصيل الحادثه و ما سيواجهه فيها من مصير.

فوا أسفاه، ينبري أحدهم ليصرّح أو يحتمل بأنّ الإمام لم يكن عالماً بتلك الأحداث. اللهم اجعل في قلوبنا نوراً و بصراً و فهماً و علماً.

زبدہ الكلام:

شاهدنا أنّ أغلب التواريخ المعبره و الأحاديث الموثقه كانت أدله قطعيه و شواهد حيه على علم الإمام عليه السلام بشهادته فى حركته إلى الكوفه، الكوفه التى لم يكن من المقدّر لها أن تشهد انهيار حكمه يزيد و سقوطها بيد الإمام، إلّا أنّنا نريد أن نختصر الكلام، و إلّا فهناك التواريخ المعبره و الأحاديث المستفيضه من الفريقين بشأن علم الإمام عليه السلام بحادثه كربلاء، الحادثه الشديده الصله و الحاسمه فى مصير الإسلام و حياه المسلمين. و الحق أنّنا نشعر بالخجل بالتحديث عن علم الإمام عليه السلام و الدفاع عن حريم الإمامه فى عش آل محمّد (قم المقدسه) المدينه التى شيّدت قبل ألف عام على دعائم مدرسه أهل البيت عليهم السلام حتّى وصفها أئمّه الهدى بالمركز الذى يفيض بعلومهم على العالم، بل نعتوها بأنّها حرم أهل البيت. يعترينا الخجل أن نهدر وقتنا فى التحديث عن أمر بمثابة الشمس فى رابعه النهار.

نعم، نشعر بالخجل من أنّ الإمام عليه السلام مصباح الهدى و سفينه النجاه و خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله ممّن أمر بطاعته و ولايته، فى حين يطالعنا من يتفوّه بأنّ الإمام زجّ بلا-علم فى حادثه مثّلت جوهر الإسلام و ارتبطت مباشرة باستقامه الدين، الخجل الذى يدعونا إلى الصمت الذى لا يفرزه سوى الحيره و الدهول و الدهشه! إلّا أنّه الصمت و السكوت الذى يتضمّن الإشاره إلى بعض الأدله الوارده بشأن علم الإمام عليه السلام: (١) جاء فى الكامل لابن الأثير أنّ عمر بن عبد الرحمن نصح الإمام و حدّره من الحركه إلى الكوفه، فجزاه الإمام خيراً و قال: «و مهما يقض من أمر يكن أخذتُ برأيك أو تركته» (١). (٢) قضه ورود أبى بكر الحارث بن هشام على الإمام، فقال له الإمام عليه السلام:

«جزاك الله خيراً يا ابن عمّ فقد أجهدك رأيك، و مهما يقض الله يكن» فقال: إنّنا لله

و عند الله نحتسب يا أبا عبد الله (١). (٣) على ما نقل أرباب المقاتل أنّ عبد الله بن عمر جاء لوداع الإمام في مكّه فقال «استودعك الله من قتيل» (٢). (٤) قال صاحب مجمع البحرين: «روى أنّه عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضريه بستين ألف درهم، و تصدّق بها عليهم، و شرط عليهم أن يُرشدوا إلى قبره و يضيّفوا من زاره ثلاثة أيّام» (٣)، فهل اشترى الإمام تلك الأرض بعد القتل؟ و هل كان عالماً بمرقده أم لا؟ (٥) كتب العلّامة المرحوم السيد محسن الأمين العاملي صاحب أعيان الشيعة في مقتله لواعج الأشجان: «و جاءه عبد الله بن عباس و عبد الله بن الزبير، فأشارا عليه بالإمساك عن المسير إلى الكوفة، فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أمرني بأمر و أنا ماض فيه، فخرج ابن عيّاس و هو يقول: وا حسينا» (٤). كان الإمام عليه السلام ينهض بمسئوليّه خطيره كلّفه بها رسول الله صلى الله عليه و آله، إذن فحقيقه الأمر شىء آخر، و لم تكن دعوه أهل الكوفة و آراء خبرائها تشكّل الدوافع الحقيقه لهذه الحركه، و لذلك فهم ابن عباس أنّ السبيل الذي ينتهجه الإمام لا رجعه فيه! (٦) قال الأمينى - فى نفس الصفحه من الكتاب المذكور -: «ثمّ جاءه عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال و حدّره من القتل و القتال، فقال له: يا أبا عبد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل - إلى أن قال: - و أيم الله لو كنت فى حجر هامه من هذه الهوامّ لاستخرجونى حتّى يقتلونى، و الله ليعتدّن علىّ كما اعتدت اليهود فى

١- مروج الذهب ٣: ٥٦.

٢- انظر لواعج الأشجان: ٧٤، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٣.

٣- مجمع البحرين ٣: ١٥٦٠، مادّه «كربل».

٤- لواعج الأشجان: ٧٢.

السبت، و الله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى، فإذا فعلوا ذلك سلط عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام (١) المرأه (٢). فبعد الله يتوقع حادثه و يقر الإمام توقعه و يفشى له الأسرار. نعم، كل من تحدت عن الشهاده فإن الإمام عليه السلام كان يؤيد حديثه و يبين المأساه التى ستقع من خلال التصريح أو التلويح، فهل نقول هنا أيضاً بأن الإمام قد انطلق راجياً للسفر من مكه و لم يتبدل هذا الرجاء ياساً حتى أواخر حياته الشريفه، اللهم إلهما للحظات قبل شهادته؟ هل هذه هى نتيجه التحقيقات؟ و هل مثل هذا الحكم حصيله للتأمل و التمعن فى الأدله و الأخبار؟ هل هذه الصوره وليده التفكير الصحيح؟ و هل هذه الأفكار نابعه من إدراك للحقائق؟ هل هذه الامور من شأنها رفع مقام الإمام عليه السلام؟ هل مثل هذا الكتاب يعد خدمه للعلم و المعرفه؟ و هل هذه الأفكار ستقضى على الشبهات؟ و هل و هل ...

نترك الإجابة إلى الضمائر الحيه و العقول البعيده عن التفتع و التعصب.

شهاده الإمام فى كربلاء على لسان أهل البيت عليهم السلام و أتباعهم:

لقد ابتلت تربه كربلاء بدموع على بن أبى طالب عليهم السلام لخمس و عشرين سنه قبل وقوع الحادثه، و لم ينس مسجد الكوفه حديث أمير المؤمنين عليه السلام لسعد بن أبى وقاص فى أن ولده المشئوم سيقتل ابنه الحسين عليه السلام (٣). أما النبى صلى الله عليه و آله فقد صدع قبل ولاده يزيد قائلاً: «مالى و ليزيد لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد» (٤). و ابن عباس هو الذى نقل حديث النبى صلى الله عليه و آله، فكان يعلم على سبيل الجزم بحادثه

١- الفرام- بالفاء المفتوحه- : خرقة الحيض.

٢- لواعج الأشجان: ٧٢-٧٣.

٣- كامل الزيارات: ١٥٥ ح ١٩١، الأمالى للصدوق: ١٩٦ مجلس ٢٨ ح ٢٠٧، و عنهما بحار الأنوار ٤٢: ١٤٦ ح ٦ و ج ٤٤: ٢٥٦

ح ٥.

٤- مشير الأحزان لابن نما الحلى: ٢٢، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦ ح ٢٤.

كربلاء و غطرسه يزيد، و من المسلم به أنه تذکر قول رسول الله صلى الله عليه و آله فحذر الإمام. نعم، لم تكن حادثه كربلاء خافيه على من كان يرتاد أهل بيت النبوه عليهم السلام، بل كانت هناك عدّه روايات أسهمت كلّ واحده منها فى إزاحه الستار عن بعض مجريات تلك الحادثه بحيث يرى المتتبع أنّ هذه الحادثه قد بينت بجزئياتها و تفاصيلها من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام، و عليه كان أهل البيت عليه السلام و أنصارهم عارفين بتفاصيل هذه الحادثه فنقلوها لنا، إذن فهل يعقل القول بأنّها كانت خافيه على شخص الإمام عليه السلام؟ يظنّ البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يعلم المراد بالفتيه الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام حين مرّ بكربلاء فى معركة صفين: «هاهنا مناخ ركابهم، و موضع رحالهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد صلى الله عليه و آله يُقتلون بهذه العرصه...»^(١) و لم يكن يعلم متى يُقتلون؟! و حيث ذكرهم أمير المؤمنين عليه السلام بضمير الجمع الغائب «هم»، فقد رأى الحسين عليه السلام فى ميدان كربلاء ذلك اليوم أنّه المصداق على سبيل التريدي! فقد ذكر المؤلف فى ص ٣٠١ «فهل اولئك الفتية من آل محمّد التى أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام همّ الحسين عليه السلام و أهل بيته؟ أ فلا ينطبق الخبر الذى ذكره على عليه السلام قبل أربع و عشرين سنه على الحسين و أهل بيته؟». يا له من ظنّ فاسد! ما هى الصورة التى رسمها هؤلاء للإمام حتّى يتحدّثوا عنه بهذا الشكل! لو لم يكن إماماً بل كان فرداً عادياً كمحمد بن الحنفية و سمع هذا الكلام من أبيه و قد واجه عسكر يزيد فهل لنا أن ننسب ابن الحنفية إلى التريدي؟! نعم، هنا يكمن الخطأ، حيث ظنّ بأنّ إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك الحادثه فى معركة صفين قد اقتصر على تلك العبارة، رغم أنّه رأى أنّ هذا الكلام

١- دلائل النبوه لأبى نعيم ٢: ٥٨١ ح ٥٣٠، ذخائر العقبى: ١٧٤، الرياض النضرة ٣: ٢٠١، الفصول المهمه لابن الصباغ ٢: ٧٦١، الخصائص الكبرى للسيوطى ٢: ٢١٤.

لوحده يكفى فى العلم بجميع الحادته بالنسبه لأى فرد عادى فضلاً عن الإمام عليه السلام. كلاً، ليس الأمر كذلك، فقد تحدّث على عليه السلام فى معركة صفين بهذا الشأن وقد ذكر حسيناً صراحه و العطش الذى يصيبه حين يستشهد فى أرض كربلاء حتّى لا ينبرى لاحقاً من يقول: فهل ينطبق حديث الوالد على الولد أم لا؟ وقد مرّت (١) علينا روايه العلامه المجلسى فى البحار التى أشارت إلى بُكاء على عليه السلام على ولده الحسين عليه السلام، الذى سيموت فى كربلاء عطشاناً. فهل قول على عليه السلام فى ميدان المعركة فى تلك اللحظه الحساسه كان همساً فى اذن الراوى و لم يسمعه إلّا عبد الله بن قيس، أم أنّها أخبار قالها على عليه السلام وسط الميدان عن تلك الحادته؟ أو لا نفهم من هذه الروايه و أمثالها أنّ حادته كربلاء كانت حديث الساعه و لم يكن من يتردّد على أهل البيت بعيداً عن تلك الأخبار فضلاً عن أهل الدار. فهل من المعقول أن نعترف أوّلاً- على ضوء الروايات القطعيّه- أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أخبر بشهاده الحسين عليه السلام، و كان الحسين قد سمع الخبر منذ طفولتيه. ثمّ ثبت بعد ذلك من خلال مباحث الكتاب أنّه عليه السلام لم يكن عالماً باستشهاده؟ أمّا الروايات الموثوقه التى وردت فى كتاب بحار الأنوار فقد صرّحت بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد صرّح باسم الحسين عليه السلام فى معركة صفين، حتّى روى ابن عباس أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حين مرّ بكربلاء بكى بكاءً شديداً و قال: «ما لى و لآل أبى سفيان! ما لى و لآل حرب حزب الشيطان و أولياء الكفر!- ثمّ التفت إلى ولده الحسين عليه السلام و قال:- صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك منهم مثل الذى تلقى منهم» (٢) فهل لأحد أن يقول بعد ذلك: إنّ الحسين عليه السلام احتمل حين وصل كربلاء أنّه المقصود بقول أبيه عليه السلام؟ و لا يسعنا هنا إلّا أن نخوض فى بعض التواريخ:

١- فى ص ٢١٩.

٢- بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٢ ح ٢ عن أمالى الصدوق: ٦٩٤، مجلس ٨٧ ح ٩٥١، و كمال الدين: ٥٣٢ ب ٤٨ ح ١.

فقد نقل مؤلف كتاب القاموس - من الكتب الرجالية الموثقة الذي طبع أخيراً قصّه عند ذكر اسم حبيب، وقد ذكرت هذه القصّة في سائر كتب التاريخ و الرجال - أنّه «روى الكشّى عن جبرئيل بن أحمد، عن محمّد بن عبد الله بن مهران، عن أحمد بن النصر عن عبد الله بن يزيد الأسدي، عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميشم التمار و حبيب بن مظاهر بمجلس بني أسد و هما فارسان، فجعلا يتحدّثان حتّى قال حبيب:

لكأني بشيخ أصلع قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام ... فقال ميشم: و إنّي لأعرف رجلاً أحمر له ظفيران يخرج لينصر ابن بنت نبيّه صلى الله عليه و آله، فيقتل و يجال برأسه بالكوفه»^(١). لقد أصيب مجلس بني أسد بالذهول لما سمعوا من حوار هذين الوليين حتّى أجمعت كلمتهم على أنّهم لم يروا أكذب منهما! و هنا وصل رشيد الهجري فسأل عن ميشم و حبيب، فقال له بنو أسد: كانا هنا، ثمّ أخبروه بما سمعوه منهما، فقال رشيد:

لقد قالوا- حقّاً، إلّا أنّ ميشم نسي أن يقول و يزيد: من يأتى برأس حبيب مائه درهم! فما كان من أهل المجلس إلّا أن قالوا: إنّ رشيد أكذبهما!^(٢)

بُكاء محمّد بن الحنفية:

نقل الطبري عن أبي مخنف: أنّ الحسين بن عليّ أقبل بأهله و محمد بن الحنفية بالمدينه، قال: فبلغه خبر و هو يتوضّأ في طست قال: فبكي حتى سمعت و كَفَ دموعه في الطست^(٣). و لنا أن نسأل: ممّ بُكاء ابن الحنفية؟ لو كان يأمل النصر كالإمام! لم يكن لذلك الخبر أن يبكيه، فالقضيه قضيه فتح و نصر و التحاق بالقوى الشعبيه المواليه في الكوفه، و ليس في الأمر ما يدعو إلى البُكاء!

١- اختيار معرفه الرجال، المعروف ب«رجال الكشّى»: ٧٨ رقم ١٣٣.

٢- قاموس الرجال ٣: ٩٦ رقم ١٧٦٨، و ما ذكر نقل بالمضمون.

٣- تاريخ الطبري ٤: ٢٩٧.

نعم، بكاء ابن الحنفية إعلام للمؤلف الذي اعتقد أنّ الإمام عليه السلام سوف لن يسقط حكمه يزيد، بل سيتعرض لظلم جيش الكوفة، وهذه هي كربلاء التي ستستضيف الإمام! بكاء محمد بن الحنفية تذكير بحادثه يعرفها كافة قرابه أهل البيت، أفيكون الإمام غافلاً عنها لا علم له بها؟! لقد كانت قصه كربلاء و فصولها الدمويه أشهر لا تحتاج إلى بيان، وقد ذكرنا سابقاً أنّ التحاق زهير بن القين كان بسبب حديث سلمان الفارسي أو الباهلي، حيث أورد الطبري و ابن أثير أنّ سلمان بشر زهيراً بإدراكه لشباب آل محمد، و ذلك اليوم هو يوم فرح بالنسبه لزهير.

حديث رائع:

قال مؤلف كتاب الأربعين الحسينية: «ما رواه في الكامل بسنده عن الباقر عليه السلام قال: لَمَّا هَمَّ الحسين عليه السلام بالشخص من المدينة أقبلت نساء بنى عبد المطلب فاجتمعن للنياحه حتى مشى فيهنّ الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصيه لله و لرسوله، فقالت له نساء بنى عبد المطلب: فلمن نستبقى النياحه و البكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و على و فاطمه و رقيه و زينب و أمّ كلثوم، فنشدهك الله جعلنا الله فداك من الموت» (١). إنّ الحسين عليه السلام قرّر الخروج إلى مكّه فما معنى اجتماع الهاشميات من نساء بنى عبد المطلب للنياحه و البكاء! يخرج إلى مكّه لتنظيم الجيش و القيادة بغيه الحركة إلى الكوفة و بالتالي السيطرة على الحكومه، و مثل هذه الحركة ينبغي أن تدخل الفرحة و السرور على الهاشميات و أهل بيت رساله، فقد تمهدت الأرضيه المناسبه لقيام الحكومه، فما هذا البكاء!

نعم، إنهنَّ يعلمن أنَّ الإمام عليه السلام إنما يتَّجه نحو مصرعه الذي ليس فيه أئى أمل بالنصر- النصر الذي يقول به مؤلف «شهيد جاويد»: لقد سمعن من رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً أنّ ولده الحسين عليه السلام سيقتل في كربلاء. نعم، لم يطقن سماع حركة الإمام و لم يتمالكن أنفسهنَّ، أمّا الإمام فقد خاطبهنَّ: أنشدكنَّ الله أن تبدين هذا الأمر فهو معصيه لله و لرسوله، و هل لمثل هذه النصيحة أن تسكن من روع تلك القلوب الوالهة المضطربة و العيون العبرى لنساء الرسالة! فهنَّ نساء و قلوبهنَّ تنبض بحبِّ الحسين عليه السلام، و يعلمن أنَّ هذه الحركة ستعيد مراره رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله و شهادته أمير المؤمنين عليه السلام و غربه الزهراء عليها السلام، فأجبنه و الدموع جاريه على خدودهنَّ: إننا نعلم أن لا رجعه من هذه الحركة. نعم، يمكن أن يهدأ روعنا و تسكن فورتنا إن جعلنا الله فداك لتنجو من الموت. فهل يسعنا بعد هذا أن نقول بأنَّ الإمام لئى دعوه الناس أملاً فى النصر، أم لا بدّ من القول أنّه انطلق أملاً فى انتصار الإسلام من خلال الشهادة.

السز الأكبر:

لقد وردت حادثه كربلاء فى سائر الأديان، و لا أريد أن أخوض فى هذا المجال، إلّا أنّى أكتفى بما أورده الطبرى بهذا المجال، قال: «حدّثنى العلاء بن أبى عائشه قال:

حدّثنى رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلّما و أنا أركض دابّتى حتّى أخلف المكان، قال: قلت: لِمَ؟ قال: كنّا نتحدّث أنّ ولد نبيّ مقتول فى ذلك المكان.

قال: و كنت أخاف أن أكون أنا، فلمّا قُتل الحسين قلنا: هذا الذى نتحدّث» (١). فهل يسعنا- أيها القراء الأعزاء- أن نقول بأنَّ الإمام لم يكن عالماً بحادثه كربلاء و حين بلغ كربلاء احتمل ... بينما يتحدّث الآخرون عن هذه النهضة و أنّ كربلاء ستضمخ بدم الحسين عليه السلام!؟

الكتاب و الخطأ الرئيسى الثانى:

اشاره

الخطأ الرئيسى الثانى الذى ارتكبه مؤلف كتاب «شهيده جاويد» هو الضرر الذى ألحقته حادثه كربلاء بالإسلام، و نورد هنا بعض نماذج الكتاب التى تفيد هذا المعنى: ١- قال فى جوابه لما قاله محبّ الدين الخطيب من أنّ حركه الحسين بن على عليهما السلام قد حاقت خساره بالحسين و الإسلام و المسلميين إلى يوم القيامة:

«حكومه يزيد لا الحسين بن على عليهما السلام هى التى و جّهت تلك الضربه للإسلام».

و عليه: فهو يقرّ بموضوع الخساره، إلّا أنّه ينسبها فقط إلى يزيد. ٢- لّوح فى النقاط ١، ٢، ٣- فى عنوان «هل كان قتل الإمام عليه السلام بنفع الإسلام أم لا- إلى أنّ قتل الحسين عليه السلام لم يكن له أثر مطلوب على الإسلام، و قال: لقد قويت شوكة بنى أمّيه و ظنّوا أنّ النفع الوحيد الذى جناه الإسلام هو أنّ حكومه يزيد أصبحت ضعيفه لبضعه أيام إثر قتل الإمام الحسين عليه السلام. ٣- قال فى ص ٣٧٨ «و إذا كان المراد هو أنّ الشيعة قد انتظمت بقتل الإمام فلا- بدّ من القول بأنّ الشيعة قد قويت شوكتهم من جانب بعد شهاده الإمام الحسين عليه السلام، و ضعفت من جانب آخر... إلى آخره، ثمّ تابع هذا الموضوع فى ص ٣٧٩. ٤- ثمّ قال فى ص ٣٨٢- فى بحث بعنوان زبده الكلام:- «لا يمكن قبول الفكره القائله بأنّ الإسلام قد انتعش بقتل الحسين عليه السلام» و لا- يمكنه أن يقول: مرادى أنّ قتل الحسين عليه السلام أذى إلى الإضرار بالإسلام، من حيث إنّ الجريمه قد ارتكبت من قبل قاتلى الحسين عليه السلام؛ لأنّنا لا نرى عاقلاً ينكر أنّ قتل الحسين عليه السلام ضرر جسيم و جريمه لا تُغتفر، بل مرادك أنّ حادثه كربلاء و قتل الحسين عليه السلام كانت ضرراً على الإسلام، و هذا ما أوردته فى ردّك على محبّ الدين فى الدفاع عن هذا الضرر بأنّ

يزيد قد وجّه هذه الضربه للإسلام، فهل يمكن نسبة قتل الإمام لنفسه؟ حتّى نتهّم يزيد فى مقام تبرئتنا للإمام، و عليه: فقصدك من قتل الإمام شهادته و أنّ تلك الشهاده كانت بضرر الإسلام، حيث قلت: يزيد هو الذى أضّرّ بالإسلام. و الشاهد الآخر ما ذكرته فى قولك: «لا نفهم ما يُقال من أنّ الإسلام قد استعاد حياته بقتل الحسين عليه السلام»؛ لأنك لم تفترض الضرر من أجل نفس القتل، بل من أجل القتل و حادثه كربلاء، و هذا ما صرّحت به فى ص ٣٨٣ حين قلت: «لا يسعنا أن ندرك هذا الأمر، فكيف للإسلام بالاستقرار و التماسك فى فقدان لزعيمه و ناصره». فالتعبير كان بالفقدان، و الفقدان غير القتل، و على هذا الضوء فقد ألغيت فريضه الجهاد بالكامل؛ لأنّ المعركه لا تستتبع دسومه، و غالباً ما يؤدّى الجهاد إلى إزهاق أرواح القاده الصلحاء، أو ليس فقدان مثل هؤلاء القاده يضرّ بالإسلام؟ فلمّ الجهاد؟ و لعلّ هناك من يقول فى الجواب: إنّ فقدان مثل هؤلاء القاده هو دفاع عن الإسلام و هذا الدفاع مفيد. نعم، قد نقول فى الجواب: إنّ الهدف هو الدفاع، و لكنّه يتطلّب التضحيه فلا يتحقّق إلّا فى فقدان الزعماء الصلحاء، الدفاع هو الذى يروى شجره الإسلام و يبقى على حياتها، و عليه: فالإسلام يمكن أن يستعيد حياته بقتل الإمام الحسين عليه السلام، و هذا ليس بممتنع، لتساءل لاحقاً هل تحقّق هذا الإمكان؟ نعم لقد تحقّق هذا الأمر، شريطه أن لا يقتصر بالنظر على عصر حكومه بنى أمّيه و بنى العباس، فالحادثه- و كما سنتطرّق إليها لاحقاً- قد انطوت منذ يومها الأوّل على آثار قيمه و فوائد جمّه. ٥- قال فى ص ٣٩٣-٣٩٤ تحت عنوان ذلّه الامّه: «و هنا لا بدّ من القول بأنّ الامّه الإسلاميه بعد قتل الحسين عليه السلام أصبحت أكثر ذلّه و خضوعاً تجاه

حكومه يزيد». و واضح أنّ هذه العبارة تُفيد أنّ نهضة الحسين و شهادته قد أدلت الإسلام، غير أنّ الإمام عليه السلام لا ذنب له. نعم، الواقع أنّه لا يمكن إنكار تجرّب يزيد و تنامي شوكته عدّه أيام بُعيد الحادثه، إلّا أنّها لم تجلب الذلّ و الهوان على الناس، بل كانت الامّه تعيش حاله من الذلّ و الهوان التي تبددت بفضل تضحيه الحسين عليه السلام و دمه الشريف. هذه بعض النماذج من عبارات الكتاب الذي يعتقد مؤلفه كالأخرين بأنّ حادثه كربلاء كانت خساره.

حادثه كربلاء نفخت الروح في جسد الإسلام:

من المسلمّ به أنّ الإسلام أو أيّ قانون يهدف إلى إشاعه الحرّيات و المساواه و إيصال الإنسان إلى الكمال إنّما يرتطم ببعض العوائق و العراقيل المؤلمه، التي لا يمكن تفاديها البتّه في هذه المسيره الشاقّه. فالقوانين الإلهيه القائمه على أساس العدل و العلم و مساواه الضعيف بالقوى و كون الجميع سواسيه في الحقوق و الواجبات، لا- مناص لها من الاصطدام بمصالح الطغاه من أصحاب الطمع و الشهوه و العناد و الجهل. فهذه القوانين السماويه لا تنسجم و الشهوات الطائشه و القدره الزائفه و العاتيه التي تسحق الضعفاء و التي تستند إلى هضم حقوق الامّه و التلاعب بمقدّراتها، و عليه: فالمعركه بين الطرفين قائمه على قدم و ساق.

الجهاد في الإسلام:

يسعى الإسلام بادئ الأمر- و على هامش الحريه الفكرية و الإراده في العمل- في التزام منهج الوعظ و النصح للأعداء أملاً في إعادتهم إلى جادّه الصواب،

إلّا أنّ البعض لا يستجيب لمثل هذا الأسلوب و يوغل في الغي و العدوان، و هذا ما تلمسه بوضوح في القرآن الكريم في سرده لقصص الأنبياء مع اممهم، ثم يندفع هؤلاء الأفراد أبعد من ذلك ليخططوا لتنفيذ تعاليم الأنبياء و نظمهم الاجتماعيه، و بالتالي إرعاب الامّه و زعزعه دعائم الأديان و الشرائع. فإذا ما أغلقت جميع الأبواب بوجه الدين و غاب الأمل في هدايتهم، كان لا مناص له من اللجوء إلى القوّه و بروز فلسفه الجهاد بالأموال و الأنفس. نعم، لقد بنى الدين على العفو و الرحمه و التساهل و المرونه، إلّا أنّ هذه المفرده مؤطره بأطر لا ينبغي أن تتجاوز حدودها، و هذا ما عبّرت عنه الآيه الشريفه:

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَ أَضَلُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١). إذن، فالجهاد في الإسلام و سيله من أجل الدفاع عن حياض الدين و تحرير الامّه من براثن القوى السلطويه الغاشمه، بل الجهاد من الفرائض الواجبه التي يتوقّف عليها وجود الإسلام و المسلمين. أمّا الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه هو أنّ الدفاع يشمل كافه الوسائل و لا يقتصر على القتل، لا بدّ من القيام مهما كانت النتائج، و من الخطأ الاعتقاد بأنّ الإسلام أكّد على قتل الكفّار، ففي قتلهم نفع الإسلام و أنّ فقدان الأولياء ضرر و القتل فيهم ليس بمطلوب. فهذا القرآن يتبنّى مواقف الشهداء و يشيد بهم و يصرّح بدرجاتهم، فالشهيد قيمه حيّه، و الشهيد من يقتل دفاعاً عن الدين. إذن فالقتل من أجل الدفاع

مطلوب، وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا (١) فهل الآيه الكريمة تأمر بالقتل أم تحض على الشهاده فى سبيل الله و إشاعه التوحيد و العبوديه؟ نعم، الشهاده محبوبه لدى الله و القرآن، ليس هنالك من سبيل للظفر بشىء دون ضريبه، فالبذره تدفن نفسها فى التراب لتصبح شجره، و ذلك يقتل لتحياءه و تنعم بالحريه و السعاده، و لذلك ترى أولياء الله تواقون للشهاده، فعدمهم يمنحهم و يمنح الآخرين الوجود، فأملهم الدائم «و قتلًا فى سبيلك» (٢)، كما تراهم يتسابقون إلى الموت فى المعارك و قد مشى إليه بعضهم عن علم بالشهاده. أجل، أولياء الله يعشقون الشهاده، فشجره الإسلام قد تتطلب أحياناً سقيها بالدماء، و هذا أمير المؤمنين عليه السلام يُصرح فى عهده الذى عهده إلى مالك الأشر: «و أن يختم لى و لك بالسعاده و الشهاده» (٣). لا يسع البعض أن يستوعبوا حياه الإسلام و تنامى شوكته بسبب فقدان زعمائه و حماته، فهذا القول لا ينطوى سوى على إنكار فلسفه الحروب و المعارك، و هل الحرب لعبه أو نزهه فلم الأمر بالجهاد؟ لِمَ كان الرسول يشترك بنفسه فى المعارك؟ لِمَ برز على بن أبى طالب عليه السلام لعمر و بن عبد ود؟ و لِمَ ضُرج أولياء الله كعمار بن ياسر بدمائهم فى معركة صفين؟ و لِمَ كان الشهداء فى مصاف الأنبياء؟ لِمَ كان الحسين عليه السلام يأذن لفتيته فى القتال؟ لِمَ كلف أخيراً ذلك الصبى الذى لم يكن له سوى ثلاث عشره سنه بالقتال؟ يُقال: دفاعاً عن الإسلام، فنقول: إذا كانت هذه عاقبه الدفاع عن الإسلام بحيث يؤدى إلى فقدان الإمام فهذه هى وظيفته، و الإسلام عزيز منيع بهذه الوظيفه. أو لم يقتل أنبياء بنى إسرائيل

١- سوره آل عمران: الآيه ١٦٩.

٢- إقبال الأعمال ١: ١٤٣، قطعه من دعاء ليالى شهر رمضان.

٣- نهج البلاغه لمحمد عبده: ٦٢٥.

وَ قَتَلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ (١)، أولم يفكر الأنبياء بأن في قتلهم ضرراً على المسيره، كان عليهم أن يسلكوا سبيلاً لا- يؤدى إلى فقدانهم، فيبقى الدين عزيزاً بحياتهم و وجودهم، لكننا نعلم بأنهم خاطروا بأنفسهم و وقفوا بوجه المشركين و الكافرين حتى ضحوا بأنفسهم. لا يمكن افتراض الحسين عليه السلام إماماً ظاهرياً للمسلمين، و أنه مبسوط اليد ليخلص إلى نتيجة مفادها: عدم إدراك و قبول إحياء الإسلام بفقدان الزعيم، فالحسين عليه السلام لو هادن يزيد لما عاد إماماً، و لو أكب مسيره يزيد و أضفى الشرعيه عليها، فهل فى مثل هذا الإمام نفع للإسلام؟ و هل من سبيل أمام الإمام لو لم يهادن و يداهن سوى الشهاده؟ لقد كان عزم يزيد أن يبايعه الحسين عليه السلام لتكون النتيجة اضمحلال الدين، و إلّا حمل إليه رأسه الشريف، الأمر الذى لا يجعل لحياء الإمام من نفع للإسلام. من هنا كانت وظيفه الإمام التى تكمن فى إحياء الإسلام و الدفاع عن الحقّ تعنى التضحيه و عدم مساييره حكومه بنى اميّه، و سقى شجره الإسلام بالدماء الطاهره الزكيه.

بنفسه اشترى حياه الدين فىا لها من ثمنِ ثمين (٢)

لقد ظنّ بأنّ حركه الحسين عليه السلام كانت تتجه صوب الكوفه و الأخذ بزمام الامور و السيطرة على الحكومه، و هذا الهدف لا- ينسجم و العلم بالشهاده، بل لم يكن الإمام يظنّ بأنّه يرد كربلاء و يقتل فيها، و ذلك لأنّ هذه الشهاده لم تكن لصالح الإسلام، بينما ليس هناك من منافاه عقلائيه بين الحركه إلى الكوفه و العلم بالشهاده، كان عنوان الحركه هو الكوفه و الأخذ بزمام الامور، كى لا ينبرى

١- سوره النساء: الآيه ١٥٥.

٢- من مراثى آيه الله الكمپانى.

أحدهم و يتخرّص بأنّ الامّه تأهبت لامامه الحسين عليه السلام فرفضها، و لا يتسرّب الشكّ إلى النفوس بأنّ الزعامه لو كانت حقاً ثابتاً له لما رفضها، فقّرر الإمام أن يخرج إلى الكوفه من أجل إحياء الإسلام، فقد ماتت السيئه و أُحييت البدعه، و لما كان يعلم بشهادته و عدم درك هدفه، استعدّ للتضحيه و الفداء، أمّا الكوفه و مقاومه حكومه يزيد ليكتب في التأريخ بأنّ الحسين عليه السلام ثار من أجل إحياء الإسلام و إمامه الامّه و إنقاذها من بؤسها و شقائها، و هذا ما سيؤدّي إلى قتله و فوزه بلقب سيّد الشهداء عليه السلام، و لو صرّح الإمام بأنّي أذهب لأقتل في كربلاء، لما استطاع التأريخ أن يصيب في تقييم الحادثه و أنّ الهدف هو إحياء الإسلام، في حين يعلم الإمام أنّ هذا الهدف لا يتحقّق إلّا في ظلّ التضحيه و الشهاده.

المعطيات الخالده للحادثه:

لقد فتحت حادثه كربلاء منذ انبثاقها الباب على مصراعيه أمام انبعاث الإسلام من جديد، أمّا وقوع الحادثه فقد أفرز حقّانيه الحسين و كونه الإمام الحقّ، و بطلان حكومه يزيد و كونه إمام الضلاله الذي يهدف إلى القضاء على الإسلام، لقد جهدت الأجهزة الإعلاميه لحكومه معاويه و ابنه يزيد على تقديم الإمام كفرد خارجي لا يمت بصله إلى الدين، و قد تفاجأ أهل الشام لخبر قتل أمير المؤمنين عليه السلام في محراب العباده، ليتساءلوا مع أنفسهم: أ فيصلّي على حتّى يُقتل في المحراب! كان معاويه ينفق الأموال الطائله دون حساب من أجل وضع الأحاديث ضدّ أهل البيت عليهم السلام، في حين أثبت الحسين عليه السلام في كربلاء أنّ أهل البيت أصحاب حقّ، و قد بلغوا كربلاء مظلومين للدفاع عن الدين، يزيد شارب الخمور و هو الفاسق عبد الدنيا و الشهوه، الذي لا يتحرّج عن سفك دم الرضيع، و يعمد بعد

القتل و الفتك إلى إحراق خيام النساء و سلبهنّ ما عليهنّ، لقد أحبطت حادثه كربلاء في أوائل أيامها كافه دعايات معاويه، كما أفهمت عسكر يزيد أنّ الحسين عليه السلام ضحيّه شهوات يزيد و الحقد الدفين لعلى عليه السلام. لقد كشفت خطبه ذلك اليوم عن كمالات الإمام عليه السلام، عن ولايته و إمامته و صلاحيته و زعامته و علمه و درايته و شجاعته و فصاحته و تضحيته و حقّه، بما لا يدع مجالاً لرواسب دعايات الجهاز الأموي. و هذا يزيد الذي جيّش الجيوش و شقّ وحده الامّه الإسلاميه في قتاله للحسين عليه السلام! بحيث اندفع البعض لقتاله و هو «يتقرّب إلى الله بدمه»! إلّا أنّ نفس الحادثه و الخطابات الحماسيه للإمام أزالته الإبهام و الغموض و أوضحت الأمر، بما جعل بعض عسكر يزيد يلتحق بركب الإمام، و يرتفع صوت البعض الآخر بالاعتراض و الاستنكار. لقد أثبت الحسين عليه السلام في ذلك اليوم أنّ الباغي هو يزيد، كان لا ينفكّ عن إيراد خطبه و كلماته التي عزّت التيار الأموي و كشفت زيفه للناس، الذين ليس لهم سبيل سوى تصديق ما كان يقوله الإمام. لقد اذعن العدو لصحّه ما أورده الإمام عليه السلام: «إنّ عليّاً كان أولهم إسلاماً، و أعلمهم علماً، و أعظمهم حلماً، و أنّه وليّ كلّ مؤمن و مؤمنه»(١). و هو الذي هتف عالياً أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه»(٢). و أخيراً هو الذي جعل العدو يشهد بأنّ حسيناً إنّما يقتل ثأراً من على عليه السلام و هو الذي جعل الحرّ بن يزيد الرياحي يعيش الخيار بين الجنّه و النار فيلتحق بركب الحسين عليه السلام.

١- الأمالى للصدوق: ٢٢٣ مجلس ٣٠ قطعه من ح ٢٣٩، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣١٨ قطعه من ح ١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ٤: ٨ ح ١٠٩٩٩ و ص ١٢٥ ح ١١٩٥٤ و ص ١٢٩ ح ١١٦١٨.

إذن، فقد ذهبت أدراج الرياح جميع تلك المدّة المديده من الدعايات المسمومه خلال المرحله الاولى من حادثه كربلاء، ثمّ اتّضح ظلم يزيد و جوره، و ما زالت الحادثه الحسينيه إلى يومنا هذا تدمع العيون و تجدد الأحران كلّ عام كما تجنّد الطاقات و تعبئها باتجاه العدل و الحرّيه.

النظره السطحيه:

قد يظنّ البعض بأنّ حادثه كربلاء قد ضاعفت قدره بنى اميه، و أنّ فقدان القائد قد أدخل اليأس على قلوب الناس، كما أدت بعيلات الحسين عليه السلام إلى الأسر و السبي، دون الالتفات إلى أنّ هذه الحادثه قد هزّت عرش يزيد و قلبت خططه و أفكاره رأساً على عقب، فكأننا نعلم أنّ يزيد قد همّ بتقويض صرح الإسلام و هدم معالم الدين، و كان يتحين الفرص للتأر من بدر و حنين، في حين دفعت كربلاء بيزيد لأن يتظاهر بالدين و يلقي باللائمه على ابن مرجانه في تعجيله بقتل الحسين عليه السلام.

يأس الامه:

أمّا الامه فلم تشعر باليأس بقدر ما عاشت حاله من الثوره و الغليان و الغضب و النقمه، الأمر الذي تمخّض عن قيام المختار، و لم تستطع الزعامه الغاشمه مواصله حكومتها إلّا بقوّه الحديد و النار. نعم، لقد آتت تلك الحادثه أكلها منذ لحظاتها الاولى، ثمّ أعقبتها تلك الحمله الإعلاميه التي قادها أهل البيت بعد الحادثه بيومين، لتشهد الكوفه من جديد الهدير العلوى المدوّى على لسان كريمته زينب الكبرى، ففضحت يزيد و أسقطت الأقععه عن وجهه الكريه، كيف يزعم أنّ سبي زينب لم يكن من ضمن أهداف

الإمام عليه السلام؟ يا له من زعم أجوف؛ ما الذى حدا بالإمام لاصطحاب النسوة و هو يعلم بقتله فى كربلاء؟ ليس هنالك ما يدعو إلى القلق فيما لو بقين فى الحرم المكى الآمن؟ ألا- يشعر الإمام بالقلق على عيالاته بالإتيان بهنّ إلى كربلاء و هو يعلم بقتله، فهل هنالك مثل هذا القلق لو بقين فى مكّه؟ لو بقين فى مكّه لما كان لهنّ من ملاذ بينما يتمتعن بالحصانه السياسيه لو رافقن الحسين عليه السلام!! أو لم يبق ابن عباس و محمّد بن الحنفية فى مكّه أو المدينة؟ لو لم يكن الأسر و السبى من ضمن الأهداف، أ فلا- يعتبر الحسين عليه السلام مُقَصِّرًا؟ فالحسين عليه السلام كان يعلم بأنّه مقتول، أ فلم يحتمل أنّ ذلك القتل سيؤدّى إلى سبى عيالاته؟ و على فرض هذا الاحتمال فهل هو احتمال منجز؟ اللهمّ إلّا أن يُقال: إنّ الإمام لم يكن قد تكهّن بعاقبه الأمر! طبعاً إن كنت ممن يؤمن بأنّ الإمام معصوم بعيد عن الزلل و الخطأ فكيف تحلّ هذا الإشكال؟ و كيف توفّق بين هذه التناقضات؟ نفترض أنّك تعتقد بأنّ الإمام لم يكن عالماً بعاقبه الأمر منذ البدايه، و لكن حين اعترضه الحرّ و قد اتّضحت عواقب الامور كما ذكرت فلمّ لمّ يقترح رجوع نسائه؟ هل كان الحرّ مأموراً بتسليم عيالات الحسين عليه السلام إلى عبيد الله أيضاً؟ لو كان الحسين عليه السلام اقترح على الحرّ رجوع عيالاته أ لم يكن ذلك كافياً فى قبول عذر الحرّ عند عبيد الله؟ لقد أقررت بعذره حيث قلت: لو ترك الحرّ الإمام يرجع لما آخذه عبيد الله، فلم لم يقترح الإمام رجوع عيالاته؟ و لما شعر بأنّ الخطر قد أحّدق به- كما زعمت- فهل الإصرار على اصطحاب أولئك الأعزّه يُفيد عدم التنبؤ بوقوع الأحداث؟ إذن لا يمكن القول بأنّ الأسر لم يكن من الأهداف المرسومه، بل من المتيقّن كان جزءاً مكماً للشهاده، فكان لا بدّ لتلك القافله من القيام بمهمّتها الإعلاميه. فوظيفه الحسين عليه السلام التضحيه من أجل الإسلام، بينما كانت مهمّه زينب تكمن

فى تغطيه وقائع كربلاء و التعريف بشخص الإمام و فضح يزيد و الحيلولة دون ضياع دم الإمام و سائر الشهداء.

خطبه زينب الكبرى:

لقد فهمت الامه من خطبه زينب فى الكوفه أنّ حكومه يزيد إنّما استهدفت القضاء على الإسلام و محو آثار الرساله، و قد حال الحسين عليه السلام بدمه الشريف دون هذا الهدف، فالحسين عليه السلام لم يمت، فهو قتيل فى سبيل الله و لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ(١) بل يزيد هو الذى قتل و قذف بنفسه فى الهاويه، فالإسلام باق و يزيد زائل. و هذا هو المنطق الذى نهجه على بن الحسين عليه السلام فى مسجد الشام، لما سمع الأذان و أقر الشهاده الثانيه بلحمه و دمه و جسمه و كلّ شىء فى جسده، ليثبت حياته من خلال حياه الرساله و الشهاده بالنبوه لجده رسول الله صلى الله عليه و آله، و لم يفلح يزيد فى محوه للرساله، و عليه: فقد كانت حادثه كربلاء- منذ انعقاد نطفتها و مروراً بأحداثها و ما أعقبها من سبى و أسر- عنصر فاعل يفيض حيويّه على الإسلام.

المنطق الغاشم:

طبعاً، يمكن لمنطق القوه- الذى يستند إلى القمع و كَمّ الأفواه و التلويح بالحديد و النار- أن يشيع الخوف و الهلع و الرعب و الاضطراب كسحابه فى سماء الامه، إلّا أنّ فجر الحريه و العداله إنّما يشقّ لا محاله عباب هذه السحب الزائفه، فينهض حماه الدين ليحطّموا تلك القوى الفارغه. و عوداً على بدء فإنّ المؤلّف قد ساء فهم وجود الإمام و عدمه، فقد افترض

أنَّ الإمام لو كان حيّاً و أصبح زعيماً للمسلمين و دارت القيادة الإسلاميه حول محوره، لساد العدل و القسط ربوع العالم الإسلامى، و بالتالى لتحققت حكومه العدل التى نتطلع إلى تشكيلها من قبل إمام العصر و الزمان عمّجّل الله تعالى فرجه الشريف، فتزول الفرقه الطارئه على الدين و لا تبقى إلّا الطائفه الإماميه الحقّه التى تمثّل الدين، و حين افترض فقدان الإمام و عدمه ظنّ بأنّ هذا العدم يتضمّن زوال كلّ شىء بما فيه الإسلام و استفحال الظلم و الجور و الطغيان اليزيدى! و عليه: فيخلص من خلال الفرضين إلى أنّ شهاده الإمام قد أدّت إلى ضرر عظيم لحق بالإسلام العزيز. و هنا يكمن الخطأ الذى ارتكبه المؤلّف فى إطلاق العنان لخياله فى أن يسرح و يمرح كما يشاء. لنفترض أنّ الحسين عليه السلام قد انتصر- عسكرياً- على يزيد و تولّى الحكم، فهل ستسود الأحكام الإسلاميه و التعاليم القرآنيه حقّاً على جميع أنحاء المعموره، بحيث يشهد العالم الإسلامى المترامى الأطراف اندحار الجهل و الاضطراب و الظلم و الفوضى و سياده العدل و المساواه و الأمن و الاستقرار و...؟ لا نعتقد بأنّ الأمر كذلك. و بالطبع فإنّ هذا ليس بمتعذّر على الإمام الحسين عليه السلام فى أن يملأ العالم بهذه المفاهيم الساميه، إلّا أنّ هذا الأمل مشروط باندحار الأشقياء و الجهّال و الطغاه و إزاله كافّه العراقل التى تعترض سبيل الإمام، و لا نرى لحدّ الآن من تمكّن من مثل هؤلاء الزعماء من اجتثاث جذور الظلم و الجور و إباده صروح الجهل و الحمق و تطهير المجتمع من دنس الأرزال و الأوباش و الأشقياء و إخضاعهم لمنطقهم و سلطنتهم. فأى من أنبياء الله طّبّق مثل هذه المفاهيم و الأهداف؟ هل استطاع موسى عليه السلام بيده البيضاء و عصاه أن يخلق من بنى إسرائيل مجتمعاً دينياً متطوراً و يجتثّ جذور الوثنيه و السامريه؟ فلم تجفّ أرجلهم من الماء حتّى طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل

لهم إلهاً كما كان للآخرين، و في نهايه الأمر يخبر القرآن عنهم بقوله: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَ الْمَسِيكَةُ (١). و هذا نبى الإسلام أعظم زعيم عرفه العالم الإنسانى، فرغم جهوده الجبّاره و نجاحه فى نشر رساله السماء فى أنحاء العالم، إلّا أنّه لم يستطع أن يجعل الإسلام بكماله و تمامه هو الحاكم المطلق للعالم. هل استطاع نبى الإسلام إبان حياته أن يضع الأئمه الأطهار عليهم السلام صراحة فى مواقعهم؟ نعم، بعد كلّ تلك المدّة من الزعامه و الجهود المضنيه فى رفع مستوى الامّه و تعويدها على ممارسات الدين و مفاهيمه و ربطها بعجله الحضاره و الرقىّ و التمدّن و إنقاذها من الجهل و الوثنيه و التعنّت و التعصّب و المنطق الغاشم لأمثال أبى سفيان و صنميه أمثال أبى جهل، طرح أواخر حياته الشريفه قضيه الغدير التى صرّحت بخلافه على عليه السلام، فأطلق ذلك الرجل الذى كان قربه- و قد تغدّى على مفاهيم الإسلام- عبارته المعروفه «إنّ الرجل ليهجر» (٢)! هل استطاع الإسلام آنذاك اجتثاث جذور اليهود؟ هل استقطب إليه النصارى؟ هل استطاع إفهام تلك البشاره الصريحه و الميثاق الغليظ الذى اشتملت عليه التوراه و الإنجيل بشأن نبوّه محمّد صلى الله عليه و آله و يجعلهم يدعونون لصحّه ما يقول؟ و هل استطاع النبى صلى الله عليه و آله أن يخضع كافه تلك الحكومات الجبّاره لحكومته و يجعلها تنضوى تحت لواء الإسلام؟ و هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، أ لم يتزعم الامّه و يأخذ بزمام الامور؟ أ لم تندفع إليه الجماهير و تضطرّه لقبول الخلافه؟ و عليه: فقد امتلك الجيش الجرار و الإمكانيات و ما من شأنه أن يجعل الحكومه تطبّق الأهداف القرآنيه

١- سوره البقره: الآيه ٦١.

٢- مسند أحمد ١: ٧٦٠ ح ٣٣٣٦.

المقدّسه، أمّا زعامته و علمه بأوضاع العالم الإسلامى و شجاعته و اقتداره و ارتشافه من ثدى الوحى و تتلمّذه على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله فحدّث و لا حرج، و لكن أ لم تشهد هذه الزعامه منذ انبثاقها ذلك التمرد و العصيان، و لا سيّما من أولئك الذين لم يروق لهم عدل على عليه السلام، فرفعوا لواء المعارضه حتّى زجوا بالإمام إلى ميادين القتال، فكانت أولها معركة الجمل، أ لم يقل القرآن: وَقَوْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ (١) فهل قرّت عائشه فى بيتها أم تزعمت العسكر لقتال على عليه السلام، فخاطبها بكلّ حزن و أسى «أ هكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه و آله؟» (٢). و أخيراً رأينا كيف امتدت زعامه معاويه و اتّسعت رقعتها و مدى الدماء الزكيه التى أريقّت من أجل تلك الزعامه. و الذى نريد أن نخلص إليه هو بطلان تصوّر الموقّقيه و النجاح التام لأنّهم الدين فى الزعامه، و لو تزعم الحسين عليه السلام الأمر لعانى ما عانى منه من قبله من الزعماء الربانيين.

سر عدم النجاح:

لا شكّ أنّ السرّ فى عدم موفّقيه هؤلاء القاده هو أنّ الامّه ليست توّاقه جميعها للعداله، كما أنّ الأفكار هى الاخرى ليست مطهّره من الشوائب، فسنة الله لم تجر بأن تبقى البشريه على فطرتها و لا تتأثر بعوامل الانحراف، بل غالباً ما تسيطر الشهوات و الأطماع و الخرافات و الجهل على العقول، و هذه هى العناصر التى تهدّد الحكومات، و لذلك ليس لقوانين السماء حكومه عادله موفّقه تماماً من أجل بسط العدل و القسط، فهى لا تستطيع أن تقطع دابر المخلّين بالأمن و الاستقرار و تحول

١- سورة الأحزاب: الآيه ٣٣.

٢- المناقب للخوارزمى: ١٨٩، مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٦١، و عنه بحار الأنوار ٣٢: ١٨٢.

دون جهلهم و أنانيتهم، بل هذا هو حال الأكثرية دائماً، القوانين السماوية تتضمن كافة مفاهيم العدل و الكمال و الجلال، إلّا أنّها لا- تفرض مفاهيمها على الناس قسراً، فهي تطرح مشاريعها على الناس «وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» (١)، و لا- يلومنّ إلّا نفسه. إنّ هدف الأنبياء هو جمع الناس على الدين و العبادة التي تكفل الفلاح و السعادة، إلّا أنّ هذا الهدف لم يدخل حين التطبيق أبداً: يا حَسِيرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٢). فالدين الإسلامي الذي جاء لتكامل الإنسان إنّما يمتلك الجهاز القيادي الكامل الذي لا يألو جهداً في إشاعه مفاهيم القرآن، إلّا أنّهم و بدءاً برسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام إنّما اصطدموا بجَمٍّ من الحوادث التي تعرقل مشاريعهم و أهدافهم، و قد بلغت هذه الحوادث ذروتها حتّى صوّرها أمير المؤمنين عليه السلام:

«فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجاً» (٣). و حين تدافعت الامة لإمارته، و لم يكن له بدءاً من قبولها رغم نفرتة منها قال:

«لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّج بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها...» (٤) أ لم ينتصر المسلمون في ظلّ قائده، و يتسع نور الإسلام في أطراف الدنيا؟ أو يمكن تصوّر تقاعس الإمام عن القيام بوظيفته في الزعامه؟ الواقع هو أنّ الدافع الذي كان يقف وراء رفض الإمام عليه السلام للزعامه هو علمه بهذه الصدور التي ملأت حقداً و غيظاً و طمعاً، فما أكثر أمثال طلحه و الزبير و معاوية، و لم تكن سيره على عليه السلام

١- اقتباس من سوره الكهف: الآيه ٢٩.

٢- سوره يس: الآيه ٣٠.

٣- نهج البلاغه: ٨٣.

٤- نهج البلاغه: ٩٠.

تنسجم و تأمين الطلبات اللامشروعه، و لذلك كان يعلم بأن هذه الخلافه التي تطالبه بالتزام جانب الحقّ و العدل و تطبيق الأحكام الإسلاميه و المفاهيم القرآنيه ستؤلّب عليه أعداء الدين، و بغضّ النظر عن كلّ ذلك فقد قبل الخلافه و سار بالعدل و ربط الامّه بدينها و قرآنها إلّا أنّ ثمن ذلك كان باهضاً. و خلاصه القول هو أنّه لا ينبغي أن يظنّ المؤلّف بأنّ الحسين عليه السلام لو أطاح بحكومته يزيد و أخذ بزمام الامور فإنّه سيتمكّن تماماً من إشاعه الحريه و الفضيله و مفاهيم القرآن و بسط العدل و القسط و المساواه و الإنصاف، فلو انتصر الحسين عليه السلام و اندحر يزيد، فهناك مئات الأفراد من أمثال يزيد الذين تلبسوا بلباس الإسلام، و هذا ليس ذنب الأنثمه صلى الله عليه و آله، بل ذنب هؤلاء المهووسين الذين يمثّلون عقبه كئوده فى طريق أئمّه الدين و زعماء المسلمين. و ما عليك إلّا أن تتأمّل صرخات الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان نداء مظلوميّه الإمام: علام تقاتلوننى، ما ذنبى؟ أو يكون ذنبى فى دعوتكم لى و رسائلكم التي وردتنى أن أقدم علينا فليس لنا من إمام، فقدمت إليكم؟ لقد صوّرتم برسائلكم مدى الظلم و الجور بما يجعلنى لا- أترى في القدوم إليكم، أولم ير المؤلّف أنّ جواب هذه الصرخات المظلومه كان قد تمثّل بالتهليل و التصفير و السخريه و السبّ و الشتم.

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه سوى الأسنّه و الرماح جواباً(١)

فليوقن المؤلّف العزيز بأنّ الإمام عليه السلام حتّى لو فتح الكوفه، لما واجه من أولئك الأقرام سوى ذلك الجواب، طبعاً ستقف الطائفه المؤمنه الغيوره إلى جانب الحسين عليه السلام و تهبّ للدفاع عنه، غير أنّ ناهبى بيت المال و قطع الطرق و اللصوص

١- أعيان الشيعة ٧: ٢٦، و القصيده بكاملها للسيد رضا بن هاشم الرضوى الموسوى اللكهنوى.

سوف لن يقفوا مكتوفى الأيدي. إذن، فالصوره الاولى التى رسمها المؤلف- و التى تمثّل حلماً لذيذاً- لا يمكن قبولها بأى شكل من الأشكال.

الصورة الثانية:

نريد أن نرى هل أنّ حادثه كربلاء و فقدان القائد و وقوع الامه فى قبضه يزيد كانت ضرراً على الإسلام أم نفعاً؟ و لو كانت نفعاً فهل نبارك للأفراد الذين صنعوا هذه الحادثه المؤلمه، أم لا بدّ أن ندينهم و نلعنهم إلى يوم القيامه؟ لقد أشرنا باختصار إلى أنّ حادثه كربلاء قد انطلقت لصالح الإسلام منذ ولادتها، و قد فشلت كافه مخططات معاويه و مؤامراته و أمواله الطائله التى أنفقها فى إطار معاداه على و أهل بيت النبوه و الرساله عليهم السلام، و كان الفضل فى ذلك لركب الأسرى و السببايا الذى خاطب الرأى العام فى كلّ مكان و فضح يزيد و كشف مظلوميه الحسين عليه السلام، و الأهمّ من ذلك ما لعبته هذه الحادثه آنذاك من دور فى التسلّل إلى أفكار يزيد، فيزيد كان عازماً- منذ اليوم الأوّل لتربّعه على عرش السلطه- على القضاء على الإسلام و إباده القرآن، و التذكير و الاعتزاز بعصر الآباء و الأجداد، و التغنى بالأصنام و الأوثان، فكان شعاره المشثوم.

لعبت هاشم بالملك فلاخبر جاء و لا وحي نزل (١)

إلّا أنّ يزيد نفسه قد استوقف تنفيذ هذه الخطه بصوره موقته، و قد علم بأنّ عليه أن يتحمّل الضربات تلو الضربات و ينتظر زعزعه حكمه إذا أراد أن يقضى على الإسلام و يقتل الحسين عليه السلام، و لا شك أنّ ذلك التوقف كان معلولاً لحادثه

كربلاء و قافله الأسرى. و إذا أردت أن تقف على هذا المعنى فتأمل ما قاله يزيد بعد شهادة الحسين عليه السلام و هو يقارن بينه و بين الإمام: «فلعمري ما أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً و لا ندأ»^(١). لا شك أن يزيد ينطق بذلك خداعاً، فهو لا يؤمن برسول الله صلى الله عليه و آله إلا أن الحادثه اضطرته إلى ذلك ليثنى على رسول الله صلى الله عليه و آله، و إلا فقد أنشد:

لعبت هاشم بالملك فلاخبر جاء و لا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل^(٢)

نعم، كلما قام زعماء الدين و إن قتلوا و من معهم من أتباعهم فإن أهدافهم و مشاريعهم دخلت حيز العمل و التطبيق، غايه ما فى الأمر أن ذلك يستتبع التضحية و الفداء و فقد الأحمه، و إلا فالشهاده هى تحقيق الهدف، لقد استشهد الحسين عليه السلام إحياءً للسنه، و حقاً كان إحيائها بشهادته، لو لم ينهض الإمام و يتحمل بصبر تلك المصائب و قتل الأحمه و سبى النساء، لما بقى من الإسلام إلما اسمه، و من القرآن إلما رسمه و لعلا صرح يزيد و عبيد الله و تحطم صرح الدين، نهضه الحسين عليه السلام و تضحياته العظيمه هى التى حالت دون بلوره خطط يزيد، بل نهضه الحسين عليه السلام فضحت حكومه بنى اميه و عرفت الامه بشخصيه يزيد، و نهضه الإمام الحسين عليه السلام أثبتت أصاله الإسلام و حفظت القرآن. و هذا غيض من فيض آثار تلك الشهاده فى أوائل واقعه كربلاء الأليمه.

معطيات الحادثه بعد وقوعها:

ربما لا ينضب الحديث فى هذا المجال، فالمدرسه الحسينيه مدرسه الحريره

١- تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٥.

٢- تقدم فى ص ٢٠٧.

و التحرّر، و كلّ ثائر في الإسلام إنّما يستصغر شأنه و دمه مقارنة بالحسين عليه السلام و استمداداً للعزم منه. المدرسه الحسينيه مدرسه الشرف و الشجاعه و المساواه و التضحيه من أجل إنماء شجره الإسلام، لقد تعلّم شهداء المدرسه الإسلاميه دروس الفداء و التضحيه من هذا الرجل الرّياني أبي الأحرار و الثوره، و التأمّل في الحديث القائل بأنّ كلّ مسجد إنّما بنى بفضل دم شهيد سفك لا يفيد سوى الإقرار و الشهاده على صحّه هذا الحديث، فما المساجد و المعابد التي تشكّل مراكز العبوديه إلّا قبسات من شعاع الحسين عليه السلام و تضحياته الحسام، لقد استشهد الحسين عليه السلام، أمّا الإسلام فقد التقط أنفاسه و تجددت حياته. نعم، إنّما أحرقت خيام الحسين عليه السلام لتُقام خيام الإسلام التي تنشر معارف الدين و أحكام القرآن إلى يوم القيامة، لقد أصبح الحسين عليه السلام و الإسلام اليوم بمثابة «الصورة و المادّه» و صار الحسين عليه السلام هو الفصل المميّز للإسلام.

الحسين عليه السلام و الإسلام:

لا- يسع الأحرار من محقّقي الأديان و مفكرّيها في بحثهم لحقيقه الدين إلّا من خلال الإمام الباذل لمهجته، و قد تعرّفت الدنيا اليوم و من خلال دراستها لحادثه كربلاء على منهج الإسلام و مفاهيم هذا الدين الحنيف، فكانت بركه بطلها هذا التشيع الذي ساد و ما زال يسود كافّه بقاع الأرض، فقد عاش المذهب الاثنا عشري ردحاً من الزمن حياته خلف الحُجب و لم يستطع الأئمه الأطهار عليهم السلام من التعرّض علناً لمسأله من مسائله على أساس فقههم دون اللجوء إلى التقيّه و الحذر من العدو، بينما غدا ببركه الحسين عليه السلام مذهباً رسمياً يظهر ملايين البشر من خلاله تشيعهم ليمارسوا حياتهم و تعاليمهم بالانضواء تحت لواء الإمام الصادق عليه السلام زعيم المذهب.

و بالطبع، لا يمكن أن تورق ثمار هذه الشجرة التي نبتت عروقها من دم الحسين عليه السلام على مدى الزمن القريب، و لا ينبغي الظنّ بأنّ صرخه الإمام كانت من أجل إنقاذ تلك الثلثه في ذلك الزمان المحدود، أفلا تعلمون أنّ الإمام عليه السلام عظيم و عملاق و على سعه من الفكر بحيث يستوعب مليارات الأفراد على مدى تقادم الزمان، و هذا سرّ تسطيره لثلك الحادته. وليت شعري أيّ منطلق هذا الذي دعا المؤلّف للخوض في فوائده حادته كربلاء في ذلك الزمان؟ ليخلص إلى أنّها أدت إلى زياده شوكة يزيد و حبس الأنفاس في الصدور و ذلّه الامّه و هوانها تجاه السلطه الأمويّه الغاشمه! فإذا كان الأمر كذلك، فقل قتال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاويه في صفين قد أذلّ المسلمين و سبّب هوانهم، و على ضوء استنتاجك فإنّ صفين و جّهت صفعه أقوى للإسلام، و جرّت عليه الضرر الأ-كبر إذا ما نظرت إلى عدد القتلى و فقدان الأولياء و ظهور فتنه الخوارج، و أخيراً تفاقم قدره معاويه و استحكام خلافته دون منازع!! و هنا يمكنك القول بأنّ علياً عليه السلام قد خاض قتال معاويه قسراً، و لم يكن جهاده ابتدائياً بل كان دفاعاً عن النفس! و لنا أن نسأل: أليس عليّ إماماً مفترض الطاعه و مصوناً عن الخطأ و عالماً بالأحداث؟ أ فلم يتّجه لقتال معاويه عالماً عامداً؟ بلى، يبدو أنّ الأمر لم يتمّ لصالح الإمام و قد تمكّن معاويه من اعتماد البدعه و الخداع، و لكن ما نتيجة الأمر؟ أ لم يكن قتال معاويه ضرورياً؟ كيف نقيم الأحكام التي يصدرها التاريخ اليوم بشأن معاويه؟ ما عاقبه معاويه؟ كيف ينظر العالم لعليّ عليه السلام؟ كيف ترى قبر معاويه و المرقد المطهّر لعليّ عليه السلام، ما ذا يقول القرآن بشأن عليّ عليه السلام؟ هل حفظ عليّ الإسلام أم قضى عليه؟ لو هادن الإمام حكومه

معاويه أ كانت تشب معركة صفين؟ و لو صغى الإمام لنصيحه المغيره بن شعبه أ كان يسع معاويه فى تلك الفرصه المقتضبه أن يطالب بدم عثمان؟ ما ذا دهى على عليه السلام ليجيب المغيره بهذه القوه «لا أستعمل معاويه يومين»^(١)، كما ردّ على اقتراح ابن عباس بالإبقاء مؤقتاً على معاويه فى الشام: «و الله لا أعطيه إلّا السيف»^(٢).

و أخيراً ما ذا قال لشبث بن ربعى حين بعثه مع سعد بن قيس الهمداني و جماعه إلى معاويه و إقراره بطاعه الإمام عليه السلام، فسأله ابن ربعى: و إن لم ينزل على طاعتك فهل أنت موليه؟ فقال عليه السلام: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدِيرِينَ» الخ^{(٣)(٤)}. إذن، فلم تكن معركة صفين خارجه عن علم الإمام، فالإمام يعلم أنه لو أطلق العنان لمعاويه فى الشام لما فكر قط بالمطالبة بدم عثمان، الذى كان معاويه حريصاً تماماً على سفكه، و رغم هذا العلم و الاطلاع لم يكن على عليه السلام مستعداً للإبقاء و لو ليومين على مهاده ذلك الجبار الغاشم المعادى للإسلام و المسلمين، الذى شيد قصره على جماجم الضعفاء و المحرومين و هضمهم حقوقهم و نهب أموالهم و استباح بيت مالهم. نعم، الذنب ذنب معاويه الذى لم يدعن للحقّ و ينقاد له. فلو قلنا بعدم علم الحسين عليه السلام بحادثه كربلاء و أنها أضرت بالإسلام و قد اضطرّ الإمام فيها للدفاع عن نفسه، و جب علينا أن نرسم مثل هذه الصوره الزائفه لكأفه معارك أمير المؤمنين عليه السلام و بعض حروب و غزوات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله!! و لا يسعنا هنا أن نقول إلّا ما قاله الحسين عليه السلام: «فعلى الإسلام السلام»^(٥).

١- الكامل لابن الأثير ٣: ١٩٧.

٢- الكامل لابن الأثير ٣: ١٩٧.

٣- سوره النمل: الآيه: ٨٠- ٨١.

٤- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٤: ١٤- ٢٢.

٥- الملهوف: ٩٩، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٦.

إلّا أنّ الضمائر الحيّة و الأفكار الحرّة لا- تتعاطف قطّ و هذه الصورة الفارغة، فالدنيا برمتها ترى اليوم أنّ حياه الإسلام و عزّه المسلمين مرهونه بتلك النهضة الكبرى و تضحيه اولئك الفتية و سبي تلك الصفوه. نعم، كان الأسر من الأهداف المرسومه للنهضة، و التضحيه و القداء منتهى طموحها، و فى قتل أبى الفضل العباس دروس و عبر فى تعليم الإخاء و الفضل و الإباء، و ما زالت و ستبقى هذه الحادته تدمع العيون و تبكى القلوب، و إلى جانب هذه الدموع بحار من المحبّه و الرحمه التى يسبح فيها المجتمع الشيعى، و الحسين عليه السلام بطل الحريه و العداله هو الذى شقّ عباب هذا البحر و جعل أمواجه تفيض غيره و حرصاً على بناء الدين و تماسك قواعده. نعم، هذا غيض من فيض من معطيات نهضة الحسين عليه السلام و حادته كربلاء الملحميه، التى تتضاءل لديها الأفكار و تجفّ الأقلام. سؤال: لو كانت لحادته كربلاء مثل هذه المعطيات، و قد أدّت إلى قوّه شوكة الإسلام و انهيار دعائم الظلم و الجور، لم اصطلح الأئمه عليهم السلام عليها بالمصيبه؟ فقد ورد فى زياره عاشوراء «يا لها من مصيبه ما أعظمها و أعظم رزيتها فى الإسلام»(١). جواب: طبعاً مصيبتها فى أنّها لم تحدث و أودت بحياه هؤلاء الفتية و بتلك الطريقه البشعه التى تدمى القلوب، أمّا ثمرتها فلولا وقوعها لما بقى للإسلام اليوم من أثر، و بتعبير أوضح: مرض عضال مميت، و قد شخّص الطبيب علاجه بقطع الساق

اليسرى للمريض و بخلافه يموت، فما عسى أن يشعر به والد المريض و والدته؟

ليس سوى الحزن و السرور، فالحزن لقطع ساق ولدهم و السرور لعدم موته، فشجرة الإسلام كانت تشهد الذبول و التآكل بسبب حكومات الجور و الفساد، و قد اجتهد يزيد و عبيد الله على اقتلاع شجرة الإسلام المباركة، و ليس هناك من وسيله لحفظها سوى دم الحسين عليه السلام، كانت هذه الأفكار لا تفارق ذهن الإمام التي جعلته يتجه لعدّه ليال إلى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله، ليس هنالك من سبيل سوى «لا أرى الموت إلّا سعادة»^(١) و إلّا مات الإسلام، آنذاك ستقطع تلك الأيادي الأثيمه التي تنوى العبث بعروق شجرة الإسلام، و هنا تبلورت حادثه كربلاء، و على الإمام أن يمارس دوره فى هذه التربه. و لم تكن هذه الفكره مقتصره على الإمام عليه السلام، فقد تكهن بها مسبقاً، لا بد أن تشهد هذه التربه سفك الدماء المقدسه لأولئك الفتيه، ليستعيد الإسلام حيويته، فلتسفك الدماء، و ليقف يزيد عند حدّه. و يشاهد امناء الإسلام و حماه العقيده- الأئمه الأطهار عليهم السلام- هذه الصوره، فهم مسرورون لبقاء القرآن و ديمومه الإسلام، و فى ذات الوقت محزونون لهذه الحادثه و المصاب الجلل. لِمَ بلغت الامور بالإسلام فى ظلّ هذه الحكومات الفاسده هذا المأزق، و لم تعد هنالك من وسيله لعلاج و بعث الحياه فيه سوى سفك دم الحسين عليه السلام؟ لم كان الثمن دم هؤلاء الصبيه و بتلك الطريقه المرؤعه؟ لِمَ كربلاء؟ فالحادثه مصيبه و أعظم مصيبه، و هل من مصيبه أعظم من تلقى الإسلام للضربات تلو الضربات أو الحيلوله دونها بإراقه دماء الطهر و العفّه و الفضيله بأيدي السفّاحين المتعطّشين للدماء؟ إذن، فكربلاء إذا نظر إليها من تلك الزاويه فهى مصيبه جلل، إلّا أنّها بالنظر إلى هذه الزاويه فتح و انتصار، يوم سرور الإسلام الذى التقط أنفاسه إثر هذه

١- حليه الأولياء ٢: ٣٩، و عنه مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ٤: ٦٨.

الحادثه. إذن، يمكن النظر إلى هذه الحادثه من زاويتين: ١- النظر إليها من ذلك الجانب الفاسد الذى يسدّ الضربات الموجهه و المؤلمه، و التى لا- يمكن تفاديها إلّا من خلال تضحيه الإمام! ٢- النظر إلى المعطيات الدائمه التى أفرزتها النهضه و تمخّضت عنها تلك الحادثه. فالحادثه على ضوء النظره الاولى مصيبه و رزيّه، بينما على أساس النظره الثانيه نعمه و سلامه، و عليه: فالأئمه عليهم السلام إنّما يستندون إلى النظره الاولى- لا- الثانيه- فى وصفهم لتلك الحادثه بالمصيبه. و عليه: فلا- منافاه بين نعتها بالمصيبه من قبل الإمام مع تلك المعطيات التى لم تفرزها سوى طبيعه تلك الحادثه، و أمّا على ضوء النظره الثانيه فكربلاء لوحه عشق تفيض عدوبه و رقه و نوراً، ستسطع أشعته إلى الأبد، و قد أشرقت فى أفقها شمس الإمام لتُنير كلّ دياجير الظلام، الأمر الذى يجعل الأئمه عليهم السلام ينظرون إليها بعين الفرح و السرور. و لا- بأس هنا بسماع الكلمات الناطقه باسم أهل البيت، مخدّره حيدر و بطله كربلاء و زعيمه ركب الاسارى، و هى تذكر الامّه بصولات على عليه السلام و خطبه فى الكوفه، و لا عجب فقد رضعت هى الاخرى من ثدى الوحى، الأمر الذى جعل لها مكانه خاصّه عند الحسين عليه السلام، لقد تمثّل الملعون يزيد بأشعار ابن الزبيرى مسروراً بدرك ثاره من تلك المعارك و لا سيّما موقعه بدر، على أنّه قتل القوم من ساداته و عدله ببدر فاعتدل، فلمّا سمعت زينب مقالته ردّت عليه قائله بعد أن حمدت الله و أثنت عليه: «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض و آفاق السماء فأصبحنا، نُساق كما تُساق الأسارى، أنّ بنا على الله هواناً، و بك عليه كرامه؟ و أنّ ذلك لعظم

خطر ك عنده، ... فشمخت بأنفك، و نظرت فى عطفك جذلاً مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقه و الامور لك متسقه، و حين صفا لك ملكنا و سلطاننا، مهلاً مهلاً! أنسيت قوله تعالى: وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١) ... و سع سِجِّيكَ و ناصبَ جَهْدِك، فو الله لا- تمحوون ذكرنا، و لا- تميت و حينا، و لا تدرك أمدنا، و لا ترضى عنك عارها، و هل رأيك إلّا فندا، و أيامك إلّا عددا، و جمعك إلّا بددا، يوم ينادى المنادى: ألا لعنه الله على الظالمين» (٢). و نلاحظ كيف نظرت ربيبه على عليه السلام من خلال اعتماد الزاويه الثانيه للحادثه، لتميط اللثام عن وجهه يزيد و نياته المبيته للإسلام و القرآن، فهى تبطل تصوّره الفاسد بالقضاء على الإسلام، و تقول له: هل يمكن إماته الوحي، فليس للقرآن من زوال ما دام فى أهل البيت عرق ينبض، إنّ الحسين عليه السلام هو الذى قضى عليك و أفضل مخططاتك. و عليه: فمراد الأئمه عليهم السلام بكون الحادثه مصيبه هو ما مرّ سابقاً، و إلّا فحادثه كربلاء كانت بمثابة الدم الذى يجرى فى العروق بالنسبه للإسلام و القرآن.

الكتاب و الخطأ الرئيسى الثالث

اشاره

الكتاب و الخطأ الرئيسى الثالث (٣)

الدفاع الشخصى! السلام المشرف! الاقتراحات الثلاث! لا يمكن أن تكون ثمره الدفاع عن النفس هى الشهاده من أجل إحياء الإسلام و القرآن، و ليس

١- سورة آل عمران: الآيه ١٧٨.

٢- الملهوف: ٢١٥-٢١٨، و عنه بحار الأنوار ٤٥: ١٣٣-١٣٥.

٣- ألمحنا سابقاً إلى عدم ضروره أفراد بحث لمناقشه هذا الخطأ، على أنّ الردّ عليه إنّما يتّضح من الإجاباه على الخطأين الماضيين، و لكن لا بأس بإلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع لأهميته.

هنالك من مصدر صريح صحيح بشأن السلام المشرف! كما أنّ ذلك الصلح ليس بمشرف! ولا يعقل اقتراح مثل هذا السلام من قبل الإمام! كتب المؤلف في ص ٢٠٤-٢٠٥: «حين حُوصِر الإمام من قبل قوّات عبيد الله بن زياد، بعث بكتاب إلى عمر بن سعد يخبره فيه بالرغبة بالاجتماع به ليلًا ... عقدت الجلسة السّريّة بين الإمام و ابن سعد ... وقد استغرقت الجلسة وقتاً طويلاً ... و لم يعلم من تلك المفاوضات سوى ثلاثه اقتراحات تقدّم بها الإمام، و من شأن قبول أيّ واحد منها إقرار الصلح و السلام! ابن سعد من جانبه أعرب عن ارتياحه لاقتراحات الإمام، فبعث بكتابه إلى عبيد الله بن زياد ... و قد كانت اقتراحات الإمام تحمل كلّ معانى الخير و السلام، بحيث كان لها أثر بالغ على ابن زياد ... و كتب في ص ٢٠٦ تحت عنوان «تقرير غلام جاهل»: «روى عن عقبه بن سمعان- أحد غلمان قافله الإمام الحسين عليه السلام- أنّه قال: لم يقترح الإمام الحسين على ابن سعد سوى الرجوع إلى الحجاز.

ملاحظه:

كانت هذه هي العبارات التي سطرها مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» بشأن السلام المشرف. و هنا نسأل المؤلف: ما مرادك باقتراحات الإمام الثلاثه و التي أسميتها في الصفحات اللاحقه بالصلح المشرف؟ و هل يمكن صدور مثل هذه الاقتراحات من الإمام؟ و هل يُسمّى ذلك الصلح بالمشرف(١)؟

ما هي الاقتراحات الثلاث؟

ما ذا يقصد المؤلف بالاقتراحات الثلاث؟ لِمَ لَمْ يذكرها؟!

الاقترحات الثلاث على ضوء نقل الطبرى (ج ٤ ص ٣١٣) و الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٥٤) هي عبارته عن: ١- الرجوع إلى مكة أو المدينة. ٢- أن يضع الإمام يده بيد يزيد ليرى فيه ما يشاء. ٣- يسيروا به إلى أي ثغر. هذه هي اقترحات الإمام عليه السلام- من وجهه نظر أعداء الإمام- هل يرى المؤلف أنّ هذه هي الاقترحات الثلاث، أم هناك غيرها؟ طبعاً لا يقصد سواها، والدليل ما أورده من قرائن في كلامه من قبيل: أنّ الإمام فاوض عمر بن سعد، و تقيّم ابن سعد للمفاوضات و أنّها إيجابيه، و قد وافقه عليها عبيد الله. نعم، هذه هي القرائن؛ لأنّ عمر بن سعد المراءوغ و عبيد الله بن زياد- ابن الزنا- يريان أنّ ذلك الإمام مفيده، و أوضح جميع تلك القرائن هي الهوامش التي ذكرها المؤلف عن كتاب الطبرى و الكامل لابن الأثير المختصّه بالصلح و الاقترحات الثلاث. و بناءً على ما تقدّم فهذا هو مراد المؤلف بالاقترحات الثلاث- التي ذكرت بصوره مبهمه و غامضه في الكتاب-، إلّا أنّ الأهمّ هو أنّ المؤلف كان في مقام إثبات صحّه إسناد تلك الاقترحات إلى الإمام، فأراد أن يقول بأنّ الإمام عليه السلام قد طرح مثل هذه الاقترحات من أجل الصلح، و لا يقتصر هذا الكلام على الطبرى و ابن الأثير، بل إنّ المؤلف يقول بأنّ هذا النقل صحيح، و أنّ الإمام قد أجرى المفاوضات مع عمر بن سعد بتلك المقترحات من أجل إحلال السلام، و ذلك لأنّ المؤلف شدّد على متابعه عقبه بن سمعان على أنّه غلام جاهل، لا اطلاع له، و هو غلام مُطيع، و قلّما يقوم الغلمان الذين تقتصر وظائفهم على الطاعه و الخدمه بنقل

وقائع المفاوضات السريّة، و ليس لعقبه من ذنب فى هذه الحمله الشعواء و الاستخفاف سوى أنّه قال: «صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينه إلى مكّه، و من مكّه إلى العراق و لم أفارقه حتّى قتل، و ليس من مخاطبته الناس كلمه بالمدينه و لا بمكّه و لا فى الطريق و لا فى العراق و لا فى عسكر إلى يوم مقتله إلّا و قد سمعتها، ألا و اللّٰه ما أعطاهم ما يتذاكر الناس و ما يزعمون من أن يضع يده فى يد يزيد بن معاويه، و لا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، و لكنّه قال: دعونى فلأذهب فى هذه الأرض العريضه حتّى ننظر ما يصير أمر الناس»^(١). أضف إلى ذلك فإنّ المؤلّف يستدلّ بعبارة للحرّ يوم عاشوراء من أجل البرهنه على استدلاله و عدم اطلاع عقبه. إذن، لا بدّ من الجزم بأنّ قصد المؤلّف من الاقتراحات المبهمه هو تلك الاقتراحات، و قد أيقن بصدورها من الإمام عليه السلام، و أنّ هذا ما قاله الإمام لابن سعد و صدق الطبرى و ابن الأثير فى نقلهما. جدير بالذكر أنّ المفاوضات مع ابن سعد كانت فى اليوم السابع لثلاث قبل عاشوراء حسب قول الطبرى و ابن الأثير، بحيث سدّت شريعه الماء على الحسين عليه السلام، و لم يعد هنالك من أمل بالنصر، و لا يستبعد أن يكون الإمام قد عقد جلسه سرّيّه مع عمر بن سعد ليله عاشوراء.

ملاحظه:

تضمّنت الصفحات (٢١٣، ٢١٤، ٢١٥) ثلاثه امور مطلوبه من قبل الإمام: ١- الطلب الأول للإمام: إنشاء الحكومه الإسلاميه و ...
٢- الطلب الثانى- بعد اليأس من إنشاء الحكومه و الشعور بالفشل:- الصلح

١- تاريخ الطبرى ٤: ٣١٣، الكامل لابن الأثير ٤: ٥٤ باختلاف.

المشرف، و هذا طلب اضطرارى قطعاً. ٣- الطلب الثالث: الدفاع عن النفس بحكم الضروره و الاضطرار. ما ذا يقصد المؤلف بالصلح المشرف؟ هل هى الاقتراحات الثلاث من قبل الإمام الحسين عليه السلام على عمر بن سعد؟ نقول بقوه: ليس سوى ذلك، لأنّ الطلب الثانى بعد اليأس من النصر، و اليأس من النصر- حسب زعم المؤلف- حصل عند مفاوضه عمر بن سعد بشأن الصلح؛ لأنه يقول: «يبدو أنّ هذا الأمر طبيعى جداً، حيث سعى الإمام فى مفاوضاته السريّة الاولى أن يقنع عمر بن سعد بالالتحاق بمعسكره و الانطلاق معاً إلى الكوفة». و عليه: فاليأس المطلق من النصر كان حين حُوصِر الإمام عليه السلام من قبل جيش عبيد الله بقياده عمر بن سعد و لم يعد هنالك من أمل. و هنا تتضح حقيقه الطلب الثانى للإمام الذى يسمّى بالصلح المشرف، و يمكن تسميته بالطلب الاضطرارى، و هذا الصلح هو فى الواقع المقترحات الثلاث التى نقلها ابن الأثير و الطبرى. و لما كان المؤلف يعتقد بأنّ هذه المقترحات صدرت من الإمام حين اليأس من النصر، فلا بدّ أن يعتبر الصلح المشرف هو هذه المقترحات الثلاث التى تمثّل الطلب الثانى للإمام!! أما الشهاده فهى الطلب الثالث للإمام عليه السلام، و يوضح المؤلف هذه العبارة قائلاً:

«أى بعد أن رفض أعوان يزيد اقتراح الصلح و أيقن الإمام بأنّه إذا استسلم سيقتل ذليلاً كما فعل بمسلم بن عقيل، لم يكن من الإمام لما تعرّض لهجوم الأعداء سوى الدفاع عن نفسه حتّى استشهاد». «رفض أعوان يزيد الصلح» يعنى لو وضع الإمام يده بيد يزيد فإنّ ذلك لا يروق لأعوان يزيد، و لما رفضوا استسلم الإمام دون قيد أو شرط- العياذ بالله-

لقد رأى أنّ قتله حتميٌّ؛ لأنّه إن استسلم فهو مقتول أيضاً، آنذاك دفعه الاضطرار لقتالهم حتّى نال الشهاده. هذه خلاصه أفكار المؤلف حول الشهاده، و أسمىنا هذه المعركه دفاعاً عن النفس، و بناءً على زعمه هذا، لم يكن قتل الإمام في كربلاء أكثر من دفاع عن النفس، و أئى دفاع؟ دفاع بعد الاستسلام و الذلّه - نعوذ باللّه - التى لم ترق لأعوان يزيد.

تكرار:

لقد اتّضحت أفكار المؤلف بشأن صلح الإمام و الاضطرار إلى الدفاع فى يوم عاشوراء، مع ذلك نعرض بصوره سريعه إلى آراء المؤلف. كانت نهضه الحسين عليه السلام تهدف إلى الإطاحه بحكومته يزيد و الأخذ بزمام الامور، و قد فشلت هذه النهضه رغم استنادها إلى بعض العناصر المعتمده، و ذلك لأنّ الآمال تبدّدت و تحوّلت إلى يأس، و لا سيّما بعد مفاوضه عمر بن سعد و اقتراح الإمام عليه سرّاً الالتحاق بصفّه و الانطلاق نحو السيطره على الكوفه. إذ ذاك تغيّرت خطّه الإمام، فاقترح الصلح سرّاً على عمر بن سعد. كانت بنود الصلح تتضمّن ثلاث مقترحات و للحكومته العمل بأئى منها: أمّا أن يسمح للإمام بالعوده إلى المدينه! أو أن يضع يده الشريفه بيد يزيد! هذه هى المقترحات المشرفه التى لا تتنافى و شأن الإمام! إلّا أنّ عمر بن سعد رغم اعتباره مفاوضه الحسين عليه السلام مفيده و رغم موافقه ابن زياد بعد اطلاعه على الأمر من قبل ابن سعد، إلّا أنّ القوّه الحاكمه رفضت اقتراحات الإمام، و لم يتمكّن الإمام بحسن نيّته من حسم المشكله. لقد فشلت خطّه السلام المقترحه من قبل الإمام، و عليه: فلا بدّ من اختيار الطريق الثالث. و هل هنالك سوى إظهار العجز و الاستسلام؟ هذه هى الفكره التى

خطرت على ذهن الإمام، إلّا أنّ هذه الفكرة ليست صحيحة، فأبنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى بعينه بأنّ مسلم بن عقيل قد قُتل رغم استسلامه، و عليه:

فإذا استسلم هو قتل! فهل من سبيل سوى الدفاع عن النفس إلى آخر قطره دم؟ أم يستسلم للقتل بهذه السهولة دون الدفاع عن نفسه! إذن لو كان الإمام عليه السلام يرى خلاصه في الاستسلام لما قاتل! قاتل حيث لم يكن من سبيل سوى القتال! قاتل دفاعاً عن نفسه! و مرادنا من «الدفاع عن النفس» الذي يقول به مؤلّف «شهيد جاويد» هو هذا المعنى كما تثبته دراساته و تأمّلاته لحادثته كربلاء و قتال الإمام الحسين عليه السلام!! و لا ندرى أ نردّ على هذه الترهات أم نترك ذلك للإخوة القراء الأعزاء. و نرى أن نردّ عسى المؤلّف المحترم يتدارك ما فرط من أمره و يطهر كتابه من تلك الشوائب. إلّا أنّنا سنردّ بصوره مختصره.

هل للإمام أكثر من هدف؟

ليس للإمام عليه السلام في نهضته أكثر من هدف، واحد، و هو إحياء الحقّ و إزهاق الباطل. بعبارة أخرى: إحياء سيره النبي و سنّته و إيمانه البدع و الشهوات التي تلاعبت بمصير المسلمين باسم الدين، و هذا ما جرى كِراماً و مراراً على لسان الإمام في خطبه التي أوردتها خلال حركته، كانت نهضة الإمام عليه السلام تهدف إلى إيقاف الظالمين عند حدودهم و إزالة آثار الفساد و الانحراف، و إشاعه مفاهيم القرآن في الحلال و الحرام، و الوقوف بوجه الحكومات الجائرة من عبده الأهواء و الشهوات، و إنقاذ المسلمين من براثن حكومه يزيد الفاجر، هذا هو هدف الإمام. و لتسليط المزيد من الضوء على هدف الإمام، نرى من الضروري التعرّف على بعض خطب الإمام عليه السلام خلال المسيره.

قال الإمام عليه السلام مخاطباً أصحابه و عسكر الحرّ في «البيضة»: «ألا- وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعه الشيطان، و تركوا طاعه الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالنفى؛ و أحلّوا حرام الله و حرّموا حلاله، و أنا أحقّ من غير....» (١). و خطب في «ذى حُسم» فقال: «ألا- ترون أنّ الحقّ لا- يُعمل به، و أنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهاده و لا الحياه مع الظالمين إلّا برماً» (٢). فقد اتّضحت بجلاء خلال هاتين الخطبتين دوافع النهضه، و هدف الإمام منها، فليس للإمام عليه السلام سوى هدف واحد، و لم يخطّط سوى من أجل تحقيق هذا الهدف، و خطّته قتال السلطه اليزيديه الحاكمه حتّى الموت و نيل الشهاده و اختيار مجاوره الرحمن. إذن، فالهدف واحد، و الخطه اللازمه لتحقيق هذا الهدف لا بدّ أن تكون واحده أيضاً، و هي «القتال حتّى الشهاده» فالخطبتان كانتا إجابته لذلك السؤال. و هنا يبرز هذا السؤال: لم تُسفر هذه الدراسه إلّا عن نتيجة واحده، و هي أنّ هدف الإمام من هذه النهضه هو الوقوف بوجه الفساد و الانحراف و إحياء سنّه رسول الله صلى الله عليه و آله، إلّا أنّ الإمام اعتمد ثلاثه مشاريع من أجل تحقيق هذا الهدف: (١) السيطرة على الحكومه، (٢) الصلح المشرف!، (٣) الدفاع! فلو سيطر الإمام على الحكومه لظفر ببغيته، و إلّا فالصلح المشرف، ثمّ إعادته تنظيم القوّه و الاستعداد من جديد للقتال، فإن لم يكن ذلك فالدفاع عن النفس حتّى نيل الشهاده. إذن فقد كان للإمام عليه السلام ثلاث خطط من أجل تحقيق هدف واحد، ألا و هو إحياء السنّه و إمامته البدعه.

١- تاريخ الطبرى ٤: ٣٠٤.

٢- تاريخ الطبرى ٤: ٣٠٥.

جواب: هل من عبارته بشأن الصلح في خطب الإمام عليه السلام؟ وهل يفكر في الصلح - ولو بصورة مؤقتة - من يقول: إن حكومه يزيد لزم طاعة الشيطان و تركت طاعة الرحمن، و أظهرت الفساد و عطلت الحدود، و أحلت حرام الله و حرمت حلاله؟

و أئى صلح هذا؟ الصلح المشين! و لو قال هذا الإمام الهمام: أنا مستعد لأن أضع يدي بيد يزيد و أسلم لكل ما يريد! فهل هذا صلح أم ذل؟ و هل يفكر في الصلح كوسيلة لتحقيق الهدف من تصدح حنجرته «هيهات منا الذلة»؟ و بناءً على ما تقدم من مفاد الخطبتين فإن الإمام كان قد عقد العزم على القتال حتى الشهادة التي لا يراها إلا سعادة، و عليه: فلم يعد هنالك من معنى و مفهوم للصلح في قاموس النهضة الحسينية.

الصلح المشرف!

إن الخطبتين المذكورتين و إن كانتا كافيتين لأن نقول - بصفتنا غلمان الحسين و جرياً على ما قاله غلامه عقبه بن سمعان - بأن نسبه مثل هذا الصلح إلى الإمام كذب محض، مع ذلك نقف أكثر عند هذا الصلح لتؤدى وظيفتنا كغلمان للإمام الحسين عليه السلام. لا ندري لم اصطاح المؤلف على الاستسلام دون قيد أو شرط بالصلح المشرف، فهل الاقتراحات الثلاث - التي استندت فيها إلى الطبرى و لم يسمح لك كذبها و زيفها بذكرها تعنى استسلام الإمام عليه السلام ليزيد ليفعل ما يحلو له؟ فهل للإمام أن يُصالح من ينعتة بشارب الخمور و المتجاهر بالفسق و ناهب بيت المال و عبد الشيطان و المشرع لما يخالف القرآن؟ و هل هذا صلح مشرف! و هل يتقدم الإمام عليه السلام إلى مثل هذا الصلح و هو القائل: أريد أن آمر بالمعروف

و أنهى عن المنكر و أسير بسيره جدى رسول الله صلى الله عليه و آله و أبى على بن أبى طالب عليه السلام(١)؟ و هل يعقل أن يُصالح الإمام عليه السلام من يتفوه.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحي نزل(٢)

و هو يهدد بالقضاء على الدين و القرآن و المسلمين و محمد صلى الله عليه و آله؟ نحن لا نرى معقوله صدور مثل هذا الصلح عن الإمام، و نسأل من يقول: إن الإمام أراد أن يدخر القوى ليوظفها فى المستقبل بما ينفع الإسلام. أى قوى هذه؟

هل المراد بها القوى التى و اكبت الإمام فى مسيرته إلى كربلاء بما فيها النساء و الصبية و الكهول كمسلم بن عوسجه و حبيب بن مظاهر؟ أم قوّات الكوفة الشعبيه! الكوفه التى يشهد المؤلّف بأنها واقعته فى قبضه عبيد الله، أم القوّات التى ستتشكّل لاحقاً؟ و هل هنالك من أمل فى تشكيل قوّات من شأنها القتال فى سبيل الله إلى جانب الإمام بعد انسحابه إلى أحد الثغور- طبق البند الثالث المقترح- و ذلك الضغط الشديد و الهوة بين الإمام و الامه و اليأس و السيطرة التامه لعبيد الله بن زياد على العراق، الذى يمثّل مركز ثقل أنصار أهل البيت عليهم السلام؟ و الإمام يستريح قليلاً و يلتقط أنفاسه و يضع يده بيد يزيد و يتنزّه فى قصوره الفخمه ريثما تنتظم القوّات الشعبيه فيشنّ حملته ضدّ حكومه يزيد! هل هذه التصوّرات معقوله؟ و هل يفكر مصباح الهدى- الإمام- بهذه الطريقه و ليتوصّل بالتالى إلى «الصلح الاضطرارى»؟ نعم، هذا ليس بصلح معقول و لا يمكن نسبته إلى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و الاصطلاح عليه بالصلح المشرف. و بغضّ النظر عمّا مضى فهل من سند لهذا

١- بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩- ٣٣٠.

٢- تقدّم فى ص ٢٠٧

الصلح المقترح؟ نعم، سنده الكامل لابن الأثير و تاريخ الطبرى، أمّا عبارته الكامل فهى: «ثم بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظه أن القنى الليله بين عسكرى و عسكرى، فخرج إليه عمر فاجتمعا و تحادثا طويلاً و قد استغرقت المفاوضات السريّة للطرفين وقتاً طويلاً، و كثر حديث الناس، فكان الظنّ الغالب هو أنّ الإمام طلب من عمر بن سعد نصرته ... نعم، لقد ظنّت الأ-كثريه ذلك، و هنا قال فرد مجهول: لا، فقد اقترح الإمام على عمر ثلاث مقترحات على أن يقبل أحدها» فهل لنقل ابن الأثير هذا سند؟ و هل يعتمد نفس ابن الأثير على نقل فرد مجهول غير معروف ظنّ أنّ اقترح الإمام عليه السلام على عمر كان ذلك الصلح المشرف، و لمزيد من الاطمئنان نورد عبارته الكامل حيث قال: «وقيل: بل قال له: اختاروا منى واحده من ثلاث: إمّا أن أرجع ... و إمّا أن أضع يدي فى يد يزيد ... و إمّا أن تسيروا بى إلى أى ثغر...» (١). و يلتفت أهل العلم إلى أنّ نقل حديث الشخصيات العلميه أو التاريخيه أو السياسيه لا-يقال فيه أبداً «قيل» بل يقال: «قال»، و إذا ذكر فى موضع كلمه «قيل» فإنّ ذلك دليل على عدم الاعتناء بحديثه و أنّه مجهول بحيث لا-يذكر اسمه، و لمّا عبّر ابن الأثير ب «قيل» فإنّ الشخص الذى ظنّ أنّ حديث الإمام عليه السلام مع عمر بن سعد كان يتمثّل بالاقترحات الثلاث ممّن لا يمكن الاعتماد على ظنّه و الاعتناء بحديثه، و لا يمكن أن يحظى باهتمام حتّى مؤلّف كتاب الكامل فضلاً عن الباحثين و المحقّقين. و بغضّ النظر عن هذا، ألم يكذب عقبه بن سمعان- الغلام الخاصّ للإمام عليه السلام- هذا الاقتراح، و قد نقل عنه الطبرى و الكامل أنّه قال: فو الله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنّه يضع يده فى يد يزيد و لا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ...

و لا يمكن القول أنّ عقبه- الذى كان غلاماً للإمام عليه السلام- لم يكن مطلعاً على الأوضاع؛ لأنّ هذا الغلام حامل الأسرار، و يفهم من كلامه أنّه كان معتمداً من قبل الإمام، و أنّه لم يفارق مولاه خلال مسيره من المدينة حتّى يوم شهادته. و إذا قيل: لقد أشار الحرّ بن يزيد الرياحى ضمن اعتراضه على ابن سعد إلى هذا الاقتراح، و يتبين أنّ الحرّ كان مطلعاً أيضاً، و أطلّعه مقدّم على الاطلاّع الهشّ للغلام عقبه بن سمعان. فنقول: أوّلاً: أنّ الحرّ لا يقول بأنّ الإمام طرح مثل هذا الاقتراح على عمر بن سعد و أعوان يزيد، بل خاطب الناس قائلاً: «أ لا تقبلون من الحسين خصله من هذه الخصال التى عرضها عليكم...»^(١). و ثانياً: لم يرد ذكر للمقترحات. ثالثاً: لا- يعلم هل كانت ثلاث مقترحات أم أكثر. و رابعاً: أشار الحرّ فى حديثه إلى خطبه الإمام عليه السلام بالناس، فسمعه الحرّ يقول:

«لا و الله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل...»^(٢). و عليه: فلا يمكن القول بأنّ الخصال التى ذكرها الحرّ هى تلك الاقتراحات على عمر بن سعد، و أنّه كان مطلعاً على الصلح المشرفّ، و لا يمكننا رفض قول عقبه بن سمعان بتكذيب هذا الصلح المشرفّ، بحجّه كونه غلاماً، فهل كونه غلاماً ذنب يدعو إلى عدم الوثوق بإخباره و نقله؟ و خامساً: يقوى الظنّ بأنّ الخصال التى أوردها الحرّ فى حديثه هى تلك الاستفهامات التى طرحها الإمام من قبيل: أ لم تكتبوا إلى رسائلكم؟ أ لست ابن

١- الكامل لابن الأثير ٤: ٥٤، تاريخ الطبرى ٤: ٣١٣.

٢- الكامل لابن الأثير ٤: ٦٤.

بنت نبيكم؟ ألسنتُ سيد شباب أهل الجَنَّة؟ أ لم يقل جدِّي: «الحسن و الحسين سيِّدا شباب أهل الجَنَّة»؟ أ تطلبوني بمال أخذته؟ أم دم سفكته؟^(١) هذه الخِصال التي لو صدَّقوا واحدةً منها و كانت لهم ذرَّة من ضمير، لما صوّب أهل الكوفة سهامهم و جرابهم إلى الإمام، و لما تمكَّن بعد ذلك عبيد الله و عمر بن سعد من مواجهه أبي الفضل العباس و ليوث كربلاء. و لذلك نرى الحرَّ يلتفت إلى نفس هذا الأمر فيقول في آخر حديثه: «أ لا تقبلون من حسين خصله من هذه الخِصال التي عرض عليكم فيعافيكُم الله من حربته و قتاله؟ ... إذ دعوتموه حتَّى إذا أتاكم أسلمتموه، و زعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه»^(٢). و عليه: فهو يلقي بالتبعه على جيش الكوفة الذي أَراده الإمام عوناً فتحوّل إلى فرعون لموسى كربلاء: الحسين عليه السلام. سؤال: لعلَّ هناك من يقول بأنَّه ليس من الصواب الاستناد إلى ابن الأثير في تلك المقترحات، و حتى ابن الأثير لا يعتقد بأنَّ الإمام طرح تلك الاقتراحات، غير أنَّ سندا تاريخ الطبري، فقد نقل الطبري عن أبي مخنف، عن عدد من المحدثين أنَّ الإمام طرح المقترح الفلاني على عمر بن سعد. جواب: أوَّلًا: كانت مفاوضات الإمام عليه السلام - حتَّى بقول الطبري^(٣) - مع عمر بن سعد

١- انظر مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف (وقعه الطف): ٢٠٦-٢٠٧.

٢- مقتل الحسين لأبي مخنف (وقعه الطف): ٢١٥.

٣- تاريخ الطبري ٤: ٣١٢-٣١٣.

سرّيه، ولا يمكن التّبوؤ بكنهها إلّا من خلال الحدس و الظنّ، و لو استند الدليل إلى الحدس فقد اعتبره، علاوه على ذلك فقد قال الطبري: ظن أغلب الناس أنّ الإمام لم يطرح أكثر من اقتراح على عمر بن سعد. و ثانياً: رغم أنّ الطبري ينقل عن أبي مخنف، و هذا عن عدد من المحدثين في أنّ مقترحات الإمام عليه السلام ثلاث، إلّا أنّ نفس أبي مخنف - على قول الطبري - روى عن عقبه بن سمعان: «ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس، و ما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، و لا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، و لكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر ما يصير أمر الناس»^(١)، أمّا ما شاع بين الناس من الاقتراحات الثلاث فهي ظنون لا أساس لها. و ثالثاً: الطبري هو الآخر نقل حدسيات الناس و كذلك قول المحدثين و كلام عقبه بن سمعان، أ فلا يدلّ هذا النقل على عدم اعتناء الطبري بقول المحدثين؟ بل دليل على عدم إصداره حكماً يعتقد به. و إذا غضضنا الطرف عن هذا، فما الذي يفيد نقل الطبري؟ هل يفيد أكثر من كون المفاوضات كانت سرّيه و أنّ الناس أبدت ظنونها و حدسها بهذا المجال؟ فقد قال البعض: إنّ الإمام لم يتقدّم بأكثر من اقتراح واحد، و قال البعض الآخر: بل كانت ثلاث اقتراحات، و لعلّ هذا رأى الأكثرية، كما أشار إلى ذلك عقبه بن سمعان، فقد صرّح بأنّها لم تكن سوى شائعات جوفاء لا أساس لها، و لم يقل الإمام عليه السلام سوى: «دعوني فلأذهب...». و على هذا الضوء أ لا - يمكن الظنّ بأنّه ليس هنالك من سند لقول المحدثين عن العامّة التي نقل عنها أبو مخنف سوى ظنّ الناس و حدسهم البعيد عن مفاوضات الإمام عليه السلام و عمر بن سعد؟ و عليه: فهل يمكن الاستدلال بقول المحدثين؟ و هل لهذا

القول من اعتبار حَتَّى من وجهه نظر أبى مخنف؟ إذن، فتاريخ الطبرى ليس من شأنه أن يفيدكم و لا- يمكنكم جعله دليلاً للاستنباط، و بغضّ النظر عن هذا، و لنفرض أنّ الطبرى يعتقد بأنّ الإمام قد اقترح البنود الثلاث، فهل يمكن الاستناد إلى قول الطبرى فى أن نقول: «يوجد هنا بعض المطالب المسلمه ... الرابع: أنّ الإمام تقدّم بثلاثه اقتراحات لو طبّق أىّ واحد منها لتمّ عقد الصلح دون ترديد؟...». أ و ليس قول الطبرى يتعارض و قول ابن الأثير؟ الذى قال: و قيل: بل قال له:

اختاروا منى ... أى أنّ المحدّثين لم يقولوا، و لم يكن ذلك شائعاً بين الناس فى أنّ الإمام قاله، بل هذا قول مجهول. إذن لا يمكن الاستدلال بقول الطبرى طالما كان متعارضاً مع كلام ابن الأثير.

الأهمّ من كلّ هذه الأقوال:

الأهمّ من كلّ ما ذكر روحه الإمام عليه السلام و هدفه المقدّس و عزمه الفولاذى و رسالته التاريخيه و علمه الثاقب بمصير الامور و شوقه للقاء الله و وظيفته الربّانيه، كزعيم للعامة و خطبه الملحميه: «لا و الله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل...» (١). «هيئات منّا الذلّه» (٢). «إنّ الله لا يغلب على أمره...» (٣). «و كأتى و أوصالى يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا» (٤).

١- مقتل الحسين عليه السلام لأبى مخنف (وقعه الطف): ٢٠٩.

٢- تحف العقول: ٢٤١، الاحتجاج ٢: ٩٩، مشير الأحران: ٥٥.

٣- الإرشاد للمفيد: ٧٦ / ٢، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٥.

٤- مشير الأحران: ٤١.

«من لحقَّ بي استشهد»^(١). «هاهنا والله محطُّ ركابنا و سفك دماننا...»^(٢). كلُّ هذه الشواهد و مئات القرائن الاخرى تدعو إلى الجزم بأنَّ الإمام عليه السلام لم يتقدَّم قطَّ بتلك المقترحات الثلاث إلى حكومه يزيد الخزى و العار، و لا سيَّما أنَّ الإمام عليه السلام أعرِف من الجميع بمدى إصرار يزيد على حَزِّ رأسه و ابن مرجانه الذى غالباً ما كان يناديه الإمام بـابن الزانية! و رغم كلِّ ذلك، فإذا كان هناك من يشعر بالترديد فإننا نقول له- و فرض المحال ليس بمحال-: لو كان هناك من اقتراح فإنَّما طرح على الناس بهدف إتمام الحجَّه و كشف النقاب عن روحه أهل الكوفه المتعطَّشه لإراقه الدماء و إفهام الدنيا بأنَّ الإمام لا يحمل سوى رساله الصلح و السلام التى اندفع إليها بكلِّ ما أُوتى من قوّه، إلى الحدِّ الذى جعله يقَدِّم مثل هذه التنازلات حرصاً على سلامه الامّه و عدم سفك دمائها، فى حين لم تجبه حكومه الجابره و كانت مصرّه على قتله، و إلَّا فكىان الإمام عليه السلام كان مفعماً بصرخات «هيها مَّنا الذلّه». سؤال: ربما كان هناك من يقول: المراد بالصلح المشرف هو ذلك الاقتراح ذكره عقبه بن سمرعان، فى أنَّ الإمام قال لهم: «دعونى فلاذهب فى هذه الأرض العريضة».

و قد أورد الإمام مثل هذا الاقتراح يوم عاشوراء، و إذا تجاهل المؤلّف قول عقبه، فليس له أن ينكر مثل هذا المضمون الذى صرّح به الإمام عليه السلام يوم عاشوراء.

١- كامل الزيارات: ١٥٧ ح ١٩٥.

٢- الملهوف: ١٣٩.

إذن، فالصلح المشرف هو هذا الاقتراح. و لا بدّ من القول بأنّه مشرف لكون الإمام لا يرضى بالقتال و إراقه الدماء. جواب: كان الاقتراح على الناس لا أعوان الحكومه، بينما حديث المؤلف عن الصلح كان على أساس مفاوضه أعوان الحكومه، فقد كتب المؤلف في ص ٢١٥: «و بعد أن رفض أعوان الحكومه عقد الصلح ...» أ و ليس الصلح الذي رفضه أعوان الحكومه هو تلك المقترحات الثلاث؟ إذن، فهذا الصلح لم يكن ذلك المقترح الذي نقله عقبه بن سميعان. نعم، لو تحدّث الإمام عليه السلام إلى الناس، كان لا بدّ من القول حقاً أنّ هذا حديث الإمام و اقتراحه على الناس، و هو جدير بأن يُسمّى بالصلح المشرف، و ذلك لأنّه مشروع يحول دون إراقه الدماء و يكشف عن حرص الإمام عليه السلام على سلامه الامّه، رغم علمنا أنّ تلك الامّه ليس لها و لا لدائها من قيمه و اعتبار من وجهه نظر الإسلام، غير أنّ رأفه الإمام عليه السلام و رحمته و حلمه لم تدعه يسمح بإراقه دماء حتّى تلك العصبه المراوغه الكاذبه الغادره، و الحقّ أنّ هذا الصلح لما كان يهدف إلى سلامه الامّه فهو صلح مشرف لا ذلّه فيه، كما يمكن القول في نفس الوقت أنّه اقتراح لترك المخاصمه و كاشف عن عظمه الإمام، و لكن و على أساس ما ذكر سابقاً، لا يمكنه أن يكون كاشفاً عن الإراده الجديّه للإمام بمصالحه الامّه، و ذلك لأنّ الإمام يعلم أنّ هذه الامّه مغلوبه على أمرها و ليس لها من إرادته، فهي حفته جنود تزجّ بنفسها جهلاً بالمعركه أملاً في الحصول على حطام الدنيا و ما يمتّئهم به أسيادهم، و ليس للجندي من حقّ في اتّخاذ القرار أو المشاركه في مفاوضات الصلح و ما شاكل ذلك- طبعاً هذا في الأنظمه غير الإسلاميه، و إلّا فهو صاحب قرار في الإسلام على ضوء

المقرّرات و الضوابط الإسلاميه- كما كان الإمام عالماً بشهادته، و هذا العلم يمنعنا من القول بأنّ إرادته الإمام عليه السلام الحقيقيه كانت الدعوه إلى المصالحه. و بناءً على هذا فإنّ طرح الاقتراح بهذه الجديّه لم يكن وارداً، فلا يمكن للإمام عليه السلام أن يُطالب جدياً بإخلاء سبيله، و لعلّ مراده هدف أسمى من ذلك، كأن يفهم العالم أنّنا لسنا طلباء حرب، و أنّنا حريصون على الصلح و السلام إلى أبعد الحدود و هذا ما أبلغنا به الامّه، إلّا أنّ دعوتنا لم تلق آذاناً صاغيه، و حتّى لا ينبرى أحد ليقول: لِمَ ألقى الإمام بنفسه فى التهلكه؟ ليس للإمام من عدااء لأحد من أبناء الامّه و قد حلّ عليها ضيفاً بعد أن دعت، رغم علمه بعاقبه هذه الضيفه التى ستكون مائدتها رءوس يطاح بها و دم عزيز يُسفك، فهذا ما أوصاه به جدّه و أبوه من إجابته دعوه الناس. إذن، فالهدف الرئيسى للإمام عليه السلام هو إعلان الصلح و السلام و إماطه اللثام عن ثبات السوء التى يبيتها يزيد و مرده الكوفه، و إلّا فالحسين عليه السلام كان يعلم بأنّ جيش عبيد الله بن زياد كان مسلوب الإراده، و حتّى لو افترض لهم ثمّه إرادته، مع ذلك كانوا من المردّه و الغدره الفجره الذين هبوا لضيافه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله بتلك الطريقه اللثيمه، كان الإمام عليه السلام عالماً بأنّ تربه كربلاء ستشهد ذلك النزيف الدموى الطاهر، و عليه: فاقترح الإمام لم يكن سوى تعبيراً عن حبه و حرصه على الإنسانيّه، و بيان ذلك و دناءه جيش ابن زياد، و إتمام الحجّه على من شهد فصول ذلك المشهد الدامى فى صحراء كربلاء.

ثوره الإمام عليه السلام ليست دفاعاً عن النفس

قيل: إنّ الهدف الذى يحظى باهتمام الإمام بالدرجه الثانيه هو الصلح، و حيث فشل الصلح فيأتى دور الاستسلام و وضع اليد بيد يزيد و ... و رفض من قبل

أعوان يزيد، فقد انبثق الهدف الثالث: «الدفاع» و قال المؤلف في وصفه للدفاع:

«أيقن الإمام بأنه إذا استسلم فسَيقتل بنفس الطريقه الذليله التي قُتل بها مسلم بن عقيل، و عليه: فليس له من سبيل أمام هجوم الأعداء سوى الدفاع...». إننا و إن أوردنا هذه العبارة سابقاً إلا أننا نروم من تكرارها، لتسهيل الوقوف على بعض الامور، فالعبارة تُفيد أنّ عمليه الدفاع قد ظهرت بعد فشل مشروع الاستسلام و هجوم العدو. و عليه: فالدفاع جاء بعد سلسله من الفشل و الهزيمه، الفشل في ترغم الامور و السيطرة على الكوفه و الفشل في تحقيق الصلح المشرف، و الفشل في التسليم إلى العدو، و بالتالي عزم العدو على قتل الإمام عليه السلام!! فهل مثل هذا الدفاع مشرف؟ و هل هذا الدفاع المشرف شهادة؟ أم دفاع عن النفس؟ بعبارة اخرى: هل أنّ شهادة الإمام كانت بهدف إحياء الإسلام و إمامته البدع و تحرير الأئمه من براثن الطغاه؟ أم أفرزته الضروره و الاضطرار بعد فشل مشروع الاستسلام؟ و لو لم يدافع فماذا عساه أن يفعل؟ لا يسعنا أن نسمي مثل هذه الشهاده سوى الدفاع عن النفس، و نعتقد أنّ الإمام برىء من مثل هذه النهضه و الثوره، و نرى أنّ هناك خطه عظيمه وراء قتل الحسين عليه السلام في كربلاء، خطه مدروسه سلفاً جرى بها القلم، و على الإمام عليه السلام تنفيذها شاء أم أبى في كربلاء، و عليه أن يتصرّج بدمه فداءً للقرآن و الإسلام. فقد قال الباقر عليه السلام: «يا حمران إنّ الله - تبارك و تعالی - قد كان قدّر ذلك عليهم و قضاه» (١). أمّا الدفاع عن النفس فلا يعنى سوى الاضطرار للقتل؛ لأنّه من المفروض أنّ الإمام حتّى إذا استسلم فإنّه سوف يُقتل، و لم يكن قد تكهّن بعاقبه الحركه حتّى زُجّ به في كربلاء زجاً!! إذ ذاك لا بدّ من إبطال كافّه كلمات الإمام - و العياذ بالله - التي

١- الكافي ١: ٢٦٢ باب أنّ الأئمه يعلمون علم ما كان ... ح ٤.

قالها عليه السلام من قبيل: «لا- أرى الموت إلما سعادته و الحياه مع الظالمين إلأ برماً»^(١). و قوله فى ذى حسم حين اقترب من كربلاء: «ألا- ترون أنّ الحقّ لا- يعمل به و أنّ الباطل لا- يتناهى عنه، ليرغب المؤمن فى لقاء الله محققاً، فإنّى لا أرى الموت إلأ سعادته...»^(٢). هذا هو الهدف الذى جعل الإمام عليه السلام يُقاتل حتّى الموت و يضحّى بالعالى و النفيس من أجل الشهاده. الشهاده من أجل أهدافه الساميه، لا من أجل الدفاع عن النفس، الإمام يريد نفسه لهدفه، للإبقاء على اسم رسول الله صلى الله عليه و آله و حفظ القرآن و الدفاع عن المظلومين و الوقوف بوجه الظالمين، هذه الأهداف أعزّ على الإمام من نفسه، فهو القائل: «ألا- ترون أنّ الحقّ لا يعمل به و أنّ الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن فى لقاء ربّه» ليس هنالك من معنى للحياه فى قاموس الإمام عليه السلام إذا ساد الباطل و ضاع الحقّ. إذن، فهدف الإمام عليه السلام منذ البدايه هو الشهاده من أجل الحقّ، و من شكّ فليراجع تاريخ الطبرى^(٣) ليرى كيف أعلن الإمام عزمه فى ذى الحسم على الشهاده، و لا نرى أى عقل سليم يقول بأنّ الإمام إنّما قرّر هذه الشهاده يوم عاشوراء بعد أن فشلت جميع مشاريعه الاستسلاميه و ذلك الذلّ و الهوان فى مهاده يزيده، أملاً فى الحصول على بضعة أيام، فالإمام عليه السلام صمّم على الشهاده مسبقاً؛ و هو الذى قال فى مكّه: «و كأتى و أوصالى يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا»^(٤). و قد بلغ به العزم و الإراده درجه جعلته لم يكثرث لنصح ابن عباس و ابن

١- الملهوف: ١٣٨، و عنه بحار الأنوار ٤٤: ٣٨١.

٢- تاريخ الطبرى ٤: ٣٠٥، و فيه: شهاده بدل «سعادته».

٣- تاريخ الطبرى ٤: ٣٠٥.

٤- تقدم فى ص ٣٠٢.

الحنفيه و سائر بنى هاشم، كما لم يزحزحه عن موقفه ما أشار به عليه عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر، إلى جانب تحذير عبد الله بن جعفر و منع عبد الله بن المطيع الإمام من الحركة، إضافه إلى آراء العارفين بأوضاع الكوفه الذين أوجزوا له حاله أهل الكوفه بأن «سيوفهم عليه»^(١). فلم تتمكن كل هذه المحاولات الواقعيه من ثنى الإمام عن عزمه، فواصل مسيرته و هو يقول: «إنَّ الله لا يغلب على أمره»^(٢) و لما بلغ موضع «البيضة» خطب الناس و عسكر الحرّ بن يزيد و كشف النقاب عن أهدافه، فأيقن الحرّ بعد ما رأى من عزم الإمام عليه السلام و شدّه حملته على يزيد و أذنا به أنّه مقتول لا محاله، فحدّره الحرّ بعد أن لمس استعداد الإمام عليه السلام للتضحيه و القتال، أراد الحرّ أن يخوّف الإمام بالموت، و هل يهاب الموت مثل الإمام؟ ثمّ أنشده الإمام ذلك الشعر الذى ارتجز به الأوسى لابن عمّه حين همّ بنصره رسول الله صلى الله عليه و آله:

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً و جاهد مُسلماً^(٣)

نعم، فقد جرت عاده أئمتنا عليهم السلام على تذكير الناس بالموت، و ليس لنصح المشفقين و لا خوف المرعوبين و لا تهديد الجيَّارين أن يثنيهم عن عاداتهم، فهم ممّن يستبشرون بالموت و الشهاده، الموت من أجل حياه القرآن و الإسلام، الموت من أجل بقاء اسم صاحب الرساله محمّد صلى الله عليه و آله، و إذا كان حالهم هكذا فكيف يزعم المؤلّف أنّ شهادته لم تكن سوى الدفاع عن النفس، و خاصّه حين يئس تماماً من الحياه و أغلقت عليه جميع منافذها! إنّنا نلهج بخطاب الإمام عليه السلام: يا أبا الأحرار، يا قبله الثّوار، يا مصباح الهدى

١- بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.

٢- تقدّم فى ص ٣٠٢.

٣- الكامل لابن الأثير ٤: ٤٩.

و سفينه النجاه، يا محيي القرآن و السنّه، مدرستك مدرسه الجهاد و التضحيه و الشجاعه و القيم الإنسانيه، مدرسه التوحيد و الإخلاص و العبوديه، مدرسه العلم و الحلم و السماحه و الزهد و العزّه و الكرامه و نصره المظلوم و دحر الظالم. و أنت تخاطب الإمام؛ يا عصاره الكمال، أيها الربّاني، يا أبا الأحرار، و يا أيها المجاهد ... و عليه: فنحن متفقون و إياك في أنه أبو الأحرار و الجهاد و الثوره. و لكن الاتفاق هذا هل من شأنه أن يستمرّ؟ طبعاً لا، إنّ هذا الاتفاق يجعلنا و إياك نقف على مفترق طرق، فأنت تضيف مخاطباً الإمام بأنك لم تكن على علم بحادثه كربلاء و هذا ما أوقع عيالاتك في الأسر دون علم، أنت الإمام الرؤوف العطوف إلّا أنّ كربلاءك أضرت بالإسلام و أذاقت صحبك الذلّ و الهوان! و هذا ليس ذنبك بل ذنب يزيد، يا أبا الأحرار لقد استسلمت لعساكر يزيد بعد أن يئست من النصر، و رأيت كثره عدّه و عدد عدوك و خانتك القوّات المواليه، فاقترح و وضع يدك بيد يزيد، و رغم هذه الذلّه و الهوان لم يوافقك يزيد، بل كنت مستعداً لركوب العار لو أيقنت بعدم القتل و لم يكن أمامك أيها الثائر سوى الدفاع عن نفسك العزيزه لا من أجل وظيفه سماويه أو مهمّه إنسانيه عليك تنجو من الموت. أمّا نحن فنقول: يا حسين، يا أبا الأحرار، يا قبله الثوّار، يا مدافعاً عن القرآن، يا محرّر المظلومين، يا باب نجاه الامّه، و يا مصباح الهدى أنت الحرّ الذي نهضت عن علم و درايه من أجل كسر القيود و الأغلال التي كُبل بها الناس، و إيصالهم إلى السموّ و الكمال، و إنقاذ المظلومين من نير المستكبرين يزيد و أعوانه الملعونين، و قد اجتهدت في تحقيق أهدافك حتّى آثرت التضحيه و الشهاده و سبى أهل بيتك على الحياه التي اعتبرتها برّماً. لقد نهضت بالأمر من أجل إحياء السنّه و إمامته البدعه و لم يكن همّك سوى الحقّ، فلم تنفك

عن ترديد «ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به» فكأنّي بك تقول: ما أصنع بالحياه هي خاليه من مفردات الحقّ و القرآن و الإسلام؟ لقد سَطرت بدمك الزكى ملحمة لم و لن يشهد التاريخ مثيلاً لها، لتبقى صرخاتك تدوى في نفوس الثوّار، و ليردّد من خلفك المؤمنون «لا- نرى الموت إلّا سعادة» و لينهضوا بالأمر أينما طالعهم عدم العمل بالحقّ و التناهي عن الباطل. فالموت من أجل الإسلام ليس بموت، و كيف تموت أمّه تحيا في أعماقها روح محمّد و عليّ و الحسين عليهم السلام، ستبقى كعبه تزورك الثوّار و هي تلهج بقلوبها و مشاعرها قبل لسانها: نشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده و صبرت على الأذى في جنبه و استنفذت العباد من الجهالة و حيره الضلاله. و نشهد أنّك نور الله الذى لم يطفأ و لن يطفأ أبداً، و أنّك وجه الله الذى لم يهلك و لن يهلك أبداً. و هذا ليس صوتنا بل صوت القرآن الحكيم: وَ لا- تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١). و أخيراً نرجو من جميع الإخوه القراء أن ينظروا بعين العفو و الصفح لما كان قد بدر منّا من زلل و خطأ و أن يتحفونا بما لديهم من آراء و مقترحات من شأنها خدمه الإسلام و المسلمين، كما نوّد أن نلفت انتباه الإخوه إلى أنّنا كنّا ننوى أن نجعل بحث «آيه التطهير» من ضمن مباحث هذا الكتاب إلّا أنّنا تحاشينا زياده حجم الكتاب عن الحدّ المتعارف، و قد قمنا بطبع هذا البحث بصورة مستقلّه ليطلع عليها القراء الأعزاء. و ما توفيقى إلّا بالله العزيز، عليه توكلت و إليه أُنيب.

ص: ٣١١

الإشراقى - النكرانى

مصادر التحقيق

- ١- اثبات الهداه، لمحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين، المعروف بالحرّ العاملي (١٠٣٣-١١٠٤) المطبعه العلميه، قم، ١٤٠٤ هـ. ٢- الأحاديث الغيبية، تأليف و نشر مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٥. ٣- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من أعلام القرن السادس) دار الاسوه، قم، الطبعة الثالثه، ١٤٢٢ هـ. ٤- الاختصاص، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٢) دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤١٤ هـ. ٥- اختيار معرفه الرجال، المعروف برجال الكشي، لشيخ الطائفه أبي جعفر محمد بن الحسن بن عليّ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) جامعه مشهد، ١٣٤٨ ش. ٦- الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٢) مؤسسه آل البيت عليهم السلام، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤١٤ هـ. ٧- إعلام الوري بأعلام الهدى، لأمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (م ٥٤٨) مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ.

٨- أعيان الشيعة، للسيد محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي (١٢٨١-١٣٧١) دار التعاريف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ. ٩- إقبال الأعمال، للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (٥٨٩-٦٦٤) نشر مكتبته الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ. ١٠- الأمل، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (م ٣٨١) مؤسسه البعثه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ. ١١- الأمل، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) مؤسسه البعثه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ. ١٢- بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، للعلامة المولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧-١١١٠، ١١١١) دار الكتب الإسلامية، طهران. ١٣- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (م ٢٩٠) مكتبته آيه الله المرعشي النجفي، قم المقدسه، ١٤٠٤ هـ. ١٤- تاج العروس، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي الحسيني، الملقب بمرتضى (١١٤٥-١٢٠٥) دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ. ١٥- تاريخ الأمم و الملوك (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠) مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧ هـ. ١٦- تأويل الآيات الظاهره في فضائل العتره الطاهره، للسيد شرف الدين علي الحسيني الأسترابادي النجفي، (من مفاخر أعلام القرن العاشر) مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسه، الطبعة الاولى، ١٤٠٧ هـ. ١٧- التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بيروت بالافست عن مكتبته الأمين في النجف الأشرف. ١٨- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه و آله، لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه الحرّاني الحلبي (من أعلام القرن الرابع) مؤسسه النشر الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ هـ. ١٩- تفسير العياشي، لأبي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمی السمرقندی، المعروف

بالعياشى (من أعلام القرن الثالث الهجرى) المكتبة العلميه الإسلاميه، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨١ هـ. ٢٠- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى الشافعى، المعروف بابن كثير (٧٠٠-٧٧٤) دار المعرفه، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٦ هـ. ٢١- تفسير القمى، لأبى الحسن على بن إبراهيم بن هاشم القمى (من أعلام قرنى ٣ و ٤) مطبعة النجف، النجف، ١٣٨٦ هـ. الطبعة الثانيه، بيروت، ١٣٨٧ هـ. ٢٢- تفسير فرات، لأبى القاسم فرات بن إبراهيم الكوفى (من أعلام الغيبه الصغرى) مؤسسه الطباعه و النشر لوزاره الثقافه و الإرشاد الإسلامى، طهران، الطبعة الاولى، ١٤١٠ هـ. ٢٣- تفسير كنز الدقائق، لميرزا محمد المشهدى ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمى (م حدود ١١٢٥) مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٧-١٤١٣ هـ. ٢٤- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن رضا بن محمد بن محمد بن على القلمونى (١٢٨٢-١٣٥٤) تقريراً لأبحاث استاذہ محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦-١٣٢٣) دار المعرفه، بيروت، الطبعة الثانيه بالافست عن الطبعة الاولى بمطبعة المنار، ١٣٤٢ هـ. ٢٥- تفسير نور الثقلين، لعبد على بن جمعه العروسى العويزى (م ١١١٢) تحقيق هاشم الرسولى المحلاتى. المطبعة العلميه، قم، ١٣٨٣ هـ. ٢٦- حليه الأولياء، لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهرانى، المعروف ب «أبو نعيم الأصبهاني» (٣٣٦-٤٣٠) دار الكتب العلميه، بيروت. ٢٧- الخرائج و الجرائح، لأبى الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبه الله بن الحسن، الشهير ب «قطب الدين الراوندى» (م ٥٧٣) مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسه، الطبعة الاولى، ١٤٠٩ هـ. ٢٨- الخصائص الكبرى، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى المصرى الشافعى (٨٤٩-٩١١) دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٥ هـ. ٢٩- دلائل الإمامه، لأبى جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبرى (من أعلام القرن الخامس الهجرى) مؤسسه البعثه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ هـ. ٣٠- دلائل النبوه، لأحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهرانى، المعروف ب «أبو نعيم الأصبهاني» (٣٣٦-٤٣٠) دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤٠٦ هـ.

٣١- ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى، لمحبّ الدين أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى (٦١٥-٦٩٤) مكتبه الصحابه، جدّه، مكتبه التابعين، القاهره، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ. ٣٢- رجال الطوسى، لشيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن بن علىّ الطوسى (٣٨٥-٤٦٣) مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ. ٣٣- روضه الواعظين، لأبى جعفر الشهيد محمد بن الحسن بن علىّ بن أحمد بن على بن يوسف الفتيال النيسابورى، المشتهر بابن الفتيال (م ٥٠٨) مطبعه الحكمة، قم. ٣٤- الرياض النضرة، لمحبّ الدين أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى (٦١٥-٦٩٤) دار الكتب العلميه، بيروت. ٣٥- شرح نهج البلاغه، لعبد الحميد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائنى، المعروف بابن أبى الحديد (٥٨٦-٦٥٥) مؤسسه إسماعيليان، قم. ٣٦- الطوائف فى معرفه مذاهب الطوائف، لرضىّ الدين أبى القاسم على بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد، المعروف بابن طاوس (٥٨٩-٦٦٤) مطبعه الخيام، قم، ١٤٠٠ هـ. ٣٧- علل الشرائع، لأبى جعفر محمد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١) المكتبه الحيدريّه و مطبعتها، النجف، ١٣٨٥ هـ. ٣٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام، لأبى جعفر محمد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى (م ٣٨١) دار العلم، قم، ١٣٧٧ هـ. ٣٩- فرائد الاصول، المعروف ب الرسائل، للشيخ مرتضى بن محمد أمين الأنصارى (١٢١٤-١٢٨١) تراث الشيخ الأعظم، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ. ٤٠- الفصول المهمّه فى معرفه الأئمه عليهم السلام، لعلىّ بن محمد بن أحمد بن عبد الله المالكى المكى، الشهير بابن الصبّاغ (٧٨٤-٨٥٥) دار الحديث، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ. ٤١- الفقيه (من لا يحضره الفقيه) و مشيخته، للشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى، (م ٣٨١) دار الكتب الإسلاميه، طهران، الطبعة الخامسه، ١٣٩٠ هـ. ٤٢- قاموس الرجال، للشيخ محمد تقى بن كاظم بن محمد على بن جعفر التستري، مؤسسه النشر

الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ. ٤٣- الكافي، لثقه الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨-١٣٨٩ هـ. ٤٤- كامل الزيارات، لأبي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي (م ٣٦٨) نشر الفقاهه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ. ٤٥- الكامل في التاريخ، لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠) دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ. ٤٦- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، لبهاء الدين عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (م ٦٩٣) المطبعة العلميّة، قم، بالافست عن مكتبه بني هاشم، تبريز، ١٣٨١ هـ. ٤٧- كفايه الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، لأبي القاسم عليّ بن محمد بن عليّ الخزاز القمّي الرازي (من أعلام القرن الرابع) انتشارات بيدار، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١ هـ. ٤٨- كمال الدين و تمام النعمه، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١) مؤسسه النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ. ٤٩- لوايع الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام، للسيد محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي (١٢٨١-١٣٧١) نشر مكتبه بصيرتي، قم. ٥٠- مثير الأحزان، لنجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبه الله بن نما بن علي بن حمدون الحلّي (٥٦٧-٦٤٥) مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسه، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ. ٥١- مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين بن محمد عليّ بن أحمد بن طريح الرماحي النجفي، المشهور بالطريحي (٩٧٩-١٠٨٥) مؤسسه البعثه، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ. ٥٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (حوالي ٤٧٠-٥٤٨) دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ. ٥٣- محجّه البيضاء في تهذيب الأحياء، لمحمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني، المعروف بالفيض (١٠٠٧-١٠٩١) مؤسسه النشر الإسلامي، قم، الطبعة الرابعه، ١٤١٧ هـ. ٥٤- مختصر بصائر الدرجات، لأبي محمد الحسن بن سليمان بن محمد بن خالد الحلّي (من أعلام

القرن الثامن الهجرى) دار المفيد، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ. ٥٥- مرآة العقول فى شرح أخبار آل الرسول، للعلامة المولى محمد باقر بن محمد تقى المجلسى (١٠٣٧ - ١١١٠، ١١١١) دار الكتب الإسلاميه، طهران، الطبعة الاولى، ١٤٠٧ هـ. ٥٦- المراجعات، للسيد عبد الحسين شرف الدين يوسف بن إسماعيل الموسوى (١٢٩٠ - ١٣٧٧) تحقيق حسين الراضى، الجمعيه الإسلاميه، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤٠٢ هـ. ٥٧- مروج الذهب، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (م ٣٤٦) دار الهجره، قم، الطبعة الثانيه، ١٤٠٤ هـ. ٥٨- المسند، لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى (١٦٤ - ٢٤١)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤١٤ هـ. ٥٩- مقاتل الطالبين، لعلى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن، المعروف بأبى الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦) منشورات الشريف الرضى، قم، الطبعة الثانيه، ١٤١٦ هـ. ٦٠- معجم رجال الحديث، للسيد أبى القاسم بن على أكبر بن هاشم الموسوى الخوئى (١٣١٧ - ١٤١٣) مركز نشر آثار الشيعة، قم، الطبعة الرابعه، ١٤١٠ هـ. ٦١- مقتل الحسين عليه السلام (وقعه الطف)، للمؤرخ لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي (م ١٥٨) مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعة الاولى، ١٣٦٧ ش. ٦٢- الملهوف على قتلى الطفوف، للسيد رضى الدين أبى القاسم على بن سعد الدين أبى ابراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاوس (٥٨٩ - ٦٦٤) دار الاسوه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ. ٦٣- المناقب، للحافظ أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكرى المكى الحنفى، المعروف ب أخطب خوارزم (٤٨٤ - ٥٦٨) مكتبه نينوى الحديث، طهران ٦٤- مناقب آل أبى طالب عليهم السلام، لأبى جعفر محمّد بن على بن شهر آشوب السروى المازندراني (م ٥٨٨) انتشارات علامه، المطبعه العلميه، قم. ٦٥- منتهى الآمال، للشيخ عباس القمى (١٢٩٤ - ١٣٥٩)، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ.

٦٦- المنجد فى اللغة و الأعلام، لويس معلوف، مؤسسه انتشارات دار العلم، قم، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ ش. ٦٧- الميزان فى تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائى (١٣٢١-١٤٠٣) مؤسسه مطبوعاتى إسماعيليان، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣ هـ. ٦٨- نهج البلاغه من كلام مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، تحقيق الشيخ محمد عبده، الناشر سفاره الجمهوريه الإسلاميه الأيرانيه فى دمشق. ٦٩- نوادر الأخبار، للعلامة محمد بن مرتضى المعروف بالمولى محسن، و المشهور بالفيض الكاشانى (١٠٠٧-١٠٩١) مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگى، طهران، ١٣٧٠ ش. ٧٠- وسائل الشيعه (تفصيل وسائل الشيعه إلى تحصيل مسائل الشريعه)، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى (١٠٣٣-١١٠٤) مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٩-١٤١٢ هـ. ٧١- ينابيع الموده لذوى القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى (١٢٢٠-١٢٩٤) مطبعه الاسوه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩